

عَصْرُ الْإِسْلَامِ

بقلم

عبد الرحمن الراغب

الجزء الأول

يشتمل على عهد عباس وسعيد وأهل عهد إسماعيل

الطبعة الرابعة

مقدمة الطبعة الرابعة

نشكره سبحانه وتعالى - وعاهي دارالمعارف
بنشاط أبنائها تعيد طبع هذا الكتاب بعد أن أقبل عليه
الباحثون والمثقفون والله ولي التوفيق.

كريمات المؤلف
عبدالرحمن الراقعي

سنة ١٩٨٧

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله . فهذا الكتاب سبق طبعه الطبعة الأولى
سنة ١٩٣٧ والطبعة الثانية سنة ١٩٤٨ وهو يتناول عهد
عباس وسعيد وأوائل عهد إسماعيل .
والله ولي التوفيق

كريمات المؤلف
عبد الرحمن الراقعي

سنة ١٩٨٦

مقدمة الطبعة الثانية

ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في ديسمبر سنة ١٩٣٢ . وشغلت بعدها بإخراج الحلقات التالية من هذه المجموعة ، وقد أفدت من الانتظار هذه السنين قبل إخراج الطبعة الثانية . إذ نسى أن أطلع على ما ظهر خلالها من كتب وتراجم ، ومؤلفات ووثائق عن عصر إسماعيل ، يتفق بعضها مع وجهة نظري في الكتابة عنه ، وبعضها يعارضها ، وقد يكون رداً عليها ، ثم أمنت النظر أيضاً في البحوث والمقالات والمخطوط التي ألفت سنة ١٩٤٥ في دار الأوبرا الملكية . وفي غيرها من المحافل والمعاهد ، لمناسبة مرور خمسين عاماً على وفاة الخديو إسماعيل ، وأعدت النظر فيما كتبت عنه سنة ١٩٣٢ ، لعل أكون قد أخطأت في موضع من المواضع ، فأصحح خطئي ، أو انحرفت عن الرأي الصواب ، فأعدل عن رأيي ، ولا أضافه على الإنسان في أن يعمل عن رأيه إذا تبين له خطأه فالحقيقة بنت البحث ، والعصمة لله وحده ، على أني بعد أن استكملت هذه الدراسة ازدادت اطمئناناً إلى صحة ما كتبت ودفوت عن عصر إسماعيل ، واعتقدت أكثر مما كنت أعتقد أني لم أتجاوز فيها ذكرت له أو عليه ، وهذا هو واجب المؤرخ في التراجم ، فعليه أن يذكر ما للمترجم وما عليه ، أما أن يذكر الحسنات دون السيئات ، أو يقتصر على هذه ويفعل الحسنات ، فهذا ليس من التاريخ الصحيح ، وما لا ينبغي أن يكون أساس البحث والتدوين ، والتاريخ الصحيح يقتضي ذكر الحقائق بأكملها ، لتكون الصور التي يعرضها المؤرخ عن الحوادث والشخصيات صوراً صحيحة ، لا تشويه فيها ولا إيهام .

وعلى ذلك فإني أعيد طبع هذا الكتاب ، دون أن أغير أو أقص منه شيئاً .

فالطبعة الثانية هي ذات الطبعة الأولى . لا تغيير فيها ولا تبديل ، ولم أزد عليها سوى إضافات يسيرة بالجزء الثاني ، لا تتجاوز ثلاثاً ، وقد حرصت على أن أجعلها في هامش الكتاب ، لكي يبقى الأصل كما أخرجته أول مرة ، وأضفت إلى الوثائق التاريخية النص الكامل لللائحة تأسيس مجلس شورى النواب ولائحته النظامية ، وكنت قد لحصت أحكامها في الطبعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الأولى

بهذا الكتاب ندخل في غمار العصر الحديث من تاريخ الحركة القومية . إذ كان عهد الحداثة إسماعيل أكثر العهود صلةً بعصرنا الحاضر ، وأقرباً منا أثراً . أخرجنا قبل الآن ثلاثة أجزاء من هذا التاريخ . بسطنا في الأول منها مشأ الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث . وكشفنا عن الدور الأول من أدوارها وهو عصر المقاومة الأهلية التي أفرزتها الحملة الفرنسية في مصر ، واشتمل الثاني على قصة المقاومة الشعبية وقادتها إلى انتهاء الحملة الفرنسية ، وتطور الحياة القومية من بعد ذلك إلى ارتقاء محمد علي أريكسة مصر بإعادة الشعب . ثم أوردنا الجزء الثالث لعصر محمد علي ، وعللنا الكلام فيه عن ظهور الدولة المصرية الحديثة . وتحقيق استقلالها ، وتأليف وحدتها القومية بفتح السودان وضمه إلى حظيرة الوطن ، وما تم في ذلك من جلال الأعمال .

وكأنا اليوم يتضمن الحديث عن خلفاء محمد علي وه عصر إسماعيل ، وقد جسطاه في جزأين ، كتاباً مستقلاً ، لإشغاله على صفحة قائمة بذاتها في تاريخ مصر القومي ، وسنقدم هذا المجلد فيها نخرجه بمناسبة الله من سلسلة تاريخ الحركة القومية فنحمل لكل عهد منا كتاباً مجتصماً ، فالكتاب الآتي في (الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي) . والذي يليه من (مصطلق كامل) ، وعلم جراً .

إن الحقيقة من الزمن التي تولد الحكم فيها حلاس الأول . ثم سعيد . ثم إسماعيل ، هي صفحة حامة من تاريخ مصر القومي ، لأنها بمثابة دور الانتقال من عصر محمد علي إلى الثورة العربية .

القضى عصر محمد علي وإبراهيم بيد أن توطلدت دعائم الدولة المصرية المستقلة وتلبس

الأول ، فأقيمت الشخص كما هو ، وأضفت إليه نصوص اللاتحين ، وأردت من نشرها استكمال الوثائق التاريخية الهامة من هذا العصر ، ولم أزد على ذلك شيئاً . والله أسأل أن يلهمنا قول الحق ، ويجعلنا مواطني الزلال ، ويهدينا سواء السبيل .

أكتوبر سنة ١٩٢٨

عبد الرحمن الرافعي

حيش المصرى . والأسطول المصرى . والثقافة المصرية ، ووضعت قواعد النهضة العلمية والاقتصادية في البلاد .

ثم جاء عهد عباس الأول ، وبصح إعتباره عهد الرجعية والنكسة ، لأن فيه وقفت حركة تقدم النهضة التي ظهرت على عهد محمد علي .

ثم كان عهد سعيد ، وبتماز بظهور نهضة وطنية جذيرة بأن تعد من أدوار الحركة القومية ، ترجع إلى فرقة سعيد الوطنية ، وميله إلى تحرير المصريين ورفاهيتهم ، والعمل على تحريرهم من يدي المظالم . وبث روح القومية في نفوسهم ، والتبويض بهم للمناصب العالية في الجيش والإدارة ، ولكن إلى جانب هذه المحامد ، بدأت على عهده نفرات التدخل الأجنبي في شئون مصر . بإقراره إنشاء قناة السويس على يد شركة أوروبية ، مخالفاً في ذلك تعاليم أبيه العظيم ، وافتتاحه عهد القروض الأجنبية التي جرت الكوارث على البلاد ، وكانت سلاسلها وأغلالها . ثم جاء عهد إسماعيل ، وهو عصر طويل ، يشتمل فيه تاريخ مصر القومي والسياسي في إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ويعد عصرًا هاماً ، له أثره النافع ، كما له أثره الضار ، في تطور الحركة القومية ، ذلك لما تمتعت فيه من آمال ، وما قام فيه من نهضة ورفق وعمران ، ثم ما تحطه واقرن به من أخطاء وأرزاء أدت إلى التدخل الأجنبي ، وإذا كانت مصر تنشر إلى اليوم بتاتج النهضة التي قامت في ذلك العهد ، ونجى من غمارها وتلمس آثارها يديها ، فإنها أيضاً تعاني عواقب الأخطا التي وقعت فيه ، وتدفق عنها حالياً ، من مآلها وحقوقها ومراقبتها ، هذا إلى أن معظم القيود والنظم التي فرضت في ذلك العصر لا تزال قائمة إلى اليوم (١٩٣٧) ، فالتشريع المختلط ، وتغلغل الأجانب في مرافق مصر والديون التي كبلت البلاد بحكومة وشعباً ، والتدخل الأجنبي في شئون مصر المالية والسياسية ، كل هذه القيود ترجع إلى عهد إسماعيل .

كان هذا العهد عصر تقدم ونهضة ، إذ نال الخديو إسماعيل من تركيا أقصى ما يمكن من الحقوق والمزايا توصلاً بمصر إلى الاستقلال التام ، وأكمل فتح السودان ، ومد حدود الدولة المصرية إلى منابع النيل . وشواطئ المحيط الهندي ، أدى إلى تحورها الطبيعية ، فكان عمله من هذه الناحية عظيماً مجيداً . وحتى ينظم الجيش وترقية التعليم الحربي ، وإنهاض البحرية المصرية ، وإقامة أعمال العمران في مختلف النواحي ، وبعت النهضة العلمية والفكرية من

مرفدها . بإنشاء المدارس والمعاهد ، وتأسيس الجمعيات العلمية ، وتشجيع التأليف والصحافة . ورعاية العلوم والآداب والفنون ، وأسس نوعاً من الحياة النيابية بإنشائه مجلساً محدود السلطة يعرف بمجلس شورى النواب ، كان له الأثر البالغ في تطور الحركة الوطنية . ففي عصر إسماعيل حدثت نهضة زاهرة ، يزدهر بها تاريخه ، ولكن هذه النهضة قد تعثرت في سيرها لما شابها من إصراف الخديو ويئسه ، وركونه إلى الأوروبيين ، وشديد ثقته بهم ، واعتمادهم عليهم . فأدت هذه العوامل مجتمعة إلى تورطه في القروض الباهظة التي ثامت البلاد بحملها . من حيث لم تكن في حاجة إليها ، فكانت الدريعة التي توسلت بها الدولة الأجنبية لتحت بحقوق مصر الخالدة ، فوقع هذا العبث . وتعددت مظاهره ، فمن إنشاء صندوق الدين ، إلى فرض الرقابة الثابتة على مالية مصر ، إلى تأليف لجنة تحقيق أجنبية لفحص شئون الحكومة المالية ، إلى تعيين وزيرين أوروبيين في الوزارة المصرية ، إلى تغفلت حقوق الأجانب عامة في مرافق البلاد ، فهذه الأحداث الجسام قد تصدع لها صرح الاستقلال الذي ناله مصر بمجهودها وتضحياتها العظيمة من عهد محمد علي .

أثارت هذه الكوارث سخط الأحرار من ذوي الرأي والمكانة في البلاد ، فظهرت في صفوفهم حركة وطنية تردد صداها في الصحف وفي مجلس شورى النواب . وانجذبت غايها إلى إنقاذ مصر من التدخل الأجنبي ، وتقرير النظام الدستوري أساساً للحكم فيها ، وتبادل زعمائها الرأي في اتجاهات عقودها بدار السيد على البكرى ومترل إسماعيل راجب باشا ، واجتمعت كلمتهم في « الجمعية الوطنية » على المطالبة بتأليف وزارة وطنية خالصة للمصريين . خالية من الوزراء الأوروبيين ، وتقرير مبدأ المسؤولية الوزارية أمام مجلس شورى النواب ، فاستجاب الخديو إسماعيل لمطالب الأحرار ، وعهد إلى شريف باشا الوزير المشهور تأليف الوزارة الوطنية ، على أن تكون خالية من العناصر الأورفي مسئولة أمام مجلس الأمة (وثيقة ٧ أبريل سنة ١٨٧٩) . فألف شريف باشا الوزارة على هذا الأساس . فكانت أول وزارة مسئولة أُنشئت الحركة الوطنية في تاريخ مصر الحديث ، وكان من أعظم أفعالها وأجلها أنها وضعت دستوراً على أحدث المبادئ المصرية وقدمته إلى مجلس شورى النواب ليتال إقراره ، ونحولت ذلك المجلس سلطة جمعية تأسيسية ، تملك حق إقرار الدستور وتعديله . على أن الدول الاستعمارية لم تنظر بعين الرضا إلى ظهور هذه الحركة واطرادها واشتداد

للذكوري

اليوم ختام الحامد المخلص لوفاء قديم الوطن المحرم أمين بك الرامي .
اليوم يطوى الزمان خمسين سنوات على احضانك عنا يا أمين ! وذكرناك بالية في النصوص
مانكة في الأذهان . يحدوها مر الليل وكر الأحوام .
فأول روحك الطاهرة الثانوية في دار الأبدية ، أهدت بتعبات الذكري ، يرسلها القلب
وخصير بها الشاعر ، وعملها الرجاء إلى عالم الأرواح .
والى ياربه تلك النفس الكريمة ، أفرجه بالدعاء ، أن يسبح عليها آية السكينة
والطمانية ، يا نفس أمين ! ، اسكني إلى جوار ربك راضية مرضية ، ويا روح أمين !
سلام ، ورحمة ، وجنة ونعيم ،

٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٧

عبد الرحمن طراحي

معهما . يجمع كلمة الأمة حركها ، ومناصرة الحديوثا ، قسعت لإحيائها وبذلت مؤامرتها
بالاعراض على أول مشروع مالى للوزارة الوطنية ، ثم عملت على أن تجمع الحديوث ، وكانت
توكيا من الصف وصمو البية نحو مصر بحيث أهابت طلب التبول ، وأعلنت نطق إسماعيل
وإسناد منصب الحديوثية إلى توفيق باشا (يوربه سنة ١٨٧٩) .

ثم استمرت المصادمة بين الحركة القوية والمطامع الأوروية ، إلى أن بلغت طورا جديداً ،
هو المعروف بالثورة العربية ، فالثورة من هذه الناحية تعدد فعل للتدخل الأجنبي الذى وقع
ل عهده إسماعيل ، فالثورة الأساسية من في جرحها المطالب التي اجتعت عليها كلمة الأسرار
في (الجمعية الوطنية) ، والدستور الذى تمخضت عنه الثورة سنة ١٨٨٢ ، مقبوس من
دستور سنة ١٨٧٩ .

• • •

فألى عهد إسماعيل ترجع إذن مقدمات الثورة العربية ، وهي تطور للحركة الوطنية التي
ظهرت في ذلك العهد ، وعنى أن هذه الحركة كانت أسلم عاقبة وأدعى إلى الإيجاب
والتقدير من الثورة العربية ، ذلك أن الحركة الأولى كان قولها نبهة الأفكار والآراء ،
ونصح العقول والقرائح ، وتبادل الرأي والمشورة ، على حين جعلت الحركة العربية وقواها
الاعتداد بقوة الجيش وحسب ، فتصادم العامل الفكرى والمعنوى . في طورها الأخير ،
وتمت صوت الحكمة والتفكير ، إلى جانب صوت السيوف والقطع . ومن ثم تكثرت الحركة
وسبل الرشاد ، وركبت من الشطط ، وانفصح المجال للدساتير الأجنبية تنصب أنماكها ،
والمطامع الاستعمارية تدبر مكابدها ، حتى أثبتت الثورة بالخلال الإنجليزي الذى ما زلنا نعايه
إلى اليوم (سنة ١٩٣٧) .

فليان التطورات التي تماقت على البلاد في عهد خلفه محمد على إلى انتهاء عصر
إسماعيل ، قد خصصت هذا الكتاب ، جاعلا وجهتي هوى إلى استخلاص الحقائق
والمعطيات ، من الحوادث وملايساتها . لتعرف الحاضر على ضيق الماضي . ونصل الأسباب
عسبائها ، والنتائج بمقدماتها . حتى أن يكون لنا في ذلك ما نسترشد به في حياتنا القومية . أو
نستظهر به على ما نحن بسيله من جهاد في سبيل الوطن .

أسأل الله أن يهبنا من الزلل ، ويهبنا السداد في القول والفعل ، ويوفقنا إلى ما فيه
تحقق الأمل ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

الفصل الأول

الرجعية في عهد عباس باشا الأول

(١٨٤٨ - ١٨٥٤)

يصح اعتبار عصر عباس باشا الأول عهد رجعية ، فيه وقفت حركة التقدم والنهضة التي ظهرت في عهد محمد علي .

ول عباس حلمي الحكم بعد وفاة إبراهيم ، وفي حياة محمد علي باشا ، وهو ابن طوسون بن محمد علي ، لم يرث عن جده مواهبه وعبقريته ، ولم يشبه عمه إبراهيم في عظمته وبطولته ، بل كان قبل ولايته الحكم وبعد أن تولاها خلواً من المزايا والصفات التي تجل من ملكا عظيماً يضطلع بأعباء الحكم ويسلك بالبلاد سبيل التقدم والنهضة .

نشأة عباس

يذل محمد علي شيئاً من العناية في تربية عباس ولاية الحكم إذ كان أكبر أفراد الأسرة العلوية سناً ، وبالتالي أحقهم بولاية الحكم بعد إبراهيم باشا ، فعهد إليه بالناصب الإدارية والحربية . فتقلد من المناصب الإدارية منصب مدير الغربية . ثم منصب الكشخداية التي كانت بمنزلة رأسه النظار . ولم يكن في إدارته مثالا للحاكم البار ، بل كان له من التصرفات ما يرم من القسوة . وكان يبلغ جده نياً بعض هذه التصرفات ، فينهاه عنها ، ويحذره من عواقبها ، ولكن طبيعته كانت تتغلب على نصائح جده وأوامره .

وأما من الوجهة الحربية فقد اشترك مع إبراهيم باشا في الحرب السورية ، وقاد فيها أحد الفيالق ، ولكنه لم يتميز فيها بعمل يدل على البطولة أو الكفاءة المتأخرة . وبالحملة فلم تكن له ميزة تلفت النظر ، سوى أنه حديد رجل عظيم أسس ملكاً كبيراً . فصار إليه هذا الملك . دون أن تؤول إليه مواهب مؤسسه ، فكان شأنه شأن الوارث

لتركة ضئيلة جمعها مورثه بكفائه وحسن تديره وتركها لمن هو غلو من الواهب والزاي .
وكان إبراهيم باشا لا يرضيه من عباس سلوكه وميله إلى القسوة وكثيراً ما هم عليه ترعته
إلى إرهاب الأملين ، حتى اضطره إلى الهجرة للحجاز ، وبقي هناك إلى أن دام الموت عمه
العظيم .

ولاية الحكم

كان عباس باشا متفياً بالحجاز لما عاجلت المنيه إبراهيم باشا ، فاستدعى إلى مصر ليخلفه
على دست الأحكام تنفيذاً لنظام الثوارث القديم الذي يحل ولاية الحكم للأرشد للأرشد
من نسل محمد علي ، وتولى الحكم في ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٤٨ (٢٧ ذى الحجة سنة
١٢٦٤ هـ) .

أخلاقه

بقي عباس في الحكم خمس سنوات ونصفاً ، كان يدعو إلى عملاً قريب الأطوار ، شاداً
في حياته ، كثير التطير ، فيه ميل إلى القسوة ، سوء الظن بالناس ، ولهذا كان كثيراً ما يأوى
إلى العزلة ، ويحتجب بين جدران قصوره . وكان يتخير لبنائها الجهات الموعلة في الصحراء ،
أو البعيدة عن الإنس ، قبا على سراى الخرقش ، وسراى الخلية بالقاهرة ، قد بني قصراً
فخماً بالباسبية (التي سميت من ذلك الحين باسمه) ، وكانت إذ ذاك في جوف الصحراء .
وقد شاهد للسيو فردينان دلبس هذا القصر سنة ١٨٥٥ ، فراعته ضخامته ، وذكر أن نوافذه
بلغت ٢٠٠٠ نافذة ، وهذا وحده يعطينا فكرة عن عظم القصر واتساعه ، فكانت بين نفسه
مدينة في الصحراء ، وبقي قصراً آخر ثانياً في الدار البيضاء ، الواقعة بالجبل على طريق
السويس المقفر ، ولا تزال آثاره باقية إلى اليوم ، وقصراً بالملط (ذكره على باشا مبارك في
الخطط ج ٧ ص ٦٣) . وقصراً في بنا على ضفاف النيل ، بعيداً عن المدينة . وهو الذي قتل
فيه كما سيجي بيانه .

وقد أساء الظن بأفراد أسرته ، وبكثير من رجاله محمد علي وإبراهيم ، وغيل له الوهم

أنهم ياتكون به ، فأساء معاملتهم ، وخشى الكثير منهم على حياتهم ، فرحل بعضهم إلى
الأستانة ، والبعض إلى أوروبا . خوفاً من بطشه ، واشتد العداء بين الفريقين طول مدة
حكمه ، وبلغ به حقداه على من يستهترون لفضبه أنه حاول قتل عتته الأميرة نازلي هانم .
واشتدت العداوة بينها حتى هاجرت إلى الأستانة خوفاً من بطشه .
وسعى في أن يغير نظام وراثة العرش ليجعل إبنه إلهامى باشا خليفة في الحكم ، بدلاً من
سعيد باشا ، ولكنه لم يفلح في معناه ، وتقم على سعيد الذي كان يحكم منه ولى العهد .
واتهمه بالتآمر عليه ، واشتدت بينها العداوة حتى اضطره أن يلزم الإسكندرية ، وأقام هناك
ببرايه (بالقبارى) .

وانتشرت الجاسوسية في عهده انتشاراً خفياً ، فصار الرجل لا يأمن على نفسه من صاحبه
وصديقه ، ومن يفضبه عليه يتفيه إلى السودان ويصادر أملاكه . وكان نفي المنسوب عليهم
إلى أقاصى السودان من الأمور المألوفة في ذلك العصر .
وكان عباس مولعاً بركوب الخيل والمجن ، يقطع بها المسافات البعيدة في الصحراء ، وله
ولع شديد باقتناء الجياد الكريمة ، يحلبها من مختلف البلاد ، ويبقى يربيتها حناية كبرى ، ويبقى
لها الاصطبلات الضخمة ، ويتفق عليها بسخاء ، شأن هواة الخيل .

أعماله

سياسته العامة

يختلف عهد عباس عن عصر محمد علي ، فإن حركة النهضة والتقدم والنشاط التي امتاز بها
هذا العصر قد تراجعت كما قلنا في عهد عباس ، وهناك ظاهرة أخرى للفرق بين العهدين :
ذلك أن محمد علي كان يستعين بعلوم العلم والخبرة من الفرنسيين في معظم مشاريع
الإصلاح ، لكن « عباس » لكونه لم يفكر في تمهيد هذه الإصلاحات ألغى معظم هؤلاء
الخبراء واستغنى عنهم ، وقد تضاعف النفوذ الفرنسي في عهده ، ولم يعد إلى الظهور إلا في عهد
سعيد باشا ، ومن هنا تعرف سياسته لتعامل كثير من اللوزنيين والمؤلفين الفرنسيين على عباس ،
فإنه وإن كانت أعماله لا تدعو إلى الإطراء ، لكننا نعتقد أن أحكام الفرنسيين عليه لا تخلو من
التحامل ، لتأثرهم من تضاؤل النفوذ الفرنسي في عهده ، والفرنسيون لما اتصفوا به من الوطنية

يكرهون كل ملك أو أمير يقرن عهده بتجاوز النفوذ الفرنسي في بلاده ، من أجل ذلك تراهم يكتسبون المدح جزافاً لسعيد باشا . ونعتقد أن هذا راجع إلى ميله الفرنسية وعودة النفوذ الفرنسي إلى مصر في عهده . على يد المسيو فرديناند دليس وأمثاله ممن اتخذهم سعيد بطائفة وأولياءه .

فعباس إذن قد أخصى عنه الحبراء من كبار رجال الموظفين فرنسيين ، فلم يعد لهم نفوذ لديه . بل لم يكن يعاملهم معاملة عطف واحترام ، واستغنى عن خدمة بعضهم . وعلى العكس ، بدأ النفوذ الإنجليزي في عهده على يد المستر (مري) القنصل البريطاني في مصر وقتئذ ، فقد كان له عليه تأثير كبير ، وله عنده كلمة مسموعة .

ولا يعرف السبب الحقيقي لهذه المترلة ، سوى أنها نتيجة المصادفة ، فإن للترك والأمراء المستبدين ليس لهم قاعدة مستقرة ، ولا تصدر أفعالهم عن برنامج أو تفكير ، بل ينبعون الهوى في كثير من أفعالهم ، وقد يكون لكفاءة المستر مري دخل فيها ناله عند عباس من النفوذ ، وقيل إنه كان يستعين به في السعي لدى حكومة الاستانة بواسطة مغير إنكلترا لتغيير نظام وراثة العرش ، كي يؤول إلى إبنه إلهامى ، وفي رواية أخرى إنه كان يستعين به وبالحكومة الإنجليزية لمنع تدخل حكومة الاستانة في شئون مصر إذ كانت تبذل تطبيق القانون الأساس المعروف بالتنظييات على مصر .

إصلاح الطريق بين القاهرة والسويس

ومها يمكن من السبب فالمستر مري كان له أثر ظاهر في اتجاه أفكار عباس ، ويبين هذا النفوذ من أن أول أعماله بعد ولايته الحكم هو إصلاح طريق القاهرة إلى السويس ورصفه بالحجارة ، فجعله معبداً . تميز فيه العربات بسهولة ، فهذه الفكرة وإن كانت في ذاتها فكرة عمرانية مديدة إلا أن المهرجا هو المستر مري ، وغرضه منها تسهيل سبل المواصلات البرية إلى أفتد عن طريق مصر ، وسرعة نقل البريد البريطاني والسياح بين الهند وإنكلترا . وكانت السياسة الإنجليزية ترمي إلى تعيد طرق المواصلات بين إنكلترا والهند في مصر بواسطة إنشاء سكة حديدية . تصل الإسكندرية بالقاهرة . ومنها إلى السويس ، وكانت تعارض في أن تنشأ بمصر طريق بحرية للمواصلات ، ولذلك عارضت في شن القناة البحرية



عباس باشا الأول والى مصر
من سنة ١٨٢٨ إلى سنة ١٨٥٤

ل بروج السويس ، وحيدت مد السكة الحديدية بين الإسكندرية والسويس ، وحيثما أن شق القناة يسهل على القوتل البحرية المناغة لها في الاستمرار طريق الوصول بسفها الحرية إلى البحر الأحمر ، ثم إلى الهند ، فيترض سلطانها هالك للخطر ، أما فرنسا فكانت على المكس تعيد فتح القناة ، وتعارض في مشروع السكة الحديدية ، لأنه مشروع انجليزي .

السكة الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة

ولقد فازت السياسة الانجليزية بضم عباس إلى وجهة نظرها ، فلم على يده إصلاح طريق السويس . ثم شرع في مد السكة الحديدية من الإسكندرية إلى القاهرة سنة ١٨٥٢ ، وعهد بتخطيط العمل إلى المهندس الانجليزي الشهير بورت ستيفن Stephenson ، يعاونه مهندسون مصريون . لكن للمهندسين المصريين هم الذين تم على أيديهم إنشاء الخط كما يقول السيد مريو^(١) Meruau . ومنهم من صار لهم فيما بعد شأن كبير وقتلوا كبرى المناصب ، مثل سلامة باشا إبراهيم ، وثاقب باشا ، ومظهر باشا ، وبيجت باشا ، واستخدم عباس في تعبيد الطريق وتركيب القضبان الختود والبشارة المصريين ، وأنشئ من سكة الحديد في عهده الخط الموصل بين الإسكندرية وكفر الزيات (سنة ١٨٥٤) ، وتم الخط بأكمله في عهد سعيد ، وبس السيد لردبنان دلتيس من نجاح مشروع شق القناة ، ولم يعاوده الأمل إلا بعد أن تولى سعيد باشا الحكم كما سيحيى بيانه .

وإذا نحن صرفنا النظر عن التراحم السياسي بين انجلترا وفرنسا ، فما لاشك فيه ، من وجهة النظر المصرية ، أن مشروع السكة الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة وبين هذه والسويس أنفع للبلاد ، وأبعد عن الضرر من مشروع القناة . فإن مصر لم تستد شيئا من فتح قناة السويس . بل كانت القناة شؤما عليها كما ستفصله في موضعه ، ولأن السكة الحديدية قد نهضت بعمران البلاد التي مرت بها . بخلاف القناة .

لإصلاح طريق السويس ، والشرع في مد السكة الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة ، هما من أول ما فكر فيه عباس ، وهما من المشاريع الجليلة ، وقيل هذا العمل الوحيد الإنشائي

الذي يذكر لعباس ، لأنه لا يخفى أن السكك الحديدية هي من أعظم دعائم العمران والتقدم ، وكانت هذه السكة أول خط حديدي أنشئ في مصر . بل في الشرق قاطبة ، مصر قد سبقت دول الشرق في أعمال العمران ، ولا يخفى أن تركيا وهي أقوى دول الشرق وقتئذ تأخرت عن مصر في مد السكك الحديدية واستخدام لقطارات البخارية ، وإتلك لتلمح تقدم مصر وسبقها تركيا في ميادين العمران حينما زار السلطان عبد العزيز مصر سنة ١٨٩٣ ، فانه ركب القطار من الاسكندرية إلى القاهرة فلكه اعجب ، لأنه لم يكن رأى القطار البخارية في حياته من قبل^(٢) .

ضبط الأمن

وعنى عباس باستيابة الأمن ، فحرب على أيدي الأتقياء وقطاع الطرق ، وطاردهم وعاملهم بالقوة ، فقتلوا بأسه ، واقطع دابرهم ، وأمن الناس شروهم ، فاستتب الأمن في عهده ، وهذا من غير أماله .

المدارس والمصانع

أما المدارس ، فقد سادت حالتها في عهده . ألقى معظمها (بعد الذي عطل منها في أواخر عهد محمد علي) ، واقطعت أبوابها . بين عالية وثاقية وانتائية ، ولم يبق منها إلا التدر اليسر ، وكأنما كان عباس يكره العلم والتعلم . لأنه لم يكن في إخالق معظم المدارس ، بل أخذ إلى السودان طائفة من كبار علماء مصر في ذلك العهد ، مثال رفاعة بك رافع . ومحمد بيومي أفتدى ، ودقة أفتدى ، بحجة إنشاء مدرسة ابتدائية بالخرطوم ، والسبب الحقيقي هو إبعادهم وتقييد من مصر . وقد سادت حالتهم كما بينا ذلك تفصيلا في ترجمة رفاعة بك رافع^(٣) ، ومات منهم هناك محمد بيومي كبير أئادة الهندسة والرياضيات في مدرسة المهندسين^(٤) .

(٢) انظر كتاب . سياسة السلطان عبد العزيز من الآستانة إلى القاهرة ، كسبر جاردى ص ١٩ و ٥٣ و ٦٠ .

(٣) راجع كتابه ، مصر محمد علي ، ص ٤٨٨ (من الطبعة الأولى) .

(١) في كتابه (مصر الحديثة) ص ١٠٢ . والسيد مريو مناصر لعباس وسعيد وإسماعيل .

• حتى من تلاميذ المدارس التي ألقاها عدداً منهم أدخلهم مدرسة أنشأها ١٨٤٩ ، و بعد
مصر . إشارة إلى أنه أحرر تلاميذها من هي طلبه المدارس ، وكانت هذه المدرسة بمثابة
مدسة عهد به حربية

وقد سبق من التعامل والمصالح بنى أنشأها جده بحجة لاقتصاد في صرف

البعثات

وأرسل إلى أوروبا ١٩ طالباً من تلاميذ المدارس المصرية لإتمام دروسهم بالمدارس
الأوروبية ، على أنه استدعى معظم أعضاء البعثات الذين كانوا يتلقون العلم في فرنسا منذ عهد
محمد علي

السودان

لم يمن عباس بالسودان عنايه جده به ، ولم يكر يوما في زيارة ذلك الإقليم العظيم الذي
بعد لحرقه المبرك لمصر ، ليشارك نفسه شئون البلاد وأهلها ، ويعترف أحوالها كما فعل محمد علي
الذي لم تحتمه شيخونته ومشاغفه العديدة من أن يحوب السودان باحثاً مسطراً

الجيش والبحرية

أخذ عباس بعض الإصلاحات الحربية التي فكر فيها إبراهيم باشا قبل وفاته ، كتجديد
الاستحكامات ، وإنشاء الطرق الحربية ، وهما هذا ذلك فإن الجيش في الجبهة لم يكن موضع
عنايته ، وقد تسرب إلى إدارته الخلل وسوء النظام بعد أن كان مصر في الأمان في النظام
والكفاية على عهد محمد علي ، وزاد في انحلاله أنه أدمج فيه نحو ست آلاف من
الأرمن ، جعلهم نخبة جنده ، وسلحهم بالبنادق ، فكانت هم في عهد أبيه
والسلطنة ، وشتموا بأنوفهم على المصريين ، جنوداً وفرداً ، وحرد عباس الأمير من
السلح ، وحظر عليهم حملته ، صارت الإرامود في الأرض صاوتاً ، مما أشعرهم من خطر

والعسف والإرهاق ، وفي هؤلاء الاحطاط قوام الجيش في عهده .
وظل سيدان باشا الفرنسي لثقتهم حام للجيش المصري ، ولكن يده غشت من لصوص
به وإصلاح شؤنه

وسامت حالة البحرية بعد أن كانت زاهرة ، وأخذت في الانحلال ويرجع ذلك إلى
مهملي عباس أعمال العساف حمة . ثم إلى سيب خاص ، وهو كراهيته لعمه سعيد باشا ومعلوم
أن سعيد كانت شأنه في البحرية ، وكان قائداً عاماً للأسطول في عهد محمد علي . فلما تولى
عباس حكمه حقد على البحرية بجملة واحدة ، لحقده على سعيد باشا فأعمل شأنها ،
وتمطت أعمال الترسانة ، ووقف إصلاح السفن ، غسرى إليها العطب والتلف .

إشتراك مصر في حرب القرم

بقى الجيش المصري رغم ما أصابه من الخلل قوة لا يستهان بها ، وظهرت بسالته في حرب
القرم ، وهي الحرب الوحيدة التي شاخت مصر غيرها في عهد عباس .

ثبت نار القتال بين تركيا والروس سنة ١٨٥٣ ، فطلب السلطان عبد المجيد من عباس
باشا أن يمدد بالهند والأساطيل . فلبى عباس طلبه ، وكانت دار الصناعة (الترسانة) في ذلك
الحين محطلة كما قدمنا ، فعاد إليها النشاط العمل ، واستدعى إليها العمال الذين كانوا مصروفين
عنها ، وجهر الأسطول المصري . وعهد بقيادته إلى الأميرل حسن باشا الاسكندراني ، أحد
خبرجي البعثات في عهد محمد علي^(١)

وأعد حملة مؤلفة في بدء الحرب من نحو ٢٠ ٠٠٠ مقاتل بقيادة سنجر باشا فتحمي أحد
القواد الذين حاربوا تحت نواء إبراهيم باشا في حروب سوريا والأناضول ، فأقلعت الحملة على
ظهر لبحارة المصرية ووصلت إلى الاستانة ، ومضت إلى ميدان القتال على سر المالدانوب .
ورابط معظم الجيش المصري في (سستريا) وكان الروس يتهاجمونها ، فبلى المصريون بلاء
جسداً في المناقعة عنها ، وأقاموا بها حصص حربية نظاية العرب . كان له فضل كبير في الدفاع .
فاستطاع الجيش المصري أن يكسر هجمات الروس سنة ١٨٥٤ ، واستمرت الحرب إلى عهد

(١) رجعت له في الجزء - من ربيع حركة القومية (عصر محمد علي من ٥٣٩ من الهجرة الأولى)

وقد ساعد الأسطول المصري في الحرب البحرية ، فسار قسم منه إلى شواطئ الأماصون
شمالية بالبحر الأسود ، ولكن السفن الروسية أوقعت به ، ونشرت بقية السفن في نقل
نقوات الحربية إلى ثغور البحر الأسود ، وبقيت تؤدي واجباتها إلى انتهاء الحملة

مقتل عباس

اتفقت الروايات على أن عباس مات مقتولا في قصره بيننا . وهذا أمر معروغ بصحته ،
ولكن الخلاف في رواية مقتله ، وليس عجيبا أن يختلف الرواة في ذلك ، فإن قتل عباس كان
نتيجة مؤامرة من مؤامرات القصور ، وهذه المؤامرات لا يسهل اكتشاف حقيقتها ، أو الاتفاق
على روايتها ، لما يكنسها من الأسرار ، ولأنها تقع في جنح الظلام ، بعيدة عن الأنظار ،
فلا يعرف الناس غير إلا ما تنتقله الألسنة بعد وقوعها ، ومن هنا ينشأ الاختلاف في الرواية ،
وبدلتها عن مقتل عباس روايتان ، إحداهما ذكرها إسماعيل باشا سرهنگ في كتابه (حقائق
الأخبار عن دول البحار ج ٢ ص ٢٦٥) والأخرى ذكرتها مدام أولمب إدوار كما صممتها بمصر
في أوائل عهد إسماعيل ودونتها في كتابها (كشف الستار عن أسرار مصر ص ١٤٣) .
ويؤيد من رواية إسماعيل باشا سرهنگ ، أن (عباس) كانت له حاشية من المالك
يقرهم إليه ويصطفيهم ، ويتخذ منهم خواص جلده ، ولم يده من منزلة ، جده يصدق
عليهم «رب» العسكرية العالية ، على غير كفائة يستحقونها ، حتى صار أكثرهم رتبة قائمقام
وكان لهم كبير من خاصية غلمان ، يسمى خليل دوريش بك ، وعرف بها بعد بحسن بك
الصغير ، وقد أساء هذا الرئيس معاملة أولئك المالك ، فاستطالوا عليه بالهمز واللمز ،
وخاصة لأنه كان صغير السن . فاشتدوا من حدائنه فغضبوا الأقاويل . فخط عليهم ، وشكاهم
إلى مولاه ، فأمر بجلدهم ، فجلدوا ، وجردوا من ثيابهم العسكرية . وألبسهم شتى اللباس
ورسلهم إلى الإصطبلات لخدمة الخيل . فمر ذلك على مصطفى باشا ، أمين خزنة عباس ،
لأنهم كانوا من أتباعه المقربين إليه . فعسى جهده لدى سيده ليعفو عنهم . فلم يزل يادى الأمر
بعينه ، فلما ذهب عباس باشا إلى قصره بيننا بصحبه أحمد باشا بك وإبراهيم باشا الألق
محافظ العاصمة ، وجاءا مصطفى باشا أن يطلبوا المعفو عنهم ، فطلبوا ذلك إلى عباس فأجاب

منسحبها . وأصدر أمرا بالفر عنهم . وردهم إلى متاحيم . فجهادوا إلى بينا ليرفرو واجب
سك . ولكنهم أصبروا القنك به انتقاما لما أوقع بهم . فاشتدوا به مع غلامين من
خدمة سراي . يدعى أحدهما عمر وصى والآخر شاكرك حسين . واتفق الجميع على قتله
وكان من عادة عباس عند بومه أن يقوم على حراسته غلامان من متايكه . في ليلة ١٨ شوال
سنة ١٢٧٠ (١٤ يولييه سنة ١٨٥٤م) كان الغلامان المذكوران يتوليان حراسته ، فجاء
المؤتمرون في حلق الليل على اتفاق معها . وفتحوا الباب ، فدخلوا غرفة الأمير . وهربوا ،
ولما أرادوا القنك به استيقظ وحاول النجاة ، فصدده عمر وصى ، وتكاثر عليه المؤتمرون .
وقطروه ، ثم أوعزوا إلى الغلامين بالحرب فهربا ، وكتم المتآمرون الخبر إلى اليوم التالي ولما لم
يستفيظ الأمير في مواعده دخل عليه أحمد باشا بك وإبراهيم باشا الألق فوجداه مقتولا ،
فدعوا لخدمته الفاجعة ، واتفقا على إخفاء الخبر حتى نقل الأمير القتل إلى القاهرة في عربة .
ووصلوا به إلى قصره بالحلمية ، وهناك دأب خبر قتله .

وأراد جهادة من أنصار عباس . وعلى رأسهم إبراهيم باشا الألق أن يجعلوا الحكم من بعده
لنجله إبراهيم الهامى باشا الذى كان وقتئذ بأوروبا . فاتفقوا على استدعائه ليولوه الحكم ،
ويمنعوا عنه عمه سيد باشا أكبر أنجال محمد على وأحق الأمراء بالولاية طبقا للنظام القديم .
وكان سيد باشا وقتئذ بالإسكندرية ، يقم بمرأته بالقبارى . فكتبوا سرا إلى محافظ
الإسكندرية إسماعيل سليم باشا . وأبعدوه بما اتفقوا عليه . وطلبوا إليه القيام على التفرغ حتى
يخصر إمامى باشا . فلما تلا الرسالة لم يشاطرهم رأيهم . فلهذا أن الحكم من حق سيد باشا ،
فقصده إليه من لوز . وأوصى إليه فحوى الرسالة . فشكره سيد باشا على إخلاصه . وذهب
صحيته إلى سراي رأس التين . وأعلن اعتلاءه العرش . وأجريت حفلة الجلوس . وأطلقوا
المدافع . ثم سافر سيد باشا إلى القاهرة يصحبه أمراء الأسرة الحاكمة الذين كانوا مبتعدين عن
العاصمة لا يتهم بدين عباس من المهاد والتمور ، فلما وصلوا إلى القاهرة ذهب سيد إلى القلعة
وتولى زمام الحكم

تلك حلالة روية إسماعيل باشا سرهنگ

أما روية مدام أولمب إدوار فحلالتنا ، أن الأميرة نازلى هانم حمة عباس هي التي
اقتدرت به وهي في الاسانة ، وأخذت مملوكين من أتباعها لقتله ، واتفقت وإياها ، على أن
يعرضها نفسها في سوق الرقيق بالقاهرة ، كي يشترىها عباس ويدخلها في خدمته . وكان

حرارة مصر حرة من أنفاس الذين الأجبية التي كبلها بها خلفاؤه من بعده . وكان يجتهد دائما في سد عمر الميرمية ، دون أن يدرك أن غروص ، ولم يكن يحيل إلى صبح لأوروبيين يشتدوا باستئثار مراقب البلاد . فهذه مدد عبد الله ذكر له سحر . ويمتاز (من هذه الناحية) على سعيد وإسماعيل . فحفظا سعيد باشا أنه صبح المسير فرديتار دليس . ويمتاز حمزة شاه السويدي . واقتنع عهد الانعراض من خارج ، ونظما إسماعيل أنه كبل مصر بالديون الخسيسة التي اقترضاها من ليون الأوربية

• • •

• • • من حيث من الخيال . مما يرغب وكيل الأمير في شرائها ، هجاء الصخرة فعلا .
• • • من أن رأيا يوما وكيل الأمير ، فرائه جيلها ، فاشترىها وأدخلها سراي
• • • فأعجب بها عباس . وعهد إليها حراسته ليلا ، قالت مادام ألومب دوار ، هنا
• • • كانت الليلة الأولى لم يجرؤ لملوكان على ارتكاب القتل ، لأنها خشيا بأس عباس ، إذ كان
• • • قوي النية . شديد البطش ، ونحافا أن يقاومها ويسجس فتكها ، فينكل بها شر تنكيل
• • • ويورد لها موارد اهلاك المحترم ، فانخفضت الليلة الأولى بسلام ، وموت أيام عدة وهما
• • • يستجمعان قوتها لإنفاذ القتل عند سوح العرصة . حتى جاءتها التوبة ثانية لحراب مولاها ،
• • • فاعتراها أن يكونا أكثر شجاعة من قبل ، فلم يكده يستغرق عباس في النوم حتى انقصا عيه
• • • وقتلاه ، ولم يدعها له الوقت ليصبح أو يقاوم ، ولما أرنكا المجربة زلا اصطبلات الخيل الملحقة
• • • بالسراي ، وطلبا إلى السائس أن يجهز لها مورا جوادين بحجة أن الباشا يطلب حاجة له من
• • • قصره بالعباسية ، فلم يشك الخادم في الأمر ، وجهز لها الجوادين لسلوا بها عدوا إلى القاهرة ،
• • • ومن هناك قرا إلى الاسكندرية ، حيث تقدمتها الأميرة تازلي مكافأة صالحة على إيفاد المؤامرة .
• • • وتقول مدام أولمب أدوار إن إلهمي باشا تعقب المطوكن القاتلين ليأثر لايه ، فالتق
• • • بأحد هما في الاسكندرية ، فقتله رميا برصاص مسدس ، ولم يستطع اللحاق بالثاني ولم يعثر له على
• • • مكان . وقيل أنه أدى إلى بلاد الأرتامود فراراً من القتل (٥٠) .
• • • والثرو بئان ، مع إحتلالها في بيان المحرضين على القتل وطريقة ارتكاب الجريمة متفقان كما
• • • ترى في أن عباس مات مقتولا إثر مؤامرة دبرت لقتله وأخذت في قصره بها

مينة عباس

كان عهد عباس كما ترى خلوا من أفعال البهضة والعمرة ، اللهم ما كان من إنشاء سكة
الحديد بين القاهرة والإسكندرية ، وإصلاح سكة السويس البحرية .
• • • حل أن لعباس مينة يجب أن يذكرها له التاريخ ، وهي أنه لم يفتح على مصر أبواب
• • • لتدخل الأجنبي ، فلم يمكن للأجانب في البلاد ، ولم يجد يداه إلى الاستئذان منهم ، بل ترك

(٥٠) كشف السراي عن أسرار مصر لأمير أولمب أدوار

الفصل الثاني

النهضة الوطنية في عهد سعيد باشا

(١٨٥٤ - ١٨٦٣)

من البهائم الوطنية ما يصدر عن الشعب وزعمائه ، ومما ما يكون مصدره الملوك والحكام ، ويمتاز عصر سعيد باشا بظهور نهضة وطنية جديدة بأن حد دورا من أدوار الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث

وترجع هذه النهضة إلى ميول سعيد باشا ذاته ، فقد كان ذا نزعة وطنية مملوكة ، نشأت فيه قبل أن يتولى الحكم ، ولما زعمته بعد أن تولاه ، وظهرت آثارها في كثير من إصلاحاته وأعماله ، وقوام هذه النزعة أنه كان يميل بموارحه إلى غير المصريين وزعمائهم ويعمل على تحريرهم من نير المظالم التي أصابهم ، ويخفف عنهم عبء الضرائب التي يتهدون بها ، ويثبث فيهم روح الوطنية . ويشجعهم على تولد للنصيب العالي في الجيش والإدارة بعد أن كانت من قبل وقفا على الترك والشراسة .

نشأته

هو ابن محمد علي الكبير . ولد سنة ١٨٢٢ ، ونشأ في حجر أبيه . محروفاً بطفه ورعايته . وكان أبوه يهره ويحتضن برينته وتربيته ، وتشتت لشيء الحسنة واحترمه الملك البحري فقدره على فنون البحرية وجعل شأنه شأن تلاميذه . ولعل هذه النشأة هي حس إلى عصره سادى الديمقراطية . فقد كان أثناء دراسته ومراحه زميلا لطائفة من التلاميذ . هي خصصهم أبوه لدراسة العلوم البحرية . يعيش هيشهم . ويسير على هيجهم . رئيسهم كالمعلم الطالب إلى أقرانه وأصدقائه . ولما أتم دراسته انتظم في خدمة الاسطول فوجداناً لإحدى أسوارج التي كانت ترفع علم مصر فوق ظهر البحار . واعتاد النظام الذي هو أساس الحياة العسكرية فكان

الضريبة من ثمنها ، فظهر الفلاحون بالراحة والطسابة والرخاء وحسن المعاملة ، ووقف تيار الهجرة من القرى .

وقد ألقى أيضاً صربية الدحولية التي كانت تجبي عن المحاصيل والمتاجر بما يتبادلها المدن والقرى في داخلية البلاد ، وهذه الصربية مصدر إعانات وإرهاق الأهالي ، كما أنها عبء تحول دون حرية التجارة الداخلية ، إذ كانت الحكومة تقتضي على التجار ١٢ في المائة من قيمتها عند دخولها أي مدينة أو قرية ، وهذا يؤدي إلى ارتفاع الأسعار واشتداد العلاء ، ويصعب حركة المعاملات ، كما أن طريقة تحصيل هذه الضريبة تنطوي على نوع آخر من الإرهاق ، إذ كانت سبباً مباشراً موكولة إلى مقترمين يتزعمون الأهالي أكثر من قيمتها ، فألغواها فيه تخفيف عن الأهالي وتخفيف من عبء التجارة الداخلية مما كان يتعرضها من انقضاات والعراقيل .

لغة المعاشات

ومن أماله الاجتماعية سنة لغة المعاشات للموظفين المتقاعدين ، وهي الأساس الذي بنى عليه نظام المعاشات المتبع في مصر لموظفي الحكومة .

أعمال العمران

تطهير ترعة المحمودية

هي سعيد باشا بتطهير ترعة المحمودية ، ذلك أنها منذ إنشائها في عهد محمد علي لم تكن الحكومة بتطهيرها ، وانقضى عهد عباس دون أن يكر في أمرها . فلما تولى سعيد كاد الطمس المزاحم على مدى السنين بطورها ويصد استثمارها . فلا تعود صالحة لمروء السقي ، ولا تجري فيها مياه تروى بالمقادير التي يتطلبها العمران .

فاحتزم سعيد باشا أن يطهرها ، ويكاد تطهيرها في هذه الظروف يشبه أن يكون استثماراً لها من جديد ، لأن الطمس كان قد سد قاعها ، وقد استشار للسيد مرسيل بك كبير مهندسين قبا يلزم من أعمال وإختراد لإجراء هذا العمل العظيم . فحسب مقدار ما يجب رفعه من الأرض من مدها . سبع ثلاثة ملايين متر مكعب ، على طول التربة الذي يبلغ ثمانين كيلو متراً ، وقدر

بـ مائة بربع متر ونصف متر في اليوم ، فاعمل بقتضى سبعة وسبع مائة عمل . وبنيت من تطهير سبعة على المده في ثلاثين يوماً .

فأصدر سعيد باشا في مدينته بـ مائة بربع متر من العدد من الفلاحين . ولم يكف المديريين بـ مائة العدد المطلوب . بل صدعت أهمية . وأرسلت ٥٠ ألف عامل . فخرج هذا العدد على طول أربعة ، وورعت عليهم القفوس ، بمعدل رأس لكل خمسة من العمال ، واحد منهم يعبر الأرض بنفسه ، والثاني يملأ القفا من الردم ، والثلاثة الآخرون يحملونها إلى جانب التربة ، حيث أمر سعيد باشا بإنشاء طريق راعي مبيد ، عرضه عشرة أمتار ، وقد سار العمل على هذه الوثيرة ، وهي سعيد باشا بالسير على صحة العمال ، فأنحصر أطباء يلاحظون حالتهم الصحية طول مدة العمل ، وتم تطهير التربة وإنشاء الطريق في اثنين وعشرين يوماً ، دون أن يموت أحد من العمال . بخلاف ما وقع حين إنشائها في عهد محمد علي ، ولم يزد عدد المرحى للذين أعياهم العمل عن خمسة في الألف (٣)

فكان هذا العمل الضخم وإتمامه في هذه المدة القصيرة مدعاة للإعجاب ، لما تجل فيه من مقدرة الفلاح المصري على إنشاء أعمال العمران التي تنو بها الحاجات من الشعوب الأخرى

وقد كان نجاح هذا المشروع مما شجع السيد فردينان دلسبي على إخراج سعيد باشا بتطهير الآلاف من الفلاحين في احتفار قناة السويس ، فرضى بتأثير هذه الإغراء أن يسخر الألوف للزراعة منهم في عمل حاد بالمرز النيل على مصر والمصريين .

السكك الحديدية والتلغرافات

توف عباس قبل إتمام الخط الحديدي بين القاهرة والإسكندرية ، فأتمه سعيد باشا سنة ١٨٥٦ وسار الخط عن هريق كمر الزيات ونها حتى وصل إلى العاصمة ، ولم تكن الكباري هبت على النيل . فكان القطار عند اجتيازه الفرعين ينقل على مراكب خاصة تسير به من بر إلى آخر

(٣) مروي - مصر الحديثة ص ١٢٣

وأشأ حطوطا لتغرافية على الطريقة الحديثة من الإسكندرية والقاهرة والسويس بعد أن كان الموجود منها في عهد محمد علي على طريقة (شاب) القديمة
ومد الخط الحديدي بين القاهرة والسويس وكرماتنا بالقاهرة الحجة . لأنه كان سبباً في زيادة ورود السفن التجارية إلى هذا الثمر لنقل متاجرها ووكلها إلى القاهرة ثم إلى الإسكندرية بطريق السكة الحديدية ، منبسطت حركة الممران والتجارة فيها ، ولما كثر تواردها إلى شمس إليها شرع سعيد باشا في إصلاح مينائها
ومن أعماله في العمران الاحتفاظ بالآثار المصرية وجمعها في مخازن أعدت لها في وفاق ، وعهد بيده لمهمة إلى العالم الأثري ماريت (باشا) كما سيجيء بيده ، وعهد إلى العلامة محمود بك (باشا) الفلكي الرحلة إلى دقة لرصد كسوف الشمس بها ، فقام بيده المهمة واختم هذه الرحلة لتحقيق ٤٧ موقعاً من المواقع الفلكية بين أسوان ودقة .
وبعد عودته كلفه سعيد باشا وضع خريطة مفصلة لقطر المصري ، فقام بهذا العمل غير تمام ، واشترك معه في أدائه طائفة من المهندسين المصريين .

إصلاحاته الحربية وبثه الروح القومية في الجيش

بشعر سعيد باشا بميله إلى الجيش ، ولعل نشأته الأولى على ظهر الأسطول حيث إليه الحياة الحربية ، بركة كانت أم بحرية ، فعلى بعد أن ولي الحكم بتربية شؤون الجيش . وكثيراً ما كان يصرف أيامه في معسكر الجيش ، وتعرض عليه شؤون الحكومة وهو وسط جنوده ، ويطلب له أن يسير منتقلاً في أنحاء البلاد .
ولقد بذل جهداً كبيراً في سبيل ترقية الجيش من الوجهتين المادية والمعنوية ، وصيغته بالمصنعة الوطنية . وذلك أن الجيش كان قد اضمحل في عهد عباس الأول ، كما تقدم بيانه . وعند الروح التي كانت تهب على صفات العظيمة والبطولة في عهد محمد علي وإبراهيم . فعلى سعيد علي أن يرد إلى الجيش صيغته الوطنية ، ويبدل جهداً كبيراً في إصلاح حاله فقرر تعمير مدة الخدمة العسكرية ، وجعلها في الوقت نفسه إجبارية للجميع ، وكان هذا الإصلاح أثر حسن في ترويض الانضباط في سلك الحندية إلى الأهل . لأن لتجديد محسب

النظام القديم كان مفصلاً على الطبقات الفقيرة (وهو الآن كذلك مع الأسف - سنة ١٩٣٢) . فقرر في أذهان الناس أن الخدمة العسكرية سخرة تنتمي بها تلك الطبقات ، وما زاد في نفور الأهلين منها طول مدة التجنيد ، فكان المهندسون تطول لحياتهم من أهلهم . وكثير منهم كانوا يلتقون حلفهم في الحروب المتواصلة التي حدثت في عصر محمد علي ، فيجهل أقرباءهم مصيرهم .

للاصلاح هذه العيوب قصر سعيد باشا مدة الخدمة العسكرية ، ثم عسما على جميع الشبان ، على اختلاف طبقاتهم . فجعل متوسط الخدمة سنة واحدة ، وبذلك أدخل في نفوس الناس الضمانية على مصر أبنائهم المهندسين ، واعتدوا بشعرون بأنهم سبيرون قريباً إلى قراهم وعائلاتهم ، وأمر أن تصمم الخدمة العسكرية ، بحيث يقتصر أبناء المشايخ والعلماء وأقاربهم كسائر الملاحين ، ولا شك أن هذه الوسيلة من شأنها أن تنهض بمجى الحندية ، وتزج الشبان في الخدمة العسكرية ، لأن العلم والمشايخ هم في الجسلة خلاصة أعيان البلاد ، فدخلوا أبنائهم في سلك الجيش تكريم للجدية ، وتقويم لشعور الشبان إذ يشعرون أن التجنيد واجب عام ، يشترك فيه الأصناف والفقراء على السواء .

وعلاوة على ما تقدم ، فإن سعيد باشا على بتربية حالة الجنود والرفية عبيهم من جهة الغذاء والسكن والملبس وحسن المعاملة ، حتى أعتدوا يشعرون أنهم تحت لواء الجيش أحسن حالاً مما كانوا عليه في قراهم ، طعاماً ، وسكناً ، وملبساً ومظهراً .

وكان لهذا الإصلاح أثره في إيلاف الأهل إلى الخدمة العسكرية ، وفي تقدم حالة البلاد الاجتماعية ، لأن المهندسين إذ يعودون إلى القرى بعد انتهاء مدة خدمتهم كانوا يتقنون إليها مبادئ النظام والتقدم والنظافة التي تعودوها في ظل الحندية .

ولو استمر العمل بهذا النظام طويلاً لألغت الأمة الخدمة العسكرية ، ولاعتادها الشبان من مختلف الطبقات

وكان سعيد باشا عيلاً إلى ترقية الصباط المصريين وإعطائهم حقوقهم في التقدم ، وفي عهده ارتقى كثير منهم إلى المراتب العسكرية العالية ، بعد أن كانت محصورة في الترك والشرابكة . وقد نقل عنه عرابي باشا خطبة ألقاها في مأدعة قصر النيل ، تدس على عواطف وطنية شريفة . قال مخاطباً الحاضرين من العلماء والرؤساء الروحانيين وأفراد الأسرة الحاكمة ، وكبار رجال الحكومة الملكيين والعسكريين

« أيها الأخوان . إني نظرت في أحوال هذا الشعب المصري من حيث - يح - وجوده مظلوماً مستعبداً لغيره من أمم الأرض . فقد توالى عليه دول ظالمة بكثرة . كحرب الردة (الحكوس) والآشوريين ، والفرس ، حتى أهل ليبيا والسودان واليونان . والرومان ، وهذه قبل الإسلام . هذه تعبد على هذه البلاد كثير من الدول بعده . كالأرمينيين . والساسانيين ، ومنه صين من حرب . وترك . ولأكراد ، والشركس . وكثير ما عذب مصر ما عليها حتى حلها في أوائل هذا القرن في زمن (يونانوت) . بحث في معتبر مصر مصر ما . فوجد على أن ربي بناء هذا الشعب وهذه تهديداً . حتى أحصاه صاعداً لا يحصى ببلاد خدمة صحيحة نافعة ، ويستقى بنفسه عن الأجانب ، لقد وطئت ناسي على يراز هذا الرأي من الفكر إلى العمل (١) .

ويقول عراي باشا في مذكراته تعليقاً على هذه الخطبة ، إنه لما انتهى سعيد باشا من إلقائها خرج المدعوون من الأمراء والعظماء خاضعين ، حائقين ، مذهوشين مما سمعوا ، وأما المصريون فخرجوا ووجوههم تهلل فرحاً واستبشاراً . ويقول إنه اعتبر هذه الخطبة أول حجر في أساس مبدأ (مصر للمصريين) . قال : « وعلى هذا يكون المرحوم سعيد باشا هو واضع أساس هذه النهضة الوطنية الشريفة في قلوب الأمة المصرية الكريمة »

هذا ما يقوله عراي باشا ، وهو قول لا يخار عليه ، ونضيف إليه أنه لو بقيت هذه الروح سالفة في عهد خلفاء سعيد باشا لما كانت البلاد في حاجة إلى شيوخ الثورة العرابية ، لأن هذه الثورة قامت لتحقيق المبدأ الذي إبعه سعيد باشا . فلو سار خلفاؤه على هذا المبدأ لم تعرض إلى دس إليه لمر بيوت في سكية وسلام ، ولكانت البلاد في حي عن قيام تلك الثورة ، التي مها قيل لها أو عليها ، فلا يستطيع أن يغفل تلك الحقيقة الحقلة ، وهي أنها أصبحت ماسلاد بـ الإحتلال الأجنبي . وليس يحى أن الاستقلال والاحتلال ضدان لا يجتمعان

ومن أعياه أخرى إنشاء (القلعة السعيدية) بالقناطر الخيرية . وكاد يقم بها أنحياناً وصلها بحيث تستطيع صد هجمات الأعداء من القاهرة إذا جاءوا من طريق النيل

على أن سعيد باشا كان لا يستقر على وثيرة واحدة في اهتمامه بشئون الجيش . ومرجع ذلك إلى ضعف إرادته ، وقلة حرمه . وتقلبه في الرأي . وقد كان هذا الخلل من مواضع ضعفه . فكثيراً ما لوحظ عليه أنه يرى في يومه يقبض ما رآه بالأمس . ولا يشت على رأي واحد فيها

(١) مذكرات عراي (كتف - من سر الأسرار) ص ١٦

هو يحي بريادة عدد الجيش إذا به بصره . فلا يبقى منه إلا التز اليسير في سنة ١٨٥٦ صرف معظم الجيش . ولم ين منه إلا ست أوط من المشاة . ثلاثة فركت من عربات . وبوكن من المدفعية . ولما سفر في رحلة إلى السودان أواخر سنة ١٨٥٦ اصطحب وطفين من الجيش وبقي لأوط لأبح الأخرى بالقاهرة والإسكندرية وبقي سوب . ثم جميع الضباط وجعل منهم مدرسة بالقلعة السعيدية بالقناطر الخيرية . وذلك لحوجه من أب يقوم الجيش ثورة في البلاد أثناء غيابه بالسودان

وفي سنة ١٨٦٠ أعاد الجيش ثانياً وأعاد إليه الضباط ، ونظم فيلقه . وكان فرصة الاستعداد للقتال حينها توترت العلاقات بينه وبين تركيا . بسبب مسألة قناة السويس . وقاد بعد هذا الجيش وحسبكره في مروط . وأقام هناك ثلاثة أشهر كان لا يثت خلالها يجرى للتاورات الحربية . وكان عدد الجيش وقتئذ ٦١,٠٠٠ مقاتل كما أحصاه إسمايل باشا سرهك في كتابه (ج ٢ ص ٢٧٥) ثم صرف معظم هذا الجيش بعد أن عادت العلاقات الودية بينه وبين تركيا .

وفي سنة ١٨٦٢ أعاد تنظم بعض الفرق ، وكان لا يقر له قرار إلا بين جنده ويلازمهم في معظم أوقاته .

وذكرته الميسورديتان دلبيس أنه نقص الجيش من سبع ألفاً إلى ثمانية آلاف أو عشرة آلاف مقاتل . وذلك لكي ينحصر أكبر عدد من المقربين لأهال الحفر في قناة السويس (٢) ومن هذا يتبين لك أن القناة . علامة على ما جلبته مصر من المضار كما سيحيى بيانه ، كانت من أسباب الضمحلل الجيش المصري .

البحرية

قلنا أن سعيد باشا نشأ نشأة بحرية ، وانتظم لـ سلك الأسطول قبل أن يتول الحكم . فكان ميالا نظيمه شأنه إلى إحياء البحرية المصرية ، بعد ما أصابها من الاضمحلل والإهمال في عهد عباس

(٢) وثائق من تاريخ القضاء كلسو غريبات دلبيس ج ١ ص ٢٢٢

وقد وجه حاجته فحلاً إلى ترقية شأن الأسطول . فلما عادت السفن الحربية المصرية من حرب القرم ، أمر بإصلاحها وإنشاء سفن أخرى جديدة ، ولكن الخطرا خشيت أن تعود إلى مصر قوتها البحرية ، التي كانت لها في عهد محمد علي ، فأوعزت إلى الحكومة التركية أن تمنح سمداً من غدة الأسطول . ورأى بسطوط هذا العمل موافقاً لما أراد الأسطول ، فوافق عليه . فصار خطراً يتهدد تركيا كما كان في عهد محمد علي ، فاستمع السلطان لندائس المجلدات وأصدر أمره إلى سعيد باشا بالكف عن إصلاح سفن الأسطول وإنشاء سفن جديدة إلا بأمره ، فكان ذلك سبباً لاصحلال قوة مصر البحرية ، وقد ذكر إسماعيل باشا سرهنا في كتابه حقائق الأخبار (ج ٢ ص ٢٧١) أن سعيد باشا إذ رأى أن معظم السفن الراسية أمام دار الصناعة بالإسكندرية لا تصلح للقتال إلا بعد إصلاح جسم وإياها إذا تركت وشأنها أصابها التلف ، أمر بتكسيرها وبيع أنشائها وإحراقها عالا يصلح منها ، وشرح معظم صباطها ، وأدخل الكثيرين منهم في الوظائف الملكية ، وخاصة في مطابخ الواسعة ، ولما أنشأ إدارة للملاحة النيلية ، وهي التي دعيته مصلحة (البحريّة) ابتاع لها كثيراً من البواخر النيلية ، واستخدم فيها بعض أولئك الضباط والجنود ، وهناك سبب آخر لاصحلال البحرية في عهد سعيد ، ذلك أن الدول الأوروبية أخذت تستبدل بالسفن الحربية الشراعية السفن الجديدة البخارية التي صارت الأساطيل الحربية تتألف منها ، ولكن مصر قصرت عن مجاراة الأساطيل الأوروبية في هذا المصار ، ومن هنا أسعفت البحرية المصرية في الضعف وآلت حالها إلى الاصحلال

ولو كان سعيد باشا على شيء من العزيمة التي امتاز بها أبوه العظيم لما ترك الأسطول المفسخ الذي بليت مصر في سبيل إنشائه ما بذلت من الجهود يقوده ويتكسر ، وما صدع أوامر السلطان في هذا الصدد ، بل كان عليه أن يعهد الأسطول ، ليصلح ما يخطب من سفنه ، ويحده بإنشاء السفن البخارية بدلا من السفن الشراعية ، لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك ، وهو الذي كان يحس به أن يقدر قيمة الأسطول إذ نشأ في البحرية يمارس فنونها وعرف مبالغها من الجلال وسحر الشأن

لعل إدراك سعيد شأن البحرية الحربية ، على أنه عني بالملاحة التجوية الداخلية والخارجية ، فأنشأ شركتين للملاحة ، إحداهما بحرية ، والأخرى نيلية

شركة الملاحة النيلية

فالشركة الأولى للملاحة النيلية . أسست سنة ١٨٥٤ والعرض منها نقل الحاصلات والمسافرين بطريق النيل على البواخر والسبب الذي دعا سعيد باشا إلى تأسيس هذه الشركة أن المراكب الشراعية التي تنقل الحلال والتاجر من دانسية أيلاد إلى الإسكندرية عن طريق النيل وترعة المحمودية كانت تتأخر في سيرها ، معاكسة الريح . فكانت تقطع المسافة بين القاهرة والإسكندرية في خمسة عشر يوماً . في حين أن البواخر تقطعها في ست وثلاثين ساعة . ولما كانت الإسكندرية تستمد أقواتها ومواد الغذاء من الداخل . فتأخر السفن الشراعية يؤدي إلى أزمة في الأقوات . وخاصة بعد أن زاد عدد سكانها . هذا إلى ما في استخدام مراكب الشراعية من تعطيل المواصلات التجارية عامة . فأسس سعيد باشا هذه الشركة لتسهيل سبل المواصلات النيلية عبر أن عجب هذه الشركة أنها شركة أجنبية ، مؤسوها من الأوروبيين . ومعظم رموس أفراد أجنبية . ولعل هذه أول شركة أجنبية أسست في عهد سعيد باشا ولم يكن من أعضائها من المصريين سوى رئيسها الفخري (الذي لم يكن له عمل ما) وهو ذو الفقار باشا وزير المالية ، أما أصحاب الامتياز فهم فيا عدا ذو الفقار باشا جماعة من المثاليين الأجانب من مختلف الأعجناس ، وهم السيد رويسر Ruyssenaers فتصل هولندا العام في مصر ، والسيد بولاني Poppoani ، وكوبنج بك Koenig Bey سكوتير سعيد باشا الأوروبي ، وموجيل بك Mougil Bey كبير مهندسي الري . وأبدي Aide وليويدياس ليغونس Lyghouines . ومدة امتياز هذه الشركة ١٥ سنة ، ومن شروط عقد تأسيسها . أنه عند وقوع خلاف بينها وبين الحكومة فلا يرجع الخلاف إلى التمسك بل بحكم بواسطة التحكيم . وأن بواخر الشركة ترفع العلم المصري باعتبارها تابعة لشركة مصرية سميت هذه الشركة (الشركة المصرية للملاحة البخارية) . ولم تكن مصرية إلا بالاسم وكان في إمكان الحكومة أن تشتري البواخر من مالها بدلا من الائتجار إلى رموس الأموال الأجنبية . وقد سوغ ناصر سعيد باشا إعطاء هذا الاسم لشركة أوروبية بقومهم أن يحكمهم عهد في الشركة بالقيام ببعض أعمال الإصلاح في ترعة المحمودية دون تكليف الحكومة المصرية بمقايها .

أخضر همدان باشا عن صلاح مروتها ووسعته . وعهد بذلك إلى شركة غوسه بروف
شركة (داسو) Dussau . وعاهد وباشا على إنشاء حوض عائش لبناء لإصلاح نهر
على بوسع داسو . وقد كتبت عن الإصلاح في عهد الخديوي إسماعيل

حروب مصر في عهد سعيد باشا

الشركت مصر على عهد سعيد باشا في حروبين :
الأولى : حرب القرم
والثانية : حرب المكسيك .

١ - حرب القرم

تقدم الكلام عن اشتراك مصر في هذه الحرب على عهد عباس باشا . وحسن بلاء الجيش
المصري في الدفاع عن (ماسترا)
وقد استمرت الحرب سنة وفاة عباس . وأرسل سعيد باشا عدة إلى الجيش المصري بها
وما يذكرون هذه الحرب أن المصريين عادوا فيها الشدائد والأهول ، إذ كانوا يقاتلون في
شدة لا يروى خلال شتاء عامي ١٨٥٤ و ١٨٥٥ ، ولقي الكثير منهم حتفهم في ميادين القتال ، أو
من فتك الأمراض . وقد داهموا دماغ محمد علي (ألباتوريا) ، وهي مدينة من شعور شبه
حريرة القرم ، احتلها الحلفاء لهزيمة مواقع الروس . انحصرت في شبه الجزيرة
واستشهد سيم باشا (فتحي) القائد العام للجيش المصري في حصار (ألباتوريا) . ذلك
أن الروس حاصروا مدينة صفة . وكان سليم باشا يتولى قيادة المصريين فيها . فيها هو قائم
بقيادة القيادة أصابته مصدبه في جهة رفته قتلا . ومع أن الروس تقدموا على المدينة . لكن
مقتل سليم باشا كان حصارا كبيرا أصابت الجيش . ووقعت وقد أتت في عوس الحسد
والصعبات

ذكر للسيد (فينزيني) Vingierner نيا مقته في كتابه (سلمان باشا) قال : إن
مصر شملت بالألم الشديد لزومه . إذ هددت فرنسا دنا في الكفاءة الحربية . وحلأ ربا عن
لجبر . اكتسب بشجاعته إعجاب رؤسائه وحقبة رملائه .

سبح مآخذ الزعة من النيل ، وتوسيع مصفا في البحر الأبيض المتوسط ، وتخليدها ،
وإنشاء طلمبات عند المظف لتضخيتها

شركة الملاحة البحرية (الشركة الخديوية)

أما الشركة الخديوية فهي شركة مساهمة للملاحة البحرية ، تأسست سنة ١٨٥٧ رئيسها الأمير
مصطفى حسين . برهم باشا . وعلمس إدراجها خطط من التوطيد والأحداث . وهم بوز
باشا (وكذا لم يورث) دانا ليريس . وله في عيبه أن يقوم بأعمال الرئاسة وعهد الله مث .
واسير ديمرير Dumrecher وحسن كامل مث وإسماعيل حوري لك . والسيد بين
وختار مث . وسيد ديمري Pasire ، والسيد روسمر . وسعيد الخدي ، وهو ح توريون
Huge Thurburn والسيد زكالي zacali

وتمت (القومية الخديوية) نسبة إلى اسم السلطان عبد الحميد الذي كان يتولى عرش
السلطنة آنذاك وقتئذ . والعرض بها سيرير البحر الأحمر وسه إلى المحيط الهندي
ثم الخليج لعرض في البحر الأبيض المتوسط . وكانت تقوم بالملاحة بين السويس ونهر
البحر . ونهر النيل والقصر وسواكن ومصروع ونقل الحجاج دعاء وباشا إلى شعور حصار وما
عواصر أخرى باسم الأمان المتوسط . ومدة إمتارها للآتون سنة . وبواترها ترفع الراية
المصرية . ومبارعتها لا ترفع أمام حاكم القضايات بل أمام الحاكم التجارية المصرية . ولها
مستودعات ومطابخ في السويس والقصر ومصروع
ولكن هذه الشركة قد سرى إليها الإصطلاح في أواخر عهد سعيد . لعدد إدارتها ،
فحبها الحكومة . ووبت مضمونها على عهد إسماعيل . وعادت الأسهم إلى أصحابها مصفلة على
عشر مئوت صعب مع وائلها ٣٤٠٠٠٠ حبة . وحلت محلها الشركة امبروية التي أنشأها
إسماعيل كما سيجي . بانه

إصلاح ميناء السويس

شغل حركة التجارة والمصر في السويس بعد إنشاء السكة الحديدية التي تصفها
بالقاهرة . وبعد إنشاء الشركة الخديوية للتجارة واتحاد السويس ميناء خطوط الملاحة في البحر

وذلك أنه كان عائداً بأسفله إلى الاستانة لإصلاح بعض السفن . هبت على الأسطول ريح عاصفة ، وتكاثرت عليه القنابل ، ففعل دون احتيازه بوعاز البوسفور بسلام ، واشتدت مقاومة هذه مدخل البوعاز . فاصطدمت السفيتان (مفتاح جهاد) (والنجوة) بالكرسي ، وغرق من هبما من الجنود والضيباط ، وعددهم ١٩٢٠ مقاتل . بينج منهم سوى ١٣٠ ، وكان من الفرق حسن باشا الإسكندراوى وسنان بك من قواد الأسطول المصرى .

وانتهت حرب القرم بعود تركيا وسلطانها على الروس وسقوط قلعة سيستول ، وأبرم الصلح سنة ١٨٥٦ في مؤتمر باريس الذى سلبت فيه أوروبا مطالب الحلفاء .

٢- حرب المكسيك

والحرب الثانية هى حرب المكسيك ، وقد تأخذك الدهشة من اشتراك مصر في حرب المكسيك بأمرىكا ، إذ لا ناقة لها فيها ولا حبل ، ولكن كذلك شامت بيول سيد نحو نابليون الثالث إمبراطور روسيا في ذلك العهد وصداقته له أن يعنى دعوته حينما طلب إليه أن يمدد بقوة بحرية مصر به تعاون لجيش الفرنسى بها .

كانت للمكسيك جمهورية تحتفلها الفتن والفتورات ، كما هو شأنها إلى اليوم ، وكان يتولى رئاسة جمهوريتها سنة ١٨٦١ المسمى جوارز Juarez ، قامت بالبلاد فتنة بقصد إسقاطه وإتزان السلطة من يده ، فسادت هذه الحركة قوى في نفس الإمبراطور نابليون الثالث ، واعتزم أن يصددها لسطه فمدد على المكسيك ويؤسس بها إمبراطورية تحت رعايته . وتفرغ إلى خلق الرعب الأوروبي في حرب الأهلية من المكسيك . فطالب الحكومة المكسيكية بتسوية هذه الحشائر فلما رفضت طلبا احتلها وأنشأها ، ثم مات هناك دون أن يفرغ . وسجدت له جميع حكامه . فمد جرد على المكسيك حشداً كبيراً من مدبريه في فرنسا . وسجدت في خلال الحرب بصلبته سيد باشا لفرعان ما أمده بكتيبة من مخوف السودانيين مهددهم ١٢٠٠ مقاتل ، يهودهم المكشاكى بحيرة الله محمد السودانى ، والصلح محمد القادى لأمس ، فغزب هذه القوى . المكسيك سنة ١٨٦٧ ، وأثبتت في الحرب هناك بلا حسنة . وشهد لها بشارب مورى Forey دونه جيش الفرنسى بالشجاعة إذ قال عن جهودها : « إن هؤلاء

وب من سيج يشا نصلى ، حصل سيد باشا على القيادة العامة لأحد باشا المكمل . ولا يدرى من مات مبارك (باشا) من أركان حربه . وكان وقتئذ بآخر المدرسة الهندسة ، وشترك في الحرب كما ذكرنا في رحلته بالعصر التاسع

ومن الجيش المصرى في حرب غزوة تدمر مستقلاً نحو شملو حسن ملاه في القتال حتى اسير فانزليه في كتابه (سليمان باشا) ما ذكرته في طحا الصلح جريدة الوزير

عربية قالت

« ثبت المصريون أنهم خير الجنود الذين دافعوا عن أبنائنا . وبالموا هذه المكاثرة دناها في حرب الدانوب . واحتسوا وحدهم معظم العصف في الدفاع عن فلسطين »

وقالت في مواطن آخر : « إن المصريين يهرون في الجيش التركى وفي البلاد التركية بالغرب . وطرقتهم في القتال تشبه طريقة تلك الشعوب الحربية التى تجس إلى الشجاعة والاقحام . الذكاء والنظام »^(١)

وشهد لجنرال اسمونت Osment أحد قواد الجيش الفرنسى في حرب القرم شهادة قيمة للجيش المصرى قال (من ٥٧٦ من « كتاب التقدم ذكره ») « لقد اشترك قسم من الجيش المصرى معنا في حرب القرم . وحين كتب محافظاً لاثوريا شاهدت فرقة من ذلك الجيش يبلغ عددها ١٢ ألفاً حدى . يؤلفون حراً من جيش مصر باشا ، وزيئت هذه الفرقة في المناورات الحربية . كما رأينا وهم يحوص عاز الحرب . حارب فرقتين من الترك . وأشهد بها كانت تفوق الفرقتين التركيتين في كل الزايا »

وقال الميبر مريو في كتابه مصر الحديثة بصف الجيش المصرى في عهد سيد باشا الحاسية حرب القرم

« إن كفاءة علاج المصرى في عهد نظام حرق ، وباعا يده . وما يشهر به من الشدة والشجاعة في مواجهه لأعداءه . كل هذه المزايا كانت عليها البينات ، لآلى ميدان القتال عبره . حرب وسوريا في عصر محمد على فحسب ، بل يحس دفاع الجيش المصرى عن مسند . وسند . في حرب القرم الأخيرة »^(٢)

وفد عرى لأبرال حسن باشا الإسكندراوى قائم الأسطول المصرى في تلك الحرب ،

(١) سنان باشا السير فاندنيه من ٥٧٢

(٢) مصر حديثة للسير مريو من ١٢

... من حدود نال هو سودا ، وسمرت الحرب مجددا بين الجيش الفرنسي و قوات
جونا ، وسب لامرصوره في عصمة مكسيك مرة من ارس وعزل عرشها
لا سودى مكسيك سوى سنة ١٨٦٤ . ثم كانت الغلبة لقوت الثورة . فعلا
الفرنسيون عن البلاد وقتل الامبراطور مكسيكيا ريبا بالرصاص سنة ١٨٦٧ . وفي عصور
ذلك ظلت الكنيسة المصرية تكافح في تلك البلاد المحيطة بعا وأربع سوت . قتل في حلاله
البكاشى حبرة الله . فحفظه الناس افتدى ، وفقى معظم رجالها ، ولم يبق منهم بعد ، وب
الحرب سوى بقية من صباطها ، وبو ثلثائة من جنودها ، ولما جلا جيش الفرنسي عن
المكسيك عادت الكنيسة إلى فرنسا ، فاستعرضها الامبراطور نابليون الثالث ، بصحبه القائد
المصري شافين باشا ، الذى كان يزور باريس وقتها ، فهنا الامبراطور انماى على
شجاعة الكنيسة وحسن نظمها ، وورع الأوصية على بعض المميرين من رجاله ، ورجعت إلى
مصر في مايو سنة ١٨٦٧ . فاستعرضها الخديوى اسماعيل سراى رأس التين بالإسكندرية .
وأمر بتربية طائفة منها ، وأقام لطيف باش وزير البحرية مأدبة لصباطها كرميا لهم ولشائر رجال
الكنيسة

السودان

مر عهد عباس الأول دون أن يتأهل السودان منه الصانعا . ولم يحدث في عهده مما يستحق
النظر سوى إنشاء المدرسة الابتدائية بالخرطوم ، وقد فصلنا الكلام هنا في كتاب « عصر محمد
على » (ص ٤٨٨ من الطبعة الأولى)

وتولى منصب الحاكم العام للسودان في عهد عباس خالده باشا الذى كان يشغله من عهد
محمد على ، ثم عبد النظيم باشا الذى أنشئت في عهده مدرسة الخرطوم الابتدائية . ثم رسمه
باشا وقد مات بالخرطوم ، ثم اسماعيل باشا قوجيل ، ثم سليم باشا ، ثم على باشا سرى
ولما تولى عباس الأول وحلفه سعيد باشا نال السودان نصيبا من اهتمامه ، فقد اقتضى من
يه فضيلة العناية بهذا الإقليم العظيم التمس لمصر ، وفي أول عهده جعل على باشا شركس
حكمدارا للسودان ، وأوفد أخاه الأمير عبد الحليم باشا للتفتيش على إدارته ، وإصلاح

(٨) راجع تاريخ هذه الكنيسة في البحث المسهب للشوق في مجلة مصر Revue d'Egypte سنة الأولى (١٨٩٤)
ص ١٠١ وما بعدها ، وما ذكره اسماعيل باشا سرحك في كتبه حقائق الأخبار ج ٢ ص ٢٧٦

سوته . ولكن لا مبرر لعل يمدد فيه . بغير وجهه يجعل ما بعده مصر
ثم اعترض سعيد بن يوزر سودى نفسه بتقدمه لخرجه كي لعل يمدد من مصر فذهب إليه
بصحبه طائفة من خاصه رحله وأصدقائه . مثل رعب باشا ودر عفا باشا وبرايم باشا
البرادى . وسير فرديت دسيس . والذكور لفته ساسا . وأر كليل باشا حتى يوزر باشا
وغيرهم ، ووصل إلى الخرطوم في ١٩ يناير سنة ١٨٥٧ والتقى بأعيان الأهلى . فقدموا له
عرائص شكون لها من فداحة الضرائب ، ومظالم الحكام ، فاستمع لشكايتهم ، وثالم
لحالهم ، وسد رته يوما فكرة إخلاء السودان ، ولكن أعيان البلاد ومشايخها توسلوا إليه أن
يبدل من رأيه ، محتجين بأن إخلاء السودان يؤدي لابعاء إلى تفاقم الحالة فيه ، إذ تفسد
القوى . فعزل سعيد عن رأيه ، واعترض إصلاح حاله . فأمر بإعفاء الأهلى من الخنزير عليهم
من الأموال . وحصل الضرائب تحصيلاً عظيم ووضيع فاعده ثلثة لتقدير قبشها بأن جعلها
تبع عدد سواقي في الأقطار ، لأن السواقي تبنى مبلغ حصص الأرض ، ودرجه إنتاجها ،
فجعل على مجموع الأرض التي تروى من ساقية واحدة ٢٠٠ قرش ، وأما الأقطار التي تروى
من غير حاجة إلى السواقي ففعل على القدان الواحد منها مصرية تزادح بين ٢٠ و ٢٥ قرشا
وقرر عزل الموظفين الترك الذين كان الأهالى يشكون من سوء معاملتهم ، واعترض تعويد
الأهلى حكم أنفسهم بإنشاء مجالس عليا مؤلفة من أعضاء يختارون من رؤساء العشائر
والمعالمات (٩) ، ورفع المظالم عن الأهلى ، وفك أسار الكثرين منهم ، ودم بالقاء
السحرة ، وأمر مديرى الأقاليم السودانية بأن يحسوا مدالة الأهلى ، وألا يرققونهم في حياة
الضرائب ، وفصى ألا يهدد إلى الجنود في تحصيل الضرائب لا لشهرتهم من القوة
ومن إصلاحاته بالسودان أنه أنشأ محطات في صحراء (كروسكو) . لتسهيل نقل البريد
والمسافرين بين مصر والسودان ، وتنظم البريد بين مختلف أنحاء السودان ، وأنشأ نقطة عسكرية
على نهر سومات لمنع تجارة الرقيق ومطاردة السحابة
ولما عاد إلى مصر عهد إلى موحيك بك كبير المهندسين تسهيل سبيل للواصلات بين وادى
حلفا والخرطوم ، فرأى موجيل بك أن خير وسيلة لإدراك هذا الغرض . بسكة حديد
ووضيع مشدعا بذلك . ولكنه لم يعد لكثرة مدافعه من لطفاب . وقد أنظر منصب
الحاكم لمد (حكمدار لسودان) . وجعل من سودى حرس مديريات مستقلة في إدارتها

(٩) ذكر ذلك السير فرديت دسيس في كتابه (ذكرت ربيع سنة) ج ٢ ص ٢٨٨

عصها عن مصر ، فرجع كل منها إلى منزله . في وزارة الداخلية ، شغل مدير مرشد لفضل
نصري ، وجعل من الخرطوم ومبار مديريّة وحدة وهي أراكيل بك وبار مديراً لها ، لكن
يشرف على الإصلاحات التي قررها ، وقد بقي على منصبه إلى أن توفي سنة ١٨٥٨ ، ثم خلفه
حسن بك سلامة حتى عزل ، وخلفه محمد بك وأصبح

ثم رأى سعيد باشا أن استقلال مديري لأقاليم جعلهم يخشون إلى الاستبداد والظلم ،
رسميون إلى الأهلين ، فألغى استقلالهم ، وأعاد منصب حاكم السودان ، وقد موسى باشا
حمدي هذا المنصب ، فكان من أعظم ولاية السودان شأناً ، وله فيه إصلاحات جمة ، منها
أنه عين من الأهلين نظار أقسام (أموري مراكز) ، ومعاونين ، وعقد ورؤسائهم مجلساً ،
وس قوانين جديدة لتنظيم الضرائب ، وتسهيل جبايتها

وقد قصد سعيد الرحلات والاكتشافات الجغرافية في أنحاء السودان ، فكثر عند
المكتشفين في عهده ، ولكنه لم يجد جنوداً في إيفاد بعثات مصرية كالبعثة التي أقدمها محمد
على إلى السودان بقيادة البكباشي سليم بك قبطان أحد ضباط البحرية المصرية ، بل ترك أمر
هذه الرحلات للمكتشفين الأجانب ، وهي ناحية ضمت وقع فيها هو وإسماعيل من بعده

رحلة سعيد باشا إلى الحجاز

قصد سعيد إلى الحجاز في أوائل سنة ١٨٦١ ، وتبدل ملابس هذه الرحلة على أن لها
غرضاً سياسياً ، فإنه لم يتعب إلى الحجاز في موسم الحج واقتصر على زيارة المدينة المنورة ،
وكانت الرحلة أنشأه بشريعة عسكرية ، إذ كان يصحبه من الحشد والحاشية نحو ألف رجل من
مشاة وفرسان ومدعية وأتباع ، واحتلفت الآراء في الباعث لسعيد على هذه الرحلة ، ويؤيد
من رواية محمد بك صادق (باشا) ^(١٠) الذي رافق الأمير في رحلته أن لها مبرراً سياسياً ، وهو
استدعاء الحكومة التركية إياه للحضور في آستانة ، فرفض الذهاب إليها ، واعتزم زيارة
لمدينة لكي يستعمل الأعداء ويحمد مسوغاً لرفضه ، وبدأ سعيد باشا رحلته في ١٦ رجب
سنة ١٢٧٧ هـ (٢٣ يناير سنة ١٨٦١) فغادر من القاهرة إلى السويس ، ومنها إلى (الوجه)

(١٠) في بحث التنوير مجلة الجمعية الجغرافية عدد مايو سنة ١٨٨١ ص ٩٩ تحت عنوان المدينة من عشرين عاماً
Medine il y a vingt ans



سعيد باشا والي مصر
من سنة ١٨٥٤ إلى ١٨٦٣

من نحو المحمد ، ثم سارت الحملة براً إلى المدينة المنورة . وصلها في أول شعبان (١٢)
 فبراير) ، وبعد أن دار سعيد باشا قبر المصطفى ﷺ غادر المدينة في اليوم السادس منه ، وصار
 إلى يبع ، ومنها استقل بالناحية (نجد) إلى السويس فوصل إليها ل ١٧ منه (٢٨ فبراير) .

التعليم

م يوحه سعيد باشا عابه في إحياء نهضة العلمية ، واستمر الجهد الذي أصابها في عهد
 عباس ، وهذا موضع تقدير شديد في تاريخه .

وقد حاول السيو (مريو) ، وهو من المسيحيين بسعيد ، أن يلمس موعظاً لهذا التفسير
 المحجب ، فلم يجد ما يبيض بظاهه ، قال في كتابه (مصر الحديثة) :

« لا يخفى أن المدارس قد أعملها عباس ، فأصابتها الأصحاحات والتدهور ، وبلغت حين
 تولى سعيد الحكم درجة من التدهور والقرص جعل الباشا يرى من الحكمة إقفالها نهائياً ، بدلاً
 من السعي في تنظيمها . إذ كان السعي عبثاً لا يجدي » (١١) .

وهذا دفاع كما ترى لا يسوغ عمل سعيد ، إذ ليس من العقول ولا مما يقبله الخلق أن
 يعالج التدهور في المدارس بإقفالها ، بل العلاج للشرع هو تنظيمها وإصلاحها ، وإذا كانت
 عزيمة عهد علي قد أوجدت المدارس من العدم ، فأسهل من ذلك إصلاح ما احتل من
 شؤنها

تولى سعيد الحكم وليس بالنظر المصري من المدارس التي أنشئت في عهد محمد علي سوى
 القدر اليسير ، فلم يعمل على إحياء ما انتثر منها بل ظهر عدم اكتماله بشؤون التعليم بلاءه
 ديون المدارس (وزارة المعارف) وكان يديره وقتئذ حيدى شكرى باشا وألقى أيضاً مدرسة
 الهندسة ببولاق سنة ١٨٥٤ ، وكان يولى نظارتها العلامة علي بك مبارك (باشا) فأعده
 سعيد ضمن الحملة التي أرسلها لمساعدة تركيا في حرب القرم وفتح هذه الفرصة لإقفال
 المدرسة ، وألقى أيضاً مدرسة (المفروزة) سنة ١٨٥٥

وأنشأ مدرسة حرية بالقلمة عهد بنظارتها إلى العلامة رفاعة بك رفيع وسميت مدرسة
 أركان حرب .

(١١) مصر الحديثة - قسمر مريو ص ٨٢

ثم أعاد سعيد فتح مدرسة الهندسة سنة ١٨٥٨ وجعلها مدرسة حرية نقلها إلى القلمة
 لسمعية بالقناطر الخيرية وسميت المدرسة الحرية ، وأعاد فتح المدرسة البحرية بالإسكندرية .
 وفي عهده أنقلت مدرسة الطب بقصر العبي ، ثم أعاد فتحها سنة ١٨٥٦ وأنشأ بها مدرسة
 للقبالات عهد بنظارتها والتدريس فيها إلى السيدة جليلة نمرهان التي نقلت علومها الطبية في
 مدرسة القابلات القديمة المنشأة على عهد محمد علي والمفاعة في عهد عباس .
 وفترت حركة البعثات العلمية فلم يرسل إلى أوروبا سوى ١٤ طالباً .

ومع جهود حركة التعليم إلى هذا الحد فإنه لم يخل على البعثات الأجنبية الدينية بمساعدته
 كي تفتح مدارسها ، لمع إعاناته سوية لأهاليات البرن باستور Bon Pasteur (الراعي
 الصالح) وكانت هي مدرستان بمصر والإسكندرية ، ولراحيات الصدقة بالإسكندرية ،
 وروهب للبعث الأمريكية ببناء بمصر لتتخذ مدرسة لها ، وأعطى أول مدرسة إيطالية أنشأها
 الحكومة الإيطالية بالإسكندرية إحانة قدرها ٢٤,٠٠٠ جنيه ، ووهب لها قطعة أرض في أجود
 جهات الإسكندرية لتنشئ بها المدرسة ، فكانت عنايته بنشر التعليم الأجبي أكبر من عنايته
 بنشر التعليم الأهم ، وهذا من متناقضاته .

نظام الحكم في عهد عباس وسعيد

النظام السياسي

بقى الحكم لى عهد عباس وسعيد حكماً مطلقاً بتولاه ولي الأمر إذ كان يجمع في يده
 السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ، فهو المرجع في كليات الأمور وجزلياتها
 وأعمل (مجلس المشورة) الذي أسسه محمد علي ، ويعقد على عهده حيناً وكان واة لنظام
 شورى (راجع كتاب « عصر محمد علي » ص ٥٧٢) فلم يظهر له أثر في عهد عباس وسعيد

المجلس الخصوصي

ذكرنا في كتاب عصر محمد علي (ص ٧٩) أن محمد علي أنشأ سنة ١٨١٧ مجلساً دعاه
 (المجلس الخصوصي) ، واختصاصه النظر في شئون الحكومة الكبرى ، وس اللوائح

وعوامين . وصادر التعليمات لجميع مصالح الحكومة ، وكان يرأسه يريهم .
وقد أعيد تأليف هذا المجلس في عهد عباس الأول بمقتضى لائحة صدرت في ٨ ربيع
آخر سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩) وتولى رئاسته الكتخدا باشا وهو أكبر موظف الحكومة .
وعصاؤه من كبار مدونات العلماء . واختص نظر مسائل العامة للحكومة وس اللوائح
ونقوانين وترتيب النظم العمومية وتنصيب رؤساء المصالح الكبرى ، فكان عزلة مجلس
الطار . وتولى السلطة التشريعية ، وشاركه فيها مجلس الأحكام . وقد بقى هذا المجلس قائماً
إلى أن دخله مجلس الطار في عهد إسماعيل

الوزارات

وفي سنة ١٨٥٧ أعاد سعيد باشا تنظيم الدواوين فجعل منها أربع وزارات وهي الداخلية ،
وقد عهد بها إلى الأمير أحمد رفعت ، والمالية وعهد بها إلى الأمير مصطفى فاضل والحربية
وتولاها الأمير محمد عبد الحليم ، والخارجية وتولاها اسطغان بك أحمد خوجي البعثات في عهد
محمد علي

النظام القضائي

مجلس الأحكام

وكان في البلاد منذ عهد محمد علي هيئة قضائية عليا تسمى (جمعية الحقاية) أنشئت سنة
١٨٤٢ وقد سميت هذه الهيئة منذ سنة ١٨٤٩ مجلس الأحكام ، وهو المجلس الذي كان له شأن
كبير في عهد سعيد وإسماعيل ، وكان بمثابة الهيئة الاستئنافية العليا في البلاد ، ويتألف من تسعة
أعضاء من الكبراء ومن عليين أحدهما حقي والآخر شافعي ، وكان أيت يشار به (المجلس
المخصوص) في السلطة التشريعية

مجالس أو محاكم الأقاليم

بقيت المحاكم الشرعية كما كانت في عهد محمد علي ، وبقوا اختصاصها في المسائل
المتعلقة بالأحوال الشخصية وانتقال الملكية ، غير أنه أنشئت محاكم أو مجالس جديدة

للمسائل المدنية والتجارية سميت (مجالس الأقاليم) ، بلغ عددها خمسة في بداية
تأسيسها . وهي (مجلس طنطا) ويختص بنظر قضايا الحرية والموتية والبحرية ، و (مجلس
محمود) ويختص بنظر قضايا الدفعية والشرقية والقبليوية ، و (مجلس العرش) ويختص بنظر
قضايا الخيزة ونسباً وبنى برار وبنى سويق والميوم ، و (مجلس جرجا) ويختص بنظر قضايا
أسيرط وإسنا وقتا ، و (مجلس الخرطوم) ويختص بنظر قضايا السودان
وكان كل مجلس يتألف من رئيس وأربعة أعضاء ، وأربعة كتاب عدد (مجلس محمود)
قابه يتألف من رئيس وعصوين

وعين بكل مجلس اثنان من العلماء بوظائف معينين أحدهما حقي والآخر شافعي .
وكان (المجلس المخصوص) و (مجلس الأحكام) يصدران اللوائح والقوانين لهذه
المجالس ، فكان بمثابة الهيئتين التشريعتين في البلاد ، ويتبين من ذلك أن مجلس الأحكام فوق
كونه هيئة قضائية عليا كان أيضاً هيئة تشريعية

ولاية القضاء

إن أهم إصلاح قضائي تم في عهد سعيد أنه نال من السلطان حق اختيار القضاة بعد أن
كان العمل جارياً على أن قاضي القضاة المولى من قبل السلطان هو الذي يمينهم^(١٢) .
وهذا الإصلاح فضلاً عما فيه من تحقيق الاستقلال القضائي لمصر فإنه منح مصدرها من
مصادر الفساد في النظام القضائي ، فإن قاضي القضاة كان يعين القضاة حسبما يحل عليه
أهواؤه ، وكثيراً ما يجعل تعيينهم مقابل جعل من المال ، وفي ذلك من إفساد القضاء ما لا يحصى
من الأدهان

إلغاء مجلس الأحكام ثم إعادته

وفي سنة ١٨٥٥ غضب سعيد باشا على مجلس الأحكام ، فأصدر أمراً بإلغائه . ودل
سبب هذا الإجراء اعتقاد سعيد باشا أن أعضاءه لم ينجحوا طريق الاستفادة ، وقد أمر بإحالة
الدعوى التي كانت من خصائص المجلس على الأمير إسماعيل باشا (الخديو) وكلفه عرض

(١٢) مصر الحديثة للسياسة ص ١

م يرم عروشه على سعيد باشا ذاته ، أى أنه لم يشئ هيئة أخرى مكان مجلس الأحكام
كـ . ولكنه رجع وأمر بإعادة تأليف مجلس الأحكام وأستد رثسته إلى الأمير إسماعيل
سنة ١٨٥٦ ، وألفه من عشرين عضواً منهم أحد عشر عضواً من الأعيان ونسبة من
المدون

ولم يمس عامان على تأليف هذا المجلس حتى عاد سعيد باشا وغصب عليه ، وكان سعيد
مشهوراً بكثرة ثقليه في الآراء والميول ، وسبب غضبه أنه انتهى إليه أن أعضاءه يركبوا رهوة
في قضية عرضت عليهم ، فارتأى إلغائه سنة ١٨٦٠ وألفى كذلك (مجالس الأقاليم) .
على أنه عاد بعد ذلك سنة ١٨٦١ وأمر بإعادة مجلس الأحكام وعين محمد شريف باشا
(الذى صار فيما بعد الوزير المشهور) رئيساً له ، وكان من قبل ناظراً للخارجية ، وأعاد كذلك
مجالس الأقاليم ، ولكنه اقتصر منها على مجلسين ، أحدهما بطنطا ، ويختص بنظر قضايا الوجه
البحرى ، والثاني بأسيوط ، ويختص بنظر قضايا الوجه القبلى .

وكان العمل أمام (مجلس الأحكام) ومجالس الأقاليم يجرى طبقاً للقانون العثمانى والقوانين
التي أصدرها سعيد باشا .

وكان مجلساً طعناً وأسيوط يمكنان ابتدائياً في المنازعات ، ومجلس الأحكام بنظر فيها بصفة
استئنافية ، ولما تولى الخديوي إسماعيل أعاد تأليف مجالس الأقاليم بأن حصها في المديرية كما
سيجيء بيانه .

قضاء الأجانب

بقيت محاكم التجارة التي أنشئت في عهد محمد علي قائمة إلى عهد سعيد وإسماعيل وهي
لسميه (مجلس البحار) في الإسكندرية ومصر ، وكاتب المحاميات والصعيات تنظر في
المشاكل الخاصة بالأجانب ، ولكن كثرة نزوح الأجانب إلى مصر وما امتتبه من ازدياد هذه
المشاكل جعل جهات الإدارة لا تستطيع التصرف لحسمها ، فأنشئ سنة ١٨٦١ مجلس خاص
باسم (مجلس مصر) أو مجلس القومسيون ، يتألف من رئيس مصري وعضوين مصريين .
وعصرو أوروبي ، وآخر يوناني ، وعصرو إسرائيلي ، وآخر أرمني^(١٣)

(١٣) انظر كتاب الامانة ص ١٢١ يقول من ٨٥ طبعات .

ويختص بنظر القضايا التي ترفع من لأحساب على الرعايا المقيمين ، وللقصليات أن ترسل
مدوناً من بينها حضور الجلسات ، وحكمه تستأنف أمام (مجلس الأحكام) ولم يكن من
حصصه حق الاستئناف ، فصار ، بل كان النظر فيها من اختصاص المحاكم الشرعية
بعد ذلك وقتذاك محاكم مدونه في بلاد

ثغرات التدخل الأجنبي

جتمعت في سعيد باشا عيان جوهريان ، الأول : ضعف إرادته وقلة حظه من الخرم
والمرء . والثاني : وهو أكبر خطراً وأسوأ أثراً من الأول ، وهو به ثقته بالأجانب ثقة
مطلقة . بحيث لم يكن يقوى على أن يخالف لهم رأياً ، أو يرد لهم طلباً ، وقد اتحد منهم بطانته
وموضع سره ، فامتحت في كيان مصر ثغرات التدخل الأجنبي ، وأهم هذه الثغرات منح
امتياز قناة السويس ، والاستفادة من البيوت المالكة الأجنبية .

١ - امتياز قناة السويس

نظرة عامة

بعد مؤرخو أوروبا ، والفرنسيون منهم خاصة ، مشروع قناة السويس مصخرة سعيد باشا ،
ويقولون إنه هذا العمل قد أدى أعظم خدمة للإنسانية والحضارة ، وهم هنا يقولون إنما
يسطرون إلى هذا العمل من وجهة النظر الأوروبية ، فلا شك أن قناة السويس قد أفادت
التجارة الأوروبية فوائد كبرى . بتقريباً طريق المواصلات بين أوروبا والشرق ، وأفادت أيضاً
الاستعمار الأوروبي ، لأنها مكنت الدول الاستعمارية من إرسال الحملات والتجاريد الحربية
من حرس هذه إلى آسيا وأفريقية لإحصاع ممالك لشرق وشعوبه ، ورفعت من تلك الدول
مشتات اختيار طريق الخط الأطنطى ورأس الرجاء الصالح ، ذلك الطريق الطويل المعروف
بالمكاره والأخطار .

من لوجهة الأوروبية لا جدال في أن فتح قناة السويس عاد بأعظم الفوائد على التجارة
الأوروبية والاستعمار الأوروبي .

أما من وجهة النظر المصرية . فالمسألة كانت شؤناً على البلاد واستقلالها
 منها دول الاستعمار ، وجعلتها تسعى سعيًا حثيثًا للاستيلاء على مصر . وتضاعف جهودها
 لتدعيم تحقيق هذا الغرض . ومن المضحك أن مساعي إنجلترا خاصة في احتلال مصر قد
 تصاعقت ولتشدت بعد أن شقت القناة أرض مصر ، وجعلتها في ذلك أب لبرادير الأحداث
 على هذا الطريق الجديد الواسع إلى الهند ، وتستأثر بوضع يدها عليه ، وهي حجة لا أساس
 لها من الحق والإنصاف ولكنها الأمر الواقع الذي توحى به مطامع القنص والاستعمار . فأنجلترا
 بعد فتح القناة صارت أكثر تطلعا وأقوى نفوذاً إلى احتلال مصر ، فلا عجب أن كانت مصر
 محمية قناة السويس ، تلك حقيقة واقعة ، كان يجب أن لا تهتم بمسألة باشا عندما منح
 امتياز القناة ، وأن يعطى إليها إسماعيل باشا عندما بذل تأييده للمشروع بعد اعتلائه العرش
 حتى وصل به إلى عاينه .

وإذا كان المؤرخون الإنجليز يعدون مشروع القناة أكبر مقخرة لسعيد باشا . فإننا ننده
 بالعكس أكبر خلطة له في تاريخه ، لأنه بسببه هذا قد فتح باب التفتت الاستعماري في مصر
 على مصراعيه ، وجعلها هدفاً للمطامع الأوروبية .

ويريد أن يثبت أنه كان عالماً برأى أبيه العظيم محمد علي ومعارضه في فتح القناة ، وعلم
 عندما منح امتياز أنه خالف وصايا أبيه الذي كان يعد القناة يوسفياً ثانياً يحمل مصر
 واستقلالها عرضة للخطر .

إن المسألة المصرية قد دخلت دوراً جديداً بعد فتح القناة ، إذ صار ينظر إليها كأنها هي
 مسألة قناة السويس ، فكأنها أصبحت فيها ، وتبدلت أوضاعها تبعاً لهذا التبدل
 ينظر إليها من ناحية الدول الاستعمارية مرتبطاً بوجهة نظرها في مسألة القناة . ومعموداً
 جعلت حصصاً في مسألة القناة أو تسعى جهدها في وضع يدها عليها وعلى لاصح التي
 تخارها . وأن يكون يدها مفتاح القناة ، ولدت وصفت نصب عجيباً أن على مصر بعد أن
 فتح هذه الطريق البحرية الخطيرة لواصلتها إلى مستعمراتها في الشرق .

فصح مسألة بعدد في تأثيره لاستعماري بالنسبة للمسألة المصرية غروب
 هناك أن الحملة الفرنسية جعلت إنجلترا تنقطع إلى احتلال مصر ، كحدث كان شأن قناة
 السويس . والفارق بين الحادثين أن إنجلترا قد أعقبت في تحقيق مطامعها التي أثارها الحملة
 بمرسية . ورادت عن الكفافة دون أن تنال منها مبالاً . وسويت المسألة المصرية في مصر

محمد علي طبقاً لعاهده لندن سنة ١٨٤٠ ، بحث المعاهدة التي كتمت مصر استقلالها الداخلي
 لها . وبقيت المسألة مصرية ساكنة على مباح ذلك لعاهده من أن فتح القناة . ومن ثم
 بعثت "وضعها" . وسعت إنجلترا من جديد في تحقيق طامعها القديم التي أحسب حلال
 الصنف لأول من عرف التاسع عشر . فلا حرج أن كان فتح القناة مقدمه دور جديد بمسألة
 مصرية . ولقد كان هذا الدور شؤناً على البلاد . إذ ختمت فيه لظرف سيئة هي مكسب
 تخلف من تحقيق طامعها في مصر . فإن فتح قناة في دمه ، وبيع إسماعيل أسهم مصر فيها إلى
 حكومتها الأخيرة . وهذا الأخير أن خطر أو خطره هو لاحتلال

فبعد ما لم ينظر إلى القناة كعمل حيوي لمصر ، وأغلب نظر أنه لم يوازن بين مزاياها .
 ومضارها . بل نظر إلى فائدتها للإنسانية فحسب ، ولقد زينت له مضائق السيوف مريدين
 وليس أنه بهذا العمل يعد من أكبر خدمات الحضارة ، ويدعى أن النظر إلى القناة من وجهة
 فائدة للإنسانية هو وهم لا يبيح بالأمم التي تقدر معنى الوجود والحياة ، لأن حواء الأمة
 واستقلالها مقدمان على كل خدمة عامة للإنسانية ، وليس في تاريخ الشعوب قديماً وحديثاً أمة
 رغبنا أن تضحي بأية مصلحة لها منها ضللت ، بله استقلالها ، في سبيل خدمة الإنسانية .
 فالحق أن هذه الأوهام لا تخرج إلا عن الأمم المستضعفة ، فبما عكس يرى الأمم التي
 تتجدها مثلاً للتقدم والعظمة تنبأ بذلك الأوهام ، وتضحي بمصالح الأمم والإنسانية جمعاء
 لتحقيقاً لأطماعها الاستعمارية بل تشيخ كل الوسائل في سبيل السيطرة على العالم ، واستعباد
 لشعوب

من أصعب النظريات وأبعدها عن العقل والمنطق أن يقال إن سعيد وإسماعيل يستحقان
 الإعجاب لأنها جعلتا الإنسانية بإنفاذ مشروع القناة . والحقيقة المؤلمة أنها بعملها هذا قد مهد
 السبيل لاحتلال إنجلترا مصر

والآن سنقول من أجل إلى التمهيد فنقول : إن سعيد باشا منحته السيوف وليس امتياز
 القناة قد جلب على البلاد مصر جسيمة تذكرها فيما يلي .

أولاً : أن القناة عرضت استقلال مصر للخطر . ولم يكن هذا الخطر ليحس من ذي
 بصيرة في الأمور . فقد أدركه سيمبير لأوروبيين من يومئذ في مشروع
 وما يذكر في هذا الصدد أنه دائماً مع الامتياز كتب المستر بروم Bruce فصل إنجلترا
 لـ . وقد برز حجة من سبب

دياد المواصلات التجارية بين أوروبا والبلاد الواقعة على البحر الأحمر ، وستتطعم مراكز الدول الأجنبية في هذه البلاد .. ومن المنتظر أن تحدث منازعات بينها وبين تلك لشعوب فتتجه دويحة إلى التدخل المسلح في شربها . وهذا التدخل يقص إلى الاحتلال السام . ويتوقع أن تحدث هذه النتائج في مصر فليها :

فهذا التزو الذي أحركه القنصل الإنجليزي سنة ١٨٥٤ هو ما كان يجب أن يتوقعه كل من عده قليل من بعد الطرق السياسية ، وهو ما وقع على مر السنين ، وإن انجلترا بعد أن تم فتح القناة سمحت سميتها في احتلال مصر ، ولم ها ذلك سنة ١٨٨٢ أي بعد اثني عشر عاماً من افتتاح القناة للملاحة ، إذ كان افتتاحها سنة ١٨٦٩ ، ومن مصادفات القدر أنه عندما فتحت القناة كان للسفر غلامسون على رأس الورادة الإنجليزية ، وعندما احتلت إنجلترا مصر سنة ١٨٨٢ كان هو أيضاً يشغل هذا المنصب .

ويدخل في هذا السياق ، أنه لما اشتدت معارضة إنجلترا في فتح القناة ، وجرت مفاوضات بشأن إتقانها بالدول عن مطرئتها ، كان مما اشترطته الحكومة الإنجليزية لموافقتها على المشروع احتلالها السويس ، وجايتها للقناة ، فبينما من ذلك أن إنجلترا لم تكن تحقق نياتها الاستعمارية نحو مصر عند إنشاء القناة ، ولم يكن حقيقياً أن هذا المشروع يجعل استقلال مصر هدفاً لمطامعها الاستعمارية .

وفي هذا الصدد يقول مؤلف (تاريخ مصر المثل) وهو من الكتاب الأوروبيين المشهود لهم بالاعتدال وأصانة الرأي : « إن منح امتياز القناة إلى السويس دليس قد فتح أبواب الدلتا على مصراعها للأوروبيين »^(١٢)

ويقول المسير كوشري Cocheris : « إن هذه الاتفاقيات المالية والتدخل الأوروبي المشعوم في شئون مصر يرجع في الحقيقة إلى سنة ١٨٥٤ وهي السنة التي منح فيها امتياز قناة السويس إلى السويس دليس »^(١٣)

ثانياً : أن سعيد باشا يقوله إنشاء القناة على يد شركة أجنبية فتح ثمة ، ثابة سندسج الأجنبي ، وكان الضرر أخف وطأة لو فتحها مصر بنفسها ولحسابها

(١٢) تاريخ مصر المثل ص ٣ قرئت لم يظن أنه (وجه المسير بايونر Papout) ويعد كتابه من أهم المراجع في بلاد حالة مصر الحالية على عهد سعيد وإسماعيل

(١٣) المركز الدولي لمصر والسودان المسير كوشري ص ٦٧

ثالثاً : أنه أسرف في منح الشركة امتيازات وحقوقاً جعلها مبركة مصر في سيادتها وحطت بها حكومة داخل الحكومة كما ينبغي . بيانه واجباً . لم تستد مصر من الوجهة الاقتصادية فائدة مآمن القناة سبل على العكس أضرتها اقتصادياً ، لأن طريق التجارة بين أوروبا وشرق تحولت من داخل مصر إلى القناة المائية التي أصبحت ملكاً لشركة أوروبية ، فحسرت مصر الأرباح التي كانت تعود عليها من مرور القارح في وسط الدلتا بطريق النيل أو السكك الحديدية المصرية ، وانتقلت هذه الأرباح إلى شركة لقناة . وهذا من غير شك خسرا كبير .

رابعاً : على الرغم من مضار المشروع لمصر فإنها أنفقت عليه من مالها ثمة وستة عشر مليون حبة ، بذت في أسهم اكتسبت فيها ، وأملك تارلت عبا ، وأعمال قامت بها ، وتعرضت أديتها للشركة ، وقد خسرت هذه الملايين في وقت كانت أحوال ما تكون إليها ولإتقاد مشروع كان شؤماً عليها من كل الوجهة

ولئن عادت القناة يوماً إلى مصر فلا يمكن أن ننسى أن مصر خسرت فيها ثمة ثمة باهتلاً وتضحيات جسيمة ، ويكفي أنها بذلت لها ستة عشر مليون جنيه من أموالها ، ثم حرمت ما هو أقر من المال ، وهو الاستقلال ، وعندما تسترد مصر استقلالها تاماً فتكون قد حرمت استقلالها بسبب القناة رديماً طويلاً من الزمن ، وهو حرمان لا يبرص بمال .

نبذة وجيزة في تاريخ المشروع

لم يسس لحكومة مصرية قديمة أو حديثة أن وصلت البحرين الأصص والأحمر بقناة ملحة عنق بوزخ السويس

في عهد الفراعنة والفتح الإسلامي

وإنما وقع الاتصال عن طريق النيل ، فكانت قربة الفراعنة لقدمه مخرج من فرع النيل الميولرى القديم ، وتسير معجادة وادي الطميلات ، ثم تنلق جنوباً فتصغرق البحيرات المرة ثم نصب في البحر الأحمر

وفي عهد الفتح الإسلامي أنشأ عمرو بن العاص « الحنيج » للمروء عنيج أمير المؤمنين .

بعد الحفنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٣ هجرية ، وكان يصل النيل بالبحر الأحمر ، ويبدأ من مصر القديمة ، حيث يندى خليج مصر اليوم حتى القاهرة ومنها إلى بحرية . ومنها إلى القنطرة ، ثم يتبع آثار ترعة الفراعنة القديمة .

في عهد الحملة الفرنسية

وفي عهد الحملة الفرنسية فكر نابليون في أسلافه في الجزء الأول من تاريخ الحركة القومية (ص ١٢٤) في وصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط ، وعهد بطرس هذا المشروع إلى المسير (لويير) كبير مهندسي الري والطرق والحسور ، فتمشى عامين في درسه وفحصه ، وعاون فيه بعض مهندسي الحملة ، وقدم تقريراً إلى نابليون بعد مغادرته مصر ، وكان تصمم المشروع كما وضعه المسير لويير أن تمر قناة من السويس إلى البحيرات المرة ، ويغادر حفر خليج أمير المؤمنين إلى أن يتلاقى مع بحر موسى بقرب بوباسط (الزقازيق) ، ومن بحر موسى إلى مرج دمياط ، ومنه إلى ترعة الفرعية ، ومنها إلى فرع رشيد ، ومنه إلى الإسكندرية بواسطة ترعة الإسكندرية ، ويحدد المسير لويير أيضاً فكرة وصل البحرين رأساً بواسطة ترعة أخرى تمرق بروج السويس ، فيما بين بيلوز (العلية) على البحر الأبيض المتوسط ، ومدينة السويس على البحر الأحمر ، غير أنه اعتقد خطأ أن البحر الأحمر يطلو عن سطح البحر الأبيض بحر تسعة أمطار ، وقد نشر لويير مشروعه في كتاب (تخطيط مصر) بالخزنة الحادية عشر ، ومنه بحث مستفيض عن تخطيط ترعة الفراعنة القديمة ، وخليج أمير المؤمنين ، وتخطيط الجهات التي يتخذ فيها المشروع ، ونقشات إنقاده ، ويقع هذا البحث في أكثر من ثلثائة صفحة ، وهو من أجل الأبحاث التي وضعها علماء الحملة الفرنسية

في عهد محمد علي

جاء المسير فردينان دلسنس إلى مصر لأول مرة سنة ١٨٣١ ، على عهد محمد علي باشا ، سرياً منصب مساعد للتفصيل لفرنسي ، فأبدى الباشا نحوه عطفاً كبيراً لما كان يبه ويؤيد به . فكانت ماتبو دلسنس Mathieu Delessens من صلات الصداقة القديمة منذ كان طفلاً في فرنسا في مصر سنة ١٨٠٣ . وعمل فردينان دلسنس بالأمير محمد سعيد ، إذ عهد

إليه أمره أن يعنى بتربيته الرياضية ، فظم لأمره من يده أنواع الرياضة والمهارة في ركوب الخيل ، ومن هنا نشأت صلات الود بينه . واستمرت صداقتها طويلاً حياة سعيد باشا وقد وقع في يد السيد دلسنس وهو في الإسكندرية تحت الميول لير عن وصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر . وأكسب على هذا الصداقة يديته درساً دقيقاً ، فلم يلبث أن انجذبت نفسه إلى تحقيق مشروع الاتصال بين البحرين بقناة بحرية ، ثم انقل من منصبه بالقاهر المصري ، وطوحت به المناصب السياسية إلى مختلف الأقطار ، على أنه كد لا يتأخر في أمر هذا المشروع

لجنة سنة ١٨٤٦

وكان مشروع وصل البحرين بقناة ملحة موضع البحث والتفكير في أوروبا بين مختلف المهندسين من يوم أن وضع المسير لويير تقريره عند في عهد نابليون ، وكاه الخطأ الذي وقع فيه المسير لويير إذ ظن أن البحر الأحمر يطلو عن سطح البحر الأبيض بتوسعة أمتار عقبة يراها رجال الفن حائلة دون إمكان وصل البحرين عن طريق بروج السويس على أنه في سنة ١٨٤٦ تألفت من بعض المهندسين من مختلف الأمم لجنة لدراسة مشروع حفر القناة ، وجاء أعضاؤها إلى مصر لفحص المشروع في أواخر عهد محمد علي . واستمروا على عهد عباس ، وعاونتهم الحكومة في إجراء تلك المباحث ، وعهدت بتخطيط المواقع إلى بعض كبار المهندسين مثل لبنان بك (باشا) وسلامة أفندي إبراهيم (باشا) وإبراهيم بك رمضان وطائل أفندي وغيرهم ، وانتهت اللجنة إلى فرق مستوى البحرين ليس أمراً ذا بال ، ورأت الوصول بينهما بشق ترعة تحتاز الدلتا

وكان محمد علي من البداية معروفاً عن مشروع القناة ، فغير راضٍ فيه ، لما يتوقعه إذا تم من العرق والوجعة . فلم يستجب لدعوة المهندسين والملايين الأوروبيين الذين رغبوا له المشروع ، بل كان يرددهم بلطف وحكمة . ويدهمهم ويمسهم ، وفي الوقت نفسه يفسر الإعراض عن هذا المشروع حتى انتهى حكمه .

وقد بلغ به حد النظر أنه لم يقبل أن يعهد إلى شركة إنجليزية مدسكة حديد بين القاهرة والسويس ، حتى لا تكون هذه السكة درنة إلى لتخلص الأجبي ، وكذلك أعرض عباس

١- لأول من مشروع القناة ، وضرب صفعاً على أبحاث اللجنة ، وحارب سيو فريدان
دلس أن يضعه بمائدة المشروع ، وأرسل تقريراً عنه إلى السيد رويس Ruysenaers قنصل
هولندا العام في مصر ليحرضه على عباس ، ولكن الفكرة لم تلق من الأمير قبولاً . وبعد فكرة
ب تسهيل سبيل المواصلات بطريق البر بين الإسكندرية والسويس . بدلاً من شق ترعة ملحة
في البحرين ، فأصلح الطريق بين مصر والسويس ، وجعله صالحاً لمرور العربات من عناء
ولا مشقة ، ثم شرع في إنشاء سكة الحديد بين الإسكندرية والقاهرة كما تقدم بيانه . وبس
السيد دلس من نجاح مشروعه على يد عباس الأول .

في عهد سعيد

فلما مات عباس وتولى الحكم سعيد باشا استبشر السيد فريدان دلسي خيراً بنجاح
فكرته ، على يد صديقه القديم ، فأرسل إليه يتهنئ بارتقاء العرش ، ويطلبه مزمعاً على الحضور
ليقدم له فروض التهنئ ، فاجابه سعيد على تهنئته ، واستدعاه إلى مصر فسرعان ما جاء
الإسكندرية (في نوفمبر سنة ١٨٥٤) ، وقابله الباشا بمضافة كبيرة ، فأكفراً صلاته القديمة ،
ثم اصططحبه في رحلة من رحلاته الحرية التي كان يسير فيها على رأس جندته . وسار معه من
الإسكندرية إلى مصر عن طريق الصحراء الغربية ، وكان الأمير يقود في هذه الرحلة حيث
مؤلفاً من عشرة آلاف مقاتل

ماضم السيد دلس هذه الفرصة ليغاثع سعيد باشا في أمر المشروع ، وكان لهارته في
ركوب الخيل أثر في تمهيد السبل لنجاح مساهمته ، ذلك أنه امتلأ صهوة حواد أهداه له
الأمير ، فوثب به يوماً من حاجز من الأحجار ، على مرأى من قواد الجند من حاشية سعيد ،
فأعجبوا به بمهارته وفروسيته ، وفي مقدمة المصحين به ذو الفقار باشا وزير المالية الذي كانت
له منزلة كبيرة لدى سعيد باشا

في اليوم التالي . فاتح السيد دلس سعيد باشا في أمر المشروع ، وزيّر له أنه إذا وقع
اليده حظه ذكره واكتسب ثناء العالم بأسره (١٦) ، بالرغم من أن سعيد باشا كان يصرح بأنه
لا سائل وصايا أيه في الإعراس عن فتح القناة ، فإنه صنف أمام إغراء السيد دلس .

(١٦) مراسلات وريب . ١٥ - من قناة السويس السيد دلس ج ١ ص ٤

وقبل المشروع ، ووعده بمساعدته ، وتزويده في حقيقته ، واستدعى قواد جندته ، وعرض عليهم
الفكرة ، وكانوا متأثرين إعجاباً بفروسيه السيد دلس ، فادعوا إلى استحسان المشروع .
دون أن يحشوه ، أو يواربوا بين مصره ومزايده ، فكانوا هم وسعيد في قصر النظر سواء
فانظر إلى ما صارت إليه شؤون الدولة في عهد سعيد ، وكيف كانت عظام الأمور يت فيها
من غير بحث أوروبية ، ولا نظري عراقي ، وهذا من أسباب الضعف الذي أصاب مصر في
عهد خلفاء محمد علي ، وإنه لما يدور إلى العتشة والألم بما ، أن مشروعا خطيراً كقناة
السويس يقر في رحلة صحراوية ، من غير تمحيص ولا تفكير ، وأن عرود إعجاب رجال
الدولة بفروسيه السيد دلس ومهارته في ركوب الخيل كان كافياً لإقرار المشروع . !
، ولم يفت السيد دلس ملاحظة هذه الحقيقة المؤلمة ، قد أشار إليها ، في شيء من التكميم
والسخرية ، قال في هذا الصدد : « جمع سعيد باشا قواد جندته ، وشاورهم في الأمر ، ولا
كانوا على استعداد لتقديم من يبيد ركوب الخيل ويقفز بجواده على الحواجز والمخادق أكثر من
تقديمهم للرجل العالم المثقف ، المحلوا إلى جانب ، ولا عرض عليهم الباشا تقريراً عن
المشروع ، بادروا إلى القول بأنه لا يصح أن يرضى طلب صديقه ، وكانت النتيجة أن مسحى
الباشا ذلك الامتياز العظيم » (١٧) .

وقال في موضع آخر : « بعد أن قبل سعيد باشا المشروع واستدعى قواد جندته ، ودعاهم
إلى الجلوس أمامه ، وقص عليهم الحديث الذي دار بينا ، وطلب إليهم أن يبدوا رأيهم في
مشروع صديقه » ، فلم يكن من هؤلاء المستشارين ، وقد فوجئوا بهذا الاقتراح وهم أقلو
على إنشاء الرأي في منظومات الخيل منهم في التكلم عن مشروع عظيم لا يستطيعون فهم
مرامي ، إلا أن نظروا إلى بجله أعجبهم ، كأنما يريدون إقناعهم أن صديق مولاهم الذي رأوه
يقفز على الحائط راحكاً بجواده بثلث المهارة ، لا يمكن أن يدل إلا بأمره صافية ، وكانوا أثناء
الحديث يرضون أيديهم إلى رؤوسهم بين آوثة وألمسرى علامة على اللواظقة (١٨)

وذكر عن سعيد باشا ذاته (ص ٥٧) أنه قال له بعد أن سمع الامتياز : « عترف لك
بأنى لم أفكر طويلاً في الموضوع ، وإنما هي مسألة شعور ، وبس من عاقد أن أقبل الناس في
ما يتبعون ويطعون »

(١٧) صورة قناة السويس ص ١٥

(١٨) امبو . قناة السويس ص ٤٠

صح امتياز القناة

(٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤)

ولما بلغ سعيد باشا القاهرة أنزل السيد دليس سباً عنده محمولاً بالإكرام والرعاية ، وله تمخض أيام معلومات حتى منحه بمقتضى العقد المؤرخ ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ اختيار تأسيس شركة عامة لخطر قناة السويس ، واستأجرها لمدة ٩٩ سنة ابتداء من تاريخ فتح القناة للملاحة^(١) . وهكذا نال دليس بفضله التي كان يسعى لها منذ ثلاث وعشرين سنة وهذا العقد هو المعروف بعقد الامتياز الأول : تميزاً له عن عقد الامتياز الثاني المؤرخ ٥ يناير سنة ١٨٥٦ الذي سجد الكلام عنه .

وقد عهد سعيد باشا إلى مهندس لبنان بك ، وموجيل بك . أن يرافقا السيد دليس إلى برزخ السويس ، لدرس المشروع وتطبيقه على طيبة الأرض ، ورفع تقرير إليه عن نتيجة مباحثهم ، وكان رأياً من قبل في جانب المشروع .

فقام للمهندسان الفرنسيان والسيد دليس بهذه المهمة ، وانتهى بهم البحث إلى الاتفاق على طريقة تنفيذ المشروع ، وهي أن تنشأ القناة مستقيمة في أقصى نقطة في البرزخ : بين موقع بيلورة (بور سعيد الآن) على البحر الأبيض المتوسط والسويس على البحر الأحمر .

حصص التأسيس

ثم جمع السيد دليس من بعض المالكين حصص لتأسيس لشركة قناة التي أزمع تأليفها ، وجمعت قيمة الحصص خمسة آلاف فرنك (٢٠٠ جنيه) وحصص فيه هذه الحصص لتعقدت المشروع الأولى ، على أن تحول قيمة الحصص إلى أسهم خاصة في الشركة عندما يتم تأسيسها .

(١٩) حسب عقد للملاحة يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ في أن هذه الامتياز تنهى في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٨ ويصح القناة من ملك مصر .

لجنة دولية لدرس المشروع

واتسحب السيد دليس باتفاقه مع سعيد باشا (في نوفمبر سنة ١٨٥٥) لجنة دولية من المهندسين الفيين لدراسة المشروع ثانية ، بعد اطلاعها على تقرير لبنان بك وموجيل بك ، لتبدي رأياً في صلاح المشروع وإمكان تنفيذه ، وذلك حتى يطمئن الناس إلى نجاحه ، فقبلوا على الاكتتاب في أسهم الشركة عند تأليفها .

مذهب أعضاء اللجنة إلى برزخ السويس ، وأجروا مباحثهم الهندسية ، ووافقوا على المشروع كما وضعه لبنان وموجيل ، بعد أن ثبت لهم أن سطح البحرين واحد ، وأن الأرض صالحة لاختيار القناة الملحة .

شروط الامتياز

(٥ يناير سنة ١٨٥٦)

ولما أتمت اللجنة مباحثها عرض السيد دليس نتيجة هذه المباحث على سعيد بك ، فأصدر له عقد الامتياز الثاني بتاريخ ٥ يناير سنة ١٨٥٦ م - (٢٦ ربيع الآخر سنة ١٢٧٢ هـ) صدق فيه على الامتياز السابق منحه إلى السيد دليس . وضمت شروط الامتياز التي نحوها الشركة ، وكانت شروطاً قاسية ، لا ترضى بها حكومة رشيدة ساهرة على مصالح البلاد ، وهالك خلاصتها .

١ - سحت الحكومة الشركة امتياز إنشاء قناة السويس بين خليج الطيبة على البحر الأبيض المتوسط والسويس على البحر الأحمر . وإشياء ترعة للبياء العذبة صالحة للملاحة سييه تمتد من سبل ، وتصب في القناة الملحة ، وإشياء ترعين بلري وشرب يستمدان مياهها من الرعة المذكورة ، ويصلان إلى السويس والطيبة (بور سعيد) (مادة ١ من عقد الامتياز) .

٢ - تنازلت الحكومة للشركة مجاناً عن جميع الأراضي المملوكة لها والمطوية لإنشاء القناة الملحة وترعة المياه العذبة وتوابعها ، وهي مساحات شاسعة على طول القناة وترجع المزمع

لاحق للحكومة في إقامة الحصون في هذه المنطقة

وإنك ترى في هذه الشروط روح التساهل والإسراف التي نتافت بها سعيد باشا مع الشركة ، فإنه خوفاً مراياً جعلها تشارك الحكومة المصرية في حقوق ملكيتها العامة ومبادئها ، وملكها مطلقاً وسامح عامة ليس للأفراد من أهل البلاد حق تملكها ، وهكذا جعل منها دولة داخل الدولة المصرية ، وليس من عجب أن يجري عقد الامتياز تلك الشروط القاسية فإن السيد دلبس هو الذي تولى تحرير العقد ووضع فيه ما شاء من النصوص والأحكام .

مقاومة إنجلترا للمشروع

اشتراط سعيد باشا لصحة الامتياز أن يصدق عليه السلطان العثماني ، حل أنه كان معتزماً تقبله بصرف النظر عن هذا التصديق ، وأعطى السيد دلبس اليهود والمواطنين ألا ينظر إلى هذا التصديق إلا كمظهر شكل ليس يلهي بال ، وفي الواقع إن ما نالته مصر من حقوق الاستقلال الداخلي طبقاً لمعاهدة لندن لا يجعل مثل هذا التصديق ضرورياً لصحة الامتياز ، ولكن دلبس أراد زيادة الاطمئنان على مشروعه ، فذهب إلى الآستانة يلتمس فرمان التصديق . فألقى مناهضة للمشروع من السيد البريطاني بإيعاز من اللورد بليرستون وزير خارجية إنجلترا في ذلك الحين

وكانت السياسة الإنجليزية ترمي حينئذ إلى عرقلة المشروع خشية امتداد النفوذ الفرنسي في مصر ، ونحوها على طريق المرور إلى الهند تحت سيطرة دولة سواها . فقاومت المشروع من طريق الحكومة التركية ، إذ حرضتها على رفض التصديق ، ثم من طريق الأسواق المالية إذ ألقت في روع المثاليين أن المشروع خيالي لا يمكن تحقيقه

معاوضة سعيد للمشروع

حل أن سعيد باشا قابل هذه المقاومة بمعاوضة السيد دلبس في مشروعه ، وكانت صداقته لدلبس تدفعه إلى تدليل العقبات لإعجاح المشروع ، فبدل له أولاً المطالبات المتفرقة في نزاهة الحكومة وقتئذ وقبضها ١٠٠ ألف جنيه ليستعين بها على العمل

تأليف الشركة

وفي ٥ نوفمبر ١٨٥٨ عرض دلبس أسهم الشركة للاكتتاب العام بفرنسا وغيرها من البلدان ، فلفت إقبالاً عظيماً ، وعلقت أسهم الاكتتاب عدة مرات ، وتأنيت الشركة إلى ديسمبر سنة ١٨٥٨ .

وجعل رأس مالها ٢٠٠ مليون فرنك (٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه تقريباً) موزعة على ٤٠٠,٠٠٠ سهم ، قيمة السهم خمسمائة فرنك (٢٠ جنيهاً) ، ثم قسم السهم إلى حصص فصار عدد الأسهم ٨٠٠,٠٠٠ سهم ، ولما صارت قيمة السهم الأصلي الآن (سنة ١٩٣٢) حوالي ١٥٠٠٠ فرنك بعد أن كانت ٥٠٠ فرنك ، واكتتب سعيد باشا بـ ١٧٧,٦٤٢ سهماً^(٢١) أن بما يقرب من نصف مجموع الأسهم ، ودفع جزءاً من ثمنها وقسط الباقي على سنوات .

المبدء في حفر القناة

(٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩)

وفي ٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩ ذهب السيد دلبس صحبة أعضاء مجلس إدارة الشركة إلى شاطئ البحر الأبيض ، في الموقع الذي أنشئت فيه بعد ذلك مدينة بورسعيد ، وأقيم هناك احتفال حافل ضروب فيه دلبس أول معول في أرض القناة ، واقتضى به الحاضرون ، فكانت تلك الصيغة إيذاناً بالشروع في العمل ، وكانت في الواقع أول ضربة في صرح استقلال مصر

ثم أخذ العمال يعملون في حفر الأرض ، ولم يكن قد صدر فرمان العثماني بالتصديق على الامتياز ، ولكن سعيد أراد أن يصح تركيا ويجتاز أطمع الأمر الواقع ، ويصعد المشروع سكر

ما لديه من حول وقوة ومال

وقد حاج هذا العمل غضب الحكومة الإنجليزية . فسعت سحياً لدى تركيا لوقف العمل .

(٢١) مراسلات وروايات ووثائق عن القناة ج ١ ص ١٣٢



بدء العمل في حفر القناة (٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩)

وترى في الصورة اليسرى دلميس ممكاً يده مولا للبحر وحوله هلال المصريون يمشون في حفر القناة

ومرت ظروف ساعدت إنجلترا في مساعدها ، ففي مايو سنة ١٨٥٩ شبت الحرب في ربيع إيطاليا بين فرنسا والنمسا ، فالت فرنسا إلى محاسنة إنجلترا ، وقررت في تأييد المشروع لإرضاء للحكومة الإنجليزية ، وكادت إنجلترا تنجح في مساعده لإحباط المشروع وديرت مع الباب العالي خلع سعيد باشا ، وجاء الأسطول الإنجليزي إلى ثغر الإسكندرية في يونيو سنة ١٨٥٩^(١١) ، ولكن التدبير لم يتم ، وتردد سعيد في الأمر ، وعهد إلى شريف باشا وزير الخارجية وقتئذ أن يرسل للمسيو دلميس كتاباً يطلب إليه فيه وقف العمل^(١٢) ، على أن الحرب بين فرنسا والنمسا ما لبثت أن وضعت أوزارها ، وعقدت بين الدولتين للجنة للعروة بمصالحه (ليبلا فرنسا) Villa Franca ، فغدت كلمة فرنسا في ميدان السياسة العامة ، وعادت إلى مناصرة للمشروع وتأييده ، غير أن الحكومة الإنجليزية ما فتئت تسعى لدى حكومة الأستانة حتى جعلتها تصدر أمراً إلى سعيد باشا بوقف أعمال الحفر في برزخ السويس ، ولوقدت مندوباً عنها يدهي مختار بك إلى مصر يحمل هذا الأمر إلى سعيد

فعاد تاجليون الثالث يبدل فؤده لدى تركيا لحملها على إبطال هذا الأمر ، وهكذا كان للسياسة الفرنسية اليد الطولى في نجاح المشروع ، واطمأن سعيد باشا إلى دعايته ، وعاد إلى معاودة للمشروع بكل قواه ، وبلغ به تناميه في تعصده أن سخر الفلاحين ليعملوا في حفر

(١٢) ورد ذكر الأسطول الإنجليزي وحيداً إلى الثغور المصرية في كتاب «مرسلات ودييات» روت عن الماء ، ج ٣ ص ١٢١

نفاء : وكان يأمر بتجليم من بلادهم وقراهم ، وبلغ عددهم نحو ٢٥,٠٠٠ عامل ، كانوا يقاصون الشدائد والأهوال في عمل لم تتعب منه مصر بأية فائدة ، بل عاد عليها بالويل والخسران

وقد سار العمل في إبعاد المشروع وحفر القناة الملحة ، وجرت فيها مياه البحر الأبيض حتى عمرة القنصاح ، وذلك في ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٢^(١٣) ، وفي هذه المرحلة وصلت القناة في عهد سعيد باشا ، بد أدركته الوفاة بعد ذلك بشهرين في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ ، تاركاً لإسماعيل إتمام ما بدأ به ، والوصول بالمشروع إلى نهايته

٢ - بدء القروض الأجنبية

بدأ عهد القروض الأجنبية خلال حكم سعيد باشا ، فكانت هذه البداية بدير الكوارث المالية والأحداث السياسية التي أصابت البلاد في عهد إسماعيل وتوفيق . ولا ننسى ما الذي حمل «سعيد» على أن يوجه وجهته نحو الاقتراض ، ولم يكن ذلك من سنة أيه ، كما أن الحكومة لم تكن في حاجة ملحة إلى الاستدانة من البيوت المالية . لأن سنوات سعيد كانت في الجملة سنوات يسر وروخاء ، ولم تقع في خلالها حروب طويلة تستنفد موارد الحكومة المالية

يقولون إن نفقات الجيش زادت عن المقدار لها في الميزانية ، فاضطر سعيد إلى الاقتراض ، ولكن هذا السبب لا يفسح حجة لتسويق عمله ، فإن «سعيد» ذاته كان لا يستقر على وتيرة واحدة في تقوية الجيش وزيادة عدده ، بل كان - لأسباب غير مالية - يصرف أحياناً معظم قواته الحربية ، وقد كان أجدر به أن ينقص من ميراثه جيشه إذا وجد أن حالة المراتنة لا تسمح باستبقاء جيش عرمرم يكلف البلاد ما لا طاقة لها به من النفقات ، ولواقع أن قصر النظر السياسي هو الذي دعاه إلى عديد الاستدانة من الخارج ، فتحج على البلاد باب التدخل الأجنبي

وي دلت يقول مؤلف «تاريخ مصر المثلث» : « إلى سعيد باشا يرجع الفصل الثامن في

(١٣) «مرسلات ودييات» روت عن القناة ج ٣ ص ٦

الثابت بلغت الديون السائرة ٧,٨٦٨,٠٠٠ تقريباً ، وهو مبلغ قارح تنوء به مالية البلاد في ذلك العصر

ولو سمع عهد سعد من لدروس لأحبة ، ولم يمح أحيان القناة . لكان محتملاً أن تتغير المصدر وتتنوع الناتج في «رعنا القومي»

وفاة سعيد باشا

(١٨ يناير سنة ١٨٦٣)

ذهب سعيد باشا إلى أوروبا ليستشفى من مرض حصل أصابه ، ولم ينجح فيه دواء فرجع إلى الإسكندرية في أواخر سنة ١٨٦٢ ، والدواء قد استعصى علاجه ، فأزال يشتد به ويهد من فواه حتى أدركته ميبته في صبيحة ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ (٢٧ رجب سنة ١٢٧٩) وله من العمر ٤٧ سنة ، وكانت مدة حكمه ثمانى سنوات وثلاثة أشهر وستة أيام^(٢٧) ، ودفن بالإسكندرية بمسجد النبي دانيال ، ولا يزال قبره هناك .

• • •

عقد أول قرض اقترضته مصر من أوروبا ،^(٢٨)

وقال في معرض المقارنة بينه وبين محمد علي وإبراهيم :

« لقد استطاع محمد علي وابنه الأكبر إبراهيم أن يهبوا بالبلاد ويحافظا في صين استقلالها ، ذلك الجهاد الذي كمال بالنصر ، دون أن يكون لهما من الموارد المالية سوى مبرايه لا تتجاوز خمسين مليون فرنك »

ذلك ما يقوله أوروي خير ، لا يمكن أن يرمى بالتحامل على ملاده ، فهو يصارحنا في كتابه بأن الاستدانة من أوروبا كانت عملاً نعوأ

عقد سعيد أول قرض ثابت سنة ١٨٦٢ ، ومقداره الاسمي ٢,٢٤٢,٨٠٠ جنيه إنجليزي من بنك فروعلج وجوش ببنك خائنة ٧ في المائة ، أما قيمته الحقيقية فكانت ٢,٤٠٠,٠٠٠ جنيه تقريباً ، أي أن مصر خسرت من رأس ماله ٨٠٠,٠٠٠ جنيه وزيادة ، وتعمدت بوفاء هذا الدين على ثلاثين سنة ، قيمة القسط السنوي من رأس مال وفوائد ٢٦٤,٠٠٠ جنيه ، أي أن مجموع الأقساط ٧,٩٢٠,٠٠٠ جنيه ، في حين أن أصل الدين ٢,٤٠٠,٠٠٠ جنيه ، وعلا هذا القرض الثابت فإنه ابتدع طريقة السندات على الطريقة وهي أن يستعين من الرابحين ديونا سائرة بواسطة سندات يبررها على الخزانة بالقيمة المقررة ، وتلك وسيلة خطيرة على مالية البلاد ، لأنها استدانة لا ضابط لها ولا حساب ، ولا رقابة عليها ، فإذا اندفعت الحكومة في سبيلها تورطت في الديون المعروفة بالديون السائرة ، دون أن تلجأ إلى الخطر الذي يتجسم عن الاستدانة منها

وقد احتلفت الآراء في إحصاء الدين السائر الذي استدانه سعيد باشا ، وكلها متفقة على أنه كان متلاقاً للنفوذ ، لكنزة عقاقير على قصوره . ومعبشة الخاصة ، وطمع المربين فيه ، جبل عليه من السخاء وعدم التدقيق في حسابه

وإذا أخذنا بإحصاء مؤلف (تاريخ مصر المال) الذي عرف عنه الاعتدال في كتابته كان الدين العام الذي تركه سعيد حين وفاته ١١,١٦٩,٠٠٠ جنيه^(٢٩) ، فإذا استبعدنا عنه الدين

(٢٨) تاريخ مصر المال ص ١

(٢٩) تاريخ مصر المال ص ١٢

(٢٧) من التوفيقات الإطارية للواء المصري محمد مختار باشا ص ٦٤٠ ، وهذا التاريخ (١٨ يناير) يوافق ما ذكره لمسير وليس في وثائق القناة ح ٤ ص ٢٧٠

الفصل الثالث

عصر الحديوي إسماعيل

(١٨٦٣ - ١٨٧٩)

نظرة عامة

إن عصر الحديوي إسماعيل هو في مجموعه صورة لتاريخ مصر القومي والسياسي والاقتصادي في إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، إلى مقدمات الثورة العرابية ، وإذا أدركنا أن نصه بكلمة عامة ، فهو كما قلنا في مقدمة الكتاب عصر له أثره النافع كما له أثره الضار في تطور الحركة القومية ، ذلك لما تضمنت فيه من آمال ، وما قام فيه من حضارة وعمران ، وما تحلله به من أخطاء وأرواء أفضت إلى تدخل الدول الأجنبية في شئون مصر ، وتصدع لها بناء الاستقلال المالي ثم السياسي .

هذه الكلمة الوجيزة ، يمكننا أن نخصص عصر إسماعيل ، فهو يمثل من ناحية عهد تقدم وعمران ، وبعد من ناحية أخرى عهد القروض المشثومة والأغلاط الملاحقة التي عصفت باستقلال البلاد

وإذا كانت مصر تنشر إلى اليوم نتائج النهضة التي قامت في ذلك العصر ، وتلمس آثارها بيبديها ، فإنها أيضاً تعاني إلى اليوم نتائج الأرواء والأحداث التي وقعت فيه ، وتدفع ثمنها علياً ، من مالها ، وحقوقها ، وحريتها ، واستقلالها

وبعد هذا العصر أقرب العصور صلة بالعصر الحاضر ، لأن معظم أعيادنا ونظمنا التي حببنا مصر على عهده لا تزال قائمة إلى اليوم (١٩٣٧) فالتشريع المخطط ، وسجل الأحكام في مراحق البلاد ، والديون التي كتبت البلاد حكومة وشعباً ، والتدخل الأجنبي في شئون مصر الداخلية والسياسية ، كل هذه القيود ترجع إلى عصر إسماعيل

نشأة إسماعيل

هو إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي ، وهو ثاني أجيال إبراهيم باشا ، من والده غير والدني
 حمزة الأميرين أحمد رفعت ومصطفى داهل
 ولد في ٣١ ديسمبر سنة ١٨٣٠ ، في قصر المسرحية بالقاهرة (بالحيالة) ، وعنى أبوه
 - به ، فتعلم مبادئ العلوم ، واللغات العربية والتركية والفارسية ، وقليلاً من الحسابات
 والطبيعات .. وأرسله أبوه إلى فيينا عاصمة النمسا ، وهو بعد في الرابعة عشر من عمره ،
 ليأخذ فيها من رمد صديدي أصابه ، ولكل تربيته ، وقضى بها عامين ، ثم انتقل إلى باريس
 ليستظم في ملك البعثة المصرية الخامسة ، فأنهى في ثلاثتها ، وكان من يسمي الأخير أحمد
 رفعت أخوه . والأميران عبد الحميد وحسين من أفعال محمد علي ، وبال في باريس خطأ من
 العلوم الهندسية والرياضية والطبيعية ، وأتقن اللغة الفرنسية كتابةً وكلاماً ، رجعته باريس
 وما فيها من جلال وروعة ، وغواية وقتها ، وس هنا نشأت ميوله الباريسية ، التي لا رمت طوي
 حياته ، وبعثته بعد أن تولى الحكم يسرى في أن يحبس بالقاهرة باريساً ثانية . ولوكلفه ذلك أن
 يجد يده إلى القروض التي تاحت بها البلاد ، وظاهر من مبلغ تعلمه أنه لم يزل من المعارف
 والثقافة في باريس أو في فيينا خطأ كبيراً ، بل تقتصر على مبادئ العلوم ، ولم يستفد من
 مكانه بباريس إلا نصيباً قليلاً من العلوم الاجتماعية والحربية ، وأتقن اللغة الفرنسية التي كان
 يتكلمها كأحد أبنائها ، وكان له في ذكائه بعض الخوض ما يقتضيه من العلوم
 عاد إسماعيل إلى مصر في عهد ولاية أبيه إبراهيم باشا ، ولما مات إبراهيم خلفه في الحكم
 عباس الأول ، وكان يحقد على عمه ويخفوه ، فلما تولى الحكم شعر إسماعيل بخوته بكرامية
 عباس لهم ، ثم مات محمد علي ، واشتد الخصام بين عباس وبقية الأمراء على تقسيم ميراث
 حده ، وأدخل إسماعيل وبعض الأمراء في الأستانة ، وعينه السلطان عبد الحميد عضواً بمجلس
 أحكام الدولة العثمانية . وأنعم عليه بالنشوية ، ولم يعد إلى مصر إلا بعد مقتل عباس في أثناء
 حكم سعيد ، ولما عاد من الأستانة أتى من عمه سعيد باشا خطفاً كبيراً ، وعهد إليه برئاسة
 (مجلس الأحكام) الذي كان أكبر هيئة قضائية في البلاد ، وأولفده سنة ١٨٤٥ في مهمة
 سياسية لدى الأميراطور نابليون الثالث تتعلق بسعي سعيد لدى النول في توسع نطاق استقلال



إسماعيل باشا (خليفة مصر)
 من سنة ١٨٦٣ إلى ١٨٧٩

مصر بعد شركتها مع الحماة في حرب القرم ، فأدى إسماعيل هذه المهمة كما مثار به من
 كراهة وكره وورعه سيور ثالث بتأييد مقترحة في مؤتمر الصلح ببرويس ، ولكنه - حذر
 وعده ، وكذلك لابل البابا (بيوت التاسع) في رحلته مؤلفاً من ليل سعيد . ذكره -
 لرومانى مؤلفه ، ثم عاد إلى مصر .

ولم يكن إسماعيل يشكر أثناء حكم سعيد باشا في أن يؤول إليه العرش من بعده ، فكان
 يصحبه عنه أخوه الأكبر الأمير أحمد رفعت ، ولكن حادثاً عجائباً ساقته الأقدار سنة ١٨٥٨
 - مع القائمة في سبيله ليكون ولياً بعده . ذلك أن سعيد باشا أقام بالاسكندرية حفلة
 دعا إليها أمراء البيت العلوي ، فلبوا الدعوة ، ومن بينهم أحمد رفعت ، أما إسماعيل فقد
 اعتذر عن إيجابتها لوعك في صحته ، وفيما كان الأمير عبد الحليم وأحمد رفعت عائدتين
 القاهرة بقطار خاص مع حاشيتهما ، سقطت العربة التي تقلها في النيل عند كمر الزيات ،
 فغرق أحمد رفعت ، وبما عبد الحليم ، فأصبح إسماعيل بعد غرق أخيه ولي عهد الأسرة
 المصرية بحكم نظام الوراثة القديم

وقد مرن إسماعيل على بعض مناصب الدولة ، وهو بعد ولي العهد ، فاستلمه سعيد
 مرتين ، وجعله نائباً عنه (قائمقام) أثناء غيبه عن مصر ، المرة الأولى حينما زار سوريا سنة
 ١٨٥٩ ، والمرة الثانية حينما ذهب إلى الحجاز لزيارة المدينة المنورة في أوائل سنة ١٨٦١ .
 وكان سعيد يبدى لابس أخيه ارتياحه من الطريقة التي أدى بها أعمال النيابة عنه ، ولما عاد
 للمرة الثانية إلى مصر جعله سرداراً للجيش المصري ، وعهد إليه إتمام فتح بعض القبائل في
 السودان ، فاضطلع بهذه المهمة دون أن ينفك فيها قطرة من الدماء .
 ولما أدركت سعيدة الوفاة خلفه على عرش مصر في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣

سياسة مصر الخارجية في عهد إسماعيل

بدأ بالكلاء عن سياسة مصر الخارجية ، لأنها كانت ذات الأثر العميق في شئون
 الداخلية . ولعل ذلك ناشئ عن أن إسماعيل كان يضع السياسة الخارجية والمصالح المرتبطة بها
 في المكان الأول من الأهمية ، وتلها المسائل الداخلية
 فصحت إذن عن سياسة مصر الخارجية ، وهذه السياسة وجهان : وجه علاقة مصر

بتركيا ، وثاني علاقته بغير الأوروبيين

فما يتعلق بتركيا كانت الخطوة التي ترسمها إسماعيل ، هي توسيع نطاق استقلال مصر .
 وكسب أكثر ما يمكن من الحقوق والمزايا من الحكومة العثمانية ، حتى يصل بالبلاد إلى
 الاستقلال التام

ولاشك أن هذه نزعة محدودة . تمتد من مفاخر إسماعيل ، فإن الوصول بالبلاد إلى
 استقلالها التام هي أمنية التي ترمي إليها الحركة القومية

أما فيما يخص علاقات مصر بالدول الأوروبية ، فقد كان إسماعيل يصور عن فكرة
 أخرى ، تناف فكرته في علاقته بتركيا . فليها هو يعمل على تحرير البلاد من بقايا السيادة
 التركية ، إذ هو لا يهادى مصر من التبر الأجنبي المثلل والسياسي ، بل كان يتسبب في تعطيلها
 بسلاسل التدخل الأوروبي ، بحيث لم يوشك عهده أن يقارب نهايته ، حتى تصدع بناء
 الاستقلال المثلل والسياسي الذي كسبه مصر في عصر محمد علي .

ولو أنه بدى في سبيل هذه البلاد حرة من أنظار التدخل الأجنبي جزاء ولو يسيراً لما كان
 يبدله للاعتماد عن تركيا ، لحقق مشروع الاستقلال التام لمصر والسودان ، ولاتمّن اسمه في
 التاريخ بهذا المشروع القومي العظيم ، ولكنه كان لا يحسب حساباً للتدخل الأوروبي ،
 وما يتطوّر عليه من المطامع التي تهدم كيان الاستقلال ، وهذا الخطأ الجسيم ، في سياسة
 إسماعيل الخارجية ، ناشئ عن نزعة الأوروبية ، فإن هذه النزعة جعلته يثق بأوروبا ،
 والدول الأوروبية ، والمجاليات الأوروبية ، ثقة عمياء ، ويؤمن إليها ، ويحقد فيها حسن
 النية . ولا يفتش لمطامعها الاستعمارية . فتحت أبواب البلاد على مصراعها للتدخل الأجنبي ،
 وفتح للأوروبيين أن يتغلغلوا في مرافقها ، ويتولوا المناصب والمراكز الوعيرة في حكومتها ،
 ويبلغت به الثقة في سلامة بينهم حداً جعله يقترص القروض الجسيمة بلا حساب من المزايا
 والبيوت المالية الأجنبية . حتى صار للأجانب في عهده نفوذ مالي وسياسي لم يكن لهم من
 قبل ، وشغل هذه النفوذ إلى حقوق ومزاياهم ادعوها ، وما لشأن أن نالوها . وبهذا صلت
 القديس . وعرض برفاهة - به على مالية البلاد ، وتعين وزيرين أجبيين في الوزارة المصرية
 كما سيحيى به

فسياسة إسماعيل الخارجية حيال الدول الأوروبية كانت إذن سياسة خاطئة ، أوقعت مصر
 تحت اليد الأجنبية المثلل والسياسي . كما شعر بنتائجها السيئة إلى اليوم (١٩٣٢)

هذه كلفة إجمالية من سياسة إسماعيل الخارجية ، حيال تركيا والدول الأوروبية عهد
إلى بيان هذه السياسة تفصيلاً فيما بعد .

١ - سياسة إسماعيل حيال تركيا

العلاقات الودية

جعل إسماعيل نصب عينيه تحرير مصر من الهيمنة التركية التي فرضها عليها معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ وفرمانات سنة ١٨٤١^(١) ، أي أنه أكمل العمل الذي بدأه محمد علي ، ولكن الفرق بينه وبين جده أن محمد علي كسب لمصر حقوق الاستقلال بقوة الجيش المصري ، أما إسماعيل فقد اعتمد على سلاح المال والرشوة بيد رجال الأستانة ، ليحصل على الفرمانات التي وسع بها نطاق الاستقلال .

وليس يخفى أن وسيلة محمد علي صالحة جيدة من تاريخ مصر الحديث ، تقرأ فيها الأجيال المتعاقبة معاصر الجهاد القومي ، أما وسيلة إسماعيل فلا تستثير في النفوس إحساس المحد والمفخر ، هذا فضلاً عن أنها من الأسباب التي دعت إسماعيل إلى الاستئذان من البيوت المالكة الأجنبية ، فكانت من هذه الناحية من العوامل التي أدت إلى تصدع بناء الاستقلال الحقيقي ، وقد بذل إسماعيل مصاريف مالية جسيمة في سبيل الحصول على الإمتيازات التي نالها ، إذ لم تكن حكومة الأستانة تصدر فرماناً إلا في مقابل الأموال الطائلة من الرشا والمخايا ، يقدمها إسماعيل لرجال الأستانة ، على اختلاف مراتبهم ، ولا يستثنى منهم السلطان ذاته ، وانصوبت العظام ، بلغت هذه الأموال طوال حكمه نحو إثني عشر مليوناً من الجنيات

بدأ إسماعيل حكمه بالتودد إلى السلطان عبد العزيز ، ورجال حكومته ، فلما نزل الأريكة المصرية ذهب إلى الأستانة ليقدم له فروض الولاء ، واتهمز هذه الزيارة لإحكام روابط الود بينه وبين تركيا ، وتودد إلى السلطان عبد العزيز ، ودعاه إلى زيارة مصر ، لوعده بغير الدعوة

(١) سم (مصر محمد علي) ص ٣١٠ وما بعدها (الطبعة الأولى)

زيارة السلطان عبد العزيز لمصر

(أبريل سنة ١٨٦٣)

يرجع عبد العزيز بمصر ، فجاء مصر في شهر إبريل سنة ١٨٦٣ م (شوال سنة ١٢٧٩ هـ) ، ونزل بالإسكندرية ، ثم ذهب إلى القاهرة ، ونفى في ضيافة إسماعيل عشرة أيام ، لقي فيها من مظاهر الإكرام والمهابة البالغة ما جعل لإسماعيل منزلة كبيرة عنده . ولا غرو فقد كان عبد العزيز هو السلطان العثماني الوحيد الذي جاء مصر زائراً ، بعد السلطان سليم الذي دخلها فاتحاً ، فكانت هذه الزيارة تكريماً كبيراً لإسماعيل ، وتنظيماً لشأنه .

وانتهت هذه العرصة ، فاستغل المنزلة التي نالها ليكسب من تركيا حقوقاً مزايا جديدة ، واستخدم إلى جانب ذلك المال يدينه بسطاء ، فغدر السلطان وحاشيته بالمخايا والتجسب المخايرة ، حتى ملأها سقية بأعمالها ، ووجد الصدر الأعظم قواد باشا وحده يستين ألفاً من الجنيات رشوة لينتخب منه حوفاً في مساعيه لدى الحكومة التركية ، رعاه عبد العزيز من ريارته مقتبطاً مما لقيه من الإكرام ، ومهدت هذه الزيارة الطريق أمام إسماعيل لينال رغائيه .

تغيير نظام توارث العرش وفرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٩

أول ما وجه إليه إسماعيل جهده ، هو العمل على تغيير نظام توارث العرش ، فقد كان النظام القديم الذي فرضه فرمان سنة ١٨٤١ يقضي بأن يؤول عرش مصر إلى أكبر أفراد الأسرة العلوية سناً ، كالنظام المتبع في تركيا .

فسعى إسماعيل جهده في أن يؤول العرش إلى أكبر أعماله ، ولنجح في مساعيه ، بفضل المخايرة ، والدأب على الطب ، وبفضل الأموال العظيمة التي بذلها في الأستانة ، وقد بلغت ثلاثة ملايين من الجنيات ، فكان هذا السعي من الأسباب الأولى لدعوى إسماعيل ، وليس ثمة شك في أن هذه التصحوة ثابته لا يورثها لقائده أبي نائب مصر من هذا التصبر ، لأن طريقة توارث العرش ليست مسألة جوهرية تهم البلاد حتى تبدل في سبيلها هذه الملايين ، هذا إلى

وحصل على حكومة السلطان عبد العزيز لتبنيها نظام توارث الأريكة المصرية ، وطمع بما بينه
إسماعيل في هذا السبيل من الأموال الطائلة ، فأنضم إلى أحرار تركيا النافذين على الحكم
لاستبدادى فيها . والذين كانوا يطمعون على قلب نظام الحكم والتمسك من استبداد
السلطان . وعاشهم بتعوده وماله . ومن هنا جاءت تسميته بأبى الأحرار في تركيا
أما عبد الحليم ، فقد نفاه إسماعيل من مصر إثر اكتشاف مكيدة لاغتياله ، قبل أن الأمير
دبرها . فالتحق إسماعيل هذه الرواية دريعة للتخلص منه ، فقرر أنه

فرمان ٨ يوبه سنة ١٨٦٧ والحصول على لقب خديو

واستمرت العلاقات الودية بين مصر وتركيا ، وظل إسماعيل يذل المال بسخاء عن ضفاف
البوسفور . فحصل في ٨ يوبه سنة ١٨٦٧ (٥ صفر سنة ١٢٨٤) على فرمان جديد ، يحوله
وحملناه لقب (خديو) ، بعد أن كان (والياً) ، فارتقى صاحب العرش بهذا اللقب السامي
في مرتبه تقرب من مراتب الملوك والسلاطين ، وأقر هذا فرمان حق الحكومة المصرية
واستقلالها في إدارة شئونها الداخلية والمالية ، وحققها في عقد المعاهدات الخاصة بالبريد
والبحار وممر البضائع والركاب في داخلية البلاد ، وتحتون الضبط للولايات الأجنبية (١)

فتور العلاقات ثم الخفاء بين مصر وتركيا

على أن علاقة مصر بتركيا ما لبثت أن اعتراها الفتور والخفاء ، ثم الخصام والعداء ،
ويرجع السبب الجوهرى في هذا التحول إلى رغبة إسماعيل في الاتصال عن تركيا ، والظهور
بمظهر المعامل المستقل .

ذكر محمود باشا فهمى في كتابه (البحر الزلنرج ١ ص ١٩٩) أنه في خلال حملة كريت
(التي سبب الكلام عنها) طلب إسماعيل من الباب العالي أن يخوله حق تعيين سمره مصر لدى
الدول الأجنبية ، فرأى الباب العالي أن مقصده لاستقلال والاتصال عن تركيا ، فرفض
طلبه . وكان من نتائج الرفض أن غضب إسماعيل . وتهدد الحكومة التركية بسحب جوده من

(١) لأمير سلا - ج ١ ص ٧٣٢

حمية كريت ، أو يستحوذ على الجزيرة إذا لم نجيب طلباته
وذكر إسماعيل باشا سرهك في كتابه (حقائق الأخبار ج ٢ ص ٣٤٩) ما يدل على
شداد الخفاء بين إسماعيل وتركيا خلال حملة كريت . مما يؤيد رواية محمود باشا فهمى .
وكلاهما معاصر لهذه الحوادث ، قال إنه لا ريب في هذا الخلاف أو عز الخديو إلى شاهين باشا قائد
الجيش المصرى في حملة كريت أن يعمل على ترغيب سكان الجزيرة في الانضمام لمصر ، فأخذ
هذا يتوعد إلى رحاء الحرية ، ويبتدئهم بالمال والمنايا ، فلما علمت الحكومة التركية بذلك
طلبت إلى الخديو عزل شاهين باشا من قيادة الجيش المصرى في كريت ، فاضطر بـ
استدعائه ، وجعل مكانه قائداً آخر هو الفريق إسماعيل سليم باشا وزير الحرية وقتئذ
وقد تعددت الحوادث والمظاهر التي تدل على سعي إسماعيل للاتصال عن تركيا

فمن ذلك مفاوضاته الدول الأوروبية رأساً في صدد إنشاء النظام القضائى المختلط ، دون
وساطة الباب العالي ، واشتراكه في معرض باريس العام سنة ١٨٦٧ ، وظهوره فيه بمظهر
الملك المستقل ، وإقامته به تسامحاً خاصاً لمصر جمع فيه صوب الهيبة والعظمة ليكون جديراً
بتشثيل مملكة مستقلة ، ثم توصيته العامل الفرنسي على صنع ثلاث جوارح حرية مصفحة ،
وعدة آلاف من البنادق الحديثة الطراز ، لتسلح الجيش المصرى ، مما جعل الحكومة التركية
تتوجس خيفة من مقاصد إسماعيل ، وتتوقع أن يستعد ويتأهب لإعلان الاستقلال التام .
واستعصمت الألباء أن تركيا عازمة على إرسال جيوشها إلى مصر بعد إخماد ثورة كريت .
وخشى إسماعيل أن تنعذ تركيا يوماً وعيدها ، فاستعد للدفاع والحرب ، وأتت حصوناً جديدة
بين الإسكندرية وبر سعيد ، ورم الحصون القديمة ، وابتاع من معمل اوستريخ بالجنزيرا حو
مائتى مدفع من المدافع الضخمة ، سلح بها تلك القلاع ، ويلاحظ أن كثيراً من هذه المدافع
باقية إلى اليوم في حصون الإسكندرية وأبو قير ودمياط ورأس البر . وقد علاها الصدا من
الإهمال وتوالي السنين ، وعلى أكثرها تاريخ سنة ١٨٦٩ . أى
السنة التي اشتد فيها الخلاف بين مصر وتركيا

واردادت العلاقات فتوراً بين البلدين لدعوة إسماعيل ملوك أوروبا ورؤساء حكوماتها إلى
حضور حفلات افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ، دون وساطة تركيا . فاعبر السطح من
هذه الدعوة إغفالاً لواجب الولاء نحوه ، واحتج لدى الدول على مملك الخديو . فلم يكرث

إسماعيل لهذا الاحتجاج . واستمر ماصياً في دعوته . وقد حملت تدهن برأسه وحصره
ملك أوروبا وأمرأه

وكان معترفاً بإعلان إستقلال مصر التام في تلك الحفلات ، ولكن الحكومات الأوروبية لم
تريد في غرضه ، وبصحة أن يمثل عن حزمه ، وانتهت حفلات القناة والحفلات مستحكمة
عن إسماعيل والباب العالي

فرمان ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ وما فيه من القيود

كان من نتائج هذا الخفاء صدور فرمان ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ (٢٤ شعبان سنة
١٢٨٦) ، حملته رسول من الباب العالي إلى مصر عقب اقتصاص حفلات القناة ، فجاء
صدمة لآمال إسماعيل ، إذ يتبين بأمل لمناسبة تلك الحفلات أن يصل إلى الاستقلال التام ،
كانت النتيجة صدور فرمان يتنقص من سلطته .

تقيد السلطان بهذا الفرمان حقوق الخديو ، فنص فيه على أنه لا يجوز له أن يقترض قروضا
جديدة دون أن يبين وجه الحاجة إليها ، ويحصل على إذن من السلطان بمقتضاها^(١) ، وكان
السبب الظاهر لهذا التقييد خيرة الباب العالي على مصالح مصر ، واستبداد من تورط إسماعيل
في الديون الباهظة التي استأجرها .

وفي الحق أن إسماعيل كان في حاجة إلى من يعمل بده عن الإصراف في الاستدانة ، ويقبده
في تصرفاته المالية ، وحيدا لو أن هذا التقيد جاء من ناحية الأمة ، أو بعبارة أخرى من ناحية
مجلس شورى النواب . إندي كان يعتقد كل عام . على أننا لا نعتقد أن الباب العالي كان
يعصد إن مصدحة مصر في تقيد إسماعيل بهذا التقيد ، بل أعجب الظن أنه كان يرمى إلى
استرداد حقوق جديدة لكي يكيد للخديو ويسوء إليه

وقد استأجر الخديو من هذا الفرمان ، ولم يعتقد احتمالا حافلا لتلاوته بالأهبة المتعادة .
بل قرىء في قصر النيل دون جلبة ولا إعلال .

(١) راجع نص فرمان في القاموس العام للإدارة والقضاء فيليب جلد ٦ ص ٢٣٣

تحسين العلاقات

فرمان سبتمبر سنة ١٨٧٢

على أن إسماعيل أخذ يسعى في تحسين علاقته بتركيا ، لما رأى أنه في حاجة إلى عضده .
بعد أن حدثته الدول الأوروبية ، واشتدت ورجلته المالية ، فقصده إلى الأستانة في صيف سنة
١٨٧٢ بصحبه إسماعيل صديق باشا وزير المالية ، ووزير باشا وزير الخارجية ، ليسعى في
إعادة إنشاء بل مجاريا . وبدلوا هناك ما بدلوا من مظاهر الولاء ، ومن المال والرشا واعلنايا .
حتى عادت علاقات الرد بين الخديو والحكومة التركية

قال في سنة واحدة فرمناً في ١٠ سبتمبر سنة ١٨٧٢ (٧ رجب سنة ١٢٨٩) نسب
الامتيازات السابقة مسحة بإعها . وينسخ القيود الواردة في فرمان سنة ١٨٦٩ ، وخطاً شريعاً في
٢٥ سبتمبر سنة ١٨٧٢ (٢٢ رجب سنة ١٢٨٩) يؤكد فيه مرياً فرمان ١٠ سبتمبر ، ويجوهر
صرامة حتى الاستدانة من الخارج دون شرط ولا قيد .

وعد اسبح الخديو ابتهاجا عصبياً لورود الفرمان والخط الشريف إلى مصر يحملها كبير كتاب
امامين ، وعقد لتلاوتها احتفالاً ضخماً في ديوان الخوري بالقلعة وقرناً بحضور المدعوين ،
وأطلقت للدافع إيداناً بهذا النصر المجي ، ونشر نصها في الجريدة الرسمية^(٢) .

وكان من نتائج صدور الفرمان والخط الشريف المذكورين عقد قرص سنة ١٨٧٣ ذلك
القرص المشعوم الذي كان علامة كبرى على البلاد كما سنبينه فيما يلي :

الفرمان الجامع

(٨ يوبه سنة ١٨٧٣)

لم يكتب الخديو إسماعيل بهذا الفرمان ، بل أراد أن يحصل على فرمان جامع للفرمان
نائبها مصر صد تولية محمد على حكم مصر بطريق التوارث إلى ذلك العهد ، فقصده إلى
الأستانة في صيف سنة ١٨٧٣ متدعراً بالأموال يرشوا بها رجال الحكومة التركية ، وصحبه في

(٢) الوقائع المصرية عدد ٤٨٠ الصادر في ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٧٢

سنة ١٩٠٢ مصر ومصر نحو ج. لا يرد في سنة ١٩٠٢ مصر. مصر. سلطان
و. ذلك سلا

وبد سنة ١٩٠٢ ركب جو مصر من ثلثاتها - ١٠ - أو روية في حلالها مع حيدر. سماعيل ،
ذلك الخلاف الذي أدى به حله كسب سببه في موضوعه ، فإن مطالب حكومت أوروبا
في حد خلاف كسب مصعب حائزه لا يعرف مصعب ولا يسبقها مصعب ، وهو فيها لأفادت
أمر ترح عن حيدر مصر راسبار بدو الأيت ، - - - - - تحقيقاً لخاصة لاسم - - - - - ودارع
من ذلك د يرد - - - - - حال في الأسماء - - - - - يدور الأورو - - - - - والبرون على يرد - - - - - ولم
يكسب سبب رصع في التحصيل من سمعيل حتى يدور رسالته لسماعيل الداعية حله من
مصعب لحديوية ، وتعين عمله ومن دث حلقاً - - - - - ولم يكن هذا العمل لصانع مصر ،
ولا لصانع ترك نصاً ، بل كان تمكيد للسود لأحق في مصر ، ولكن لمخط البيسة التركية
وسوء بينها نحو مصر حسمها لسحب لمطالب الدول - - - - - وبذلك أول مرة حلق فيها رن الأمر في
مصر من عهد الأسرة لعنوية رغبة الحكومات الأوروبية ، وبملاء لحكومة التركية ، وفي
ذلك أعظم الفيات على حقوق مصر واستقلالها .

٢ - سياسة إسماعيل حيال الدول الأوروبية

كانت القواعد العامة لسياسة إسماعيل الخارجية الزكون إلى الدول الأوروبية وحسن النظر
فيها ، والعمل على كسب رضاها ، وهذا من عطفاته السياسية ، لأنه من المطلوب أن الدول
والحاليات الأوروبية على اختلاف أجناسها - - - - - إنما ترضى إلى تحقيق أطماعها الاستعمارية في بلاد
الشرق لاطبة - - - - - ومصر في طلبها .

وتلك لمرى حقيقة يعرف بها الأوروبيون المصموم ، فقد كتب الميوني (كان عمل)
Van Bismarck وهو قاض هولندس قول القضاة في نظام المختلة على عهد إسماعيل يقول في

هذا الصدد

١ - - - - - علاقات حكومات أوروبا مع مصر - - - - - على قدره حقير مص لها ومصالح

رعناها . و - - - - - سنة عن لأثره وأثره في تحللها في شعور مصعب وبارأته أو
بالرأجب نحو مصر ، ومعلم الأوروبيين الذين حاوروا إلى هذه البلاد كانوا من لسط الطمبات .

وحله جمع من أوكال حكومته وطلاته كنيان باشا وزير الخارجية ، وإسماعيل صديق وزير
الدخلية ورياض باشا مستشار مجلس الوزراء (المجلس المصموم الثاني) وغيرهم ، وما زال
يسمى حتى دد الأمران لترح ٨ بده سنة ١٨٧٣ (١٣٣ ربيع الثاني سنة ١٢٩٠) - - - - - وهو
المرجع المصموم الذي ثبت لربما يرد في الرامانات القديمة والحديثة وتخصص هذه بربا
في المفقول الآن

١ - - - - - توافد عرش مصر - - - - - أكرم الخال المصموم - - - - - ومن بعده - - - - - أولاد عد الأكبر وهو

مصر

٢ - - - - - تشمل املاك - - - - - خدمية المصرية مصر ولحقاً بها (- - - - -) عازية يربها عمرها

مع ما صار لحاقه بها من كائنات مصمومين وسوكن ومصمومين ولحقاً بها

٣ - - - - - حتى الحكومة المصرية في سن القوانين والنظمات للخدمة على اختلاف أنواعها .

٤ - - - - - حتى عقد الاتفاقات العسكرية والمعاهدات التجارية .

٥ - - - - - حتى الأقراص من الخارج من غير استئذان من الحكومة التركية .

٦ - - - - - ردة الجيش إلى أي عدد يتخيه الحديو

٧ - - - - - حتى بناء السور الحربية ما عدا المدرعات التي يجب لإنشائها استئذان الحكومة

التركية .

ومصورة القول أن هذا فرمان المجمع قد ثبت لمصر حقوقها الكاملة في الاستقلال التام ،

فيما عدا الحرية السوية ، وقدورها ٧٥٠ ألف جنيه سنائي ، وعدم عقد المعاهدات السياسية ،

وعنى التمثيل الخارجي ، وعدم صنع للدرعات الحربية .

وقد بشر هذا فرمان لي العدد ١٧ من (الواقع المصرية) الصادر في ١٧ بوله سنة

١٨٧٣

عودة الخطأ

على أن هذه الرامانات لم تصل إلى إحلال التوام بين مصر وتركيا عمل المصموم والمصموم ،
بل عمل الرصد من المصمومين يرب ركباً كانت لا تحقّق قية نحو مصر ، كما أن إسماعيل كان

(١٧) الواقع المصموم لسلطة السامية كمر اوجيان أمدى ج ٢ ص ١٢٥

الفرنسيين والسورب التي فقدت في ١٨٠٥ - ومعاشيرهم عبرة فرنسيين ، وعضده به وبعده بهم ، ربيته بن عقيدتهم في معشيتهم ، وعضده بهم وعزادهم به خلا نصيبه منهم ولا اقتصاد التي شربوا ٣٠ والتي بعد من غصبه لعضدهم غشوية وهات عمل آخر ساعد على متدد سغود فرنسيين ، وهو غصبه خذيوهم إسماعيل ، الأمر صغور نابليون الثالث ، وعضده له وعضده به ، وعضده له إياه في مصر الإلهة وعضده ، وعضده في كسب ثقتهم وتوثيق روابطه اليده بهم

ويستعمل لك مبلغ التمرد الفرنسي ، في أنه لما قام الحلاف بين إسماعيل وشركة قناة السويس في أوائل عهدهم بالحكم ، ارتضى تدخل الأمبراطور نابليون الثالث لحسم الحلاف ، ورضى أن يحمله حكما بينه وبين الشركة ، مع أنه لم يظن بالعادة أن إمبراطور الفرنسيين لا يمكن أن يكون حكما عادلا في مثل هذا الحلاف ، وأن حكمه لا يمكن أن يحد من الخفاء للشركة الفرنسية ، وقد أصدر نابليون الثالث حكما بإلزام الحكومة المصرية بتعويضات مائة للشركة تبلغ عدة ملايين من الجنيهات

ويبدو هذا السغود أيضا في استخدام إسماعيل للخافعة من الفرنسيين في كثير من معاملاته المالية وقروضه ، وإسناد كثير من مشروعات الممران إلى إخصائين من الفرنسيين وقد بلغ هذا السغود أقصى مداه في حملات افتتاح قناة سنة ١٨٦٩ ، فالقادة في دنياهم عمل فرنسي ، وعضدهم وعضدهم دلبس بجمل كفاءة غرب مالبيه والهندسية ، وكانت لؤوسهم إمبراطوره الفرنسيين عمل للدولة الفرنسية في بيان محدهم وعضدهم ، وهي التي رُست حملات الانصاع ، مستغنية بكونه قودريا وأمراسا وأقتصادها في السياسة والعلوم والفنون ، فكانت هذه الحملات للتحفة إبدائيا عما بلغه السغود الفرنسي في مصر من القوة وعضدهم للثقة على أن هذا السغود أخذ في الإضمحلال عقب الحرب العالمية سنة ١٨٧٠ - ١٨٧١ ، فإلى مصر ، في هذه الحرب رزول سيطرة فرنسا السياسية في أوروبا والشرق ، وثلى عرش الأمر في مصر ، وكان من أولى نتائجها سقوط نابليون الثالث حصيد إسماعيل الذي كان يعتمد عليه في مهمات الأمور - ومن ثم أخذ السغود الفرنسي يتضاءل في مصر ، علبا الطريق للسغود لإيجيپتوري

ولم يكن مهمهم إلا الإتر ، عن حساب بلاد ١٨٠٥

هنا ما يقويه قاضي زوزون عادل مثقف - طور الأمور في مصر ، وذلك هي الحقيقة التي نصادها في كده - ولكن خليفو إسماعيل لم يعطل إلى تلك الحقائق

وهذا سغود لفرق حجب بين عهد علي وإسماعيل - لمعهد علي كتب مفسس من تلمذ الأديرة ، وسائل البهجة وشهرة والتقدم - وعضدهم عبرة عضدهم أزرر وعضدهم - ١٨٠٥ ولا يعطيل إيهامه الوقت بعضه بغير مدخل لأوروبيين حكومات وجنابيات في شئون بلاد ولا يعطيل إيهامه ويبدأت نكبت في عهده مستغنية من تدخل السغود الأوروبي ، سواد من لؤوسهم سياسة أو من درجته بديهة والاقتصادية - ويكنيكك دليلا على بعد نظره وحكمته أنه لم يقبل إقصاد مشروع قناة السويس ، رغم إحتاج مالبيه والسياسيين الأحكام عليه ، وكندت لم يقبل أن يعهد إلى الأقران من ديوت ماله لأحية - كل ذلك لكي يعضون البلاد من خطر التدخل الأجنبي

لكن إسماعيل ، لؤوسه الأوروبية ، لم تحس حساما لهذا التدخل ، ولعله كان يتوهم حسن بنة السول الأوروبية نحوه ونحو مصر ، في رآل الزهم متسلطا عليه حتى أدرك خطاه في آخر عهده ، إذ رأى الدول والحاليات الأوروبية ، التي طلائلا تورد إليها ، وممكن لها من مرفق البلاد ، تضطره إلى بيع أملاكه وأملاك عائلته وهذه لؤوسه ، ورآل السغود الأوروبي يتسل سطه ، فحاول عشا أن يعاومه لومضع له حد ، ولكن هذه السغود كان قد طغى واستغسل ، فلم يستطع له دفاعا ، وانتهى الأمر بأن اقتلعه زيادة الدول الأوروبية عن الأريكة لمعوية والآن يكلم عن سياسة إسماعيل نحو الدولتين اللتين تناقضا على السغود وسلطة في مصر ، وهم فرنسا وإنجلترا

فرنسا

كاتب السورب لأول من حكمه إسماعيل هي الفترة التي أخذ بها سغور أحيى تعلقه في البلاد - مائلا وتشتد في عقب حد سغود في أوامر عهده ب مسغور مالبه وسغوسه سغود وعضده

وكان لفرنسا مادي لأمر سغود أدنى كبير على إسماعيل ، وعضده يرجع أولا ، إلى ثريته

(٥) مصر ولؤوسا غشوي صلتا نان على ج ١ ص ١١٦ .

ول سنة ١٨٧٠ عهد الخديو إلى شركة إنجليزية تدهي شركة جرجس إبعاد مشروع توسيع ميناء الإسكندرية والبقاء بأعمال الإصلاح فيه مقابل عدة ملايين من الجنيهات واستمرت إنجلترا فرصة ريتش إسماعيل المال لكي تزيد في ووطته . ونجحت هذه البية واصحة في شرائها أنهم مصرى قناة السويس سنة ١٨٧٥ ، فإن هذه الصفقة كانت أول صرية صويتها إنجلترا إلى صرح الاستقلال المصرى
ول سنة ١٨٧٧ أوعزت إلى الخديو أن يعين غردون باشا حاكمًا عامًا (حاكمًا عامًا) للسودان ، وهو منصب من أكبر مناصب الدولة وأعظمها خطرًا ، وذلك أول مرة في تاريخ مصر أسند فيها هذا المنصب السامى إلى أجنبي .
هذه الحوادث لم تقع عبثًا ، بل هي مظاهر لامتداد النفوذ الإنجليزي في بلاد الخديو منذ سنة ١٨٧٠ .

وقد توثقت العلاقات الودية في هذه الحقبة من الزمن بين الخديو وإنجلترا ، وتعددت مظاهرها ، فعقدت إنجلترا ومصر في ١٨ مايو سنة ١٨٧٣ معاهدة لتسهيل تبادل البريد وعقدتا في ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ معاهدة للتعاون على إبطال الرقيق .
ويظهر لك مبلغ حرص إسماعيل على كسب رضا إنجلترا ، ونحو عافاتها ، أنه لما جرد سنة ١٨٧٥ حملة إلى شواطئ الصومال الواقعة على المحيط الهندي بسط نفوذ مصر في شرق أفريقيا والوصول من هذه الجهة إلى أملاكها في خط الاستواء ، استأمت إنجلترا من هذه الحملة ، وأرسلت إلى إسماعيل تنمى على إتباعها ، فإذ الخديو إلى الاستجابة لاحتجاجها ، واسترجع الحملة إلى مصر استبداء لعلاقات الود بينها .
وفي ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧ عقد ويناها معاهدة اعترفت فيها إنجلترا سلطنة مصر في بلاد الصومال الشمالية . فكانت هذه المعاهدة مظهرًا من مظاهر العلاقات الودية بين مصر وإنجلترا

على أن هذا الود لم يمنع إنجلترا من أن تصمم الشر لمصر ، وتعمل على إخضاعها للرقابة الأجنبية . ولما اشتد الخلاف بين الخديو والبرانيين سمعت سعيها في إخضاعه ونجحت في صيغها سنة ١٨٧٩ . فكان هذا حتم . بسسه . بسسه . الى اتبعي إسماعيل حياته .

• • •

إنجلترا

لا يخفى أن انحصار ألمانيا في الحرب السبعية كان له تأثيره في المسألة المصرية . لأن إضعاف نفوذ فرنسا قد مهد لإنجلترا السبل لتكون صاحبة لصوت الأعلى في هذه المسألة . ومكسب من الانفراد بالتدخل في شؤون مصر ، حتى انتهى إلى الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢ . فلا يخفى أنك أنه كان ثمة تنافس بين الدولتين على كسب النفوذ في مصر ، وقد اشتد هذا التنافس من عهد إنشاء قناة السويس ، وكان التمدد بين قوتين يقول دون سيطرة إحداهما على مصير البلاد ، ولكن صوت فرنسا في المسألة المصرية أخذ يصوت من نهاية سنة ١٨٧٠ ، فاعتنقت إنجلترا هذه الفرصة لإتمام لإرادتها في ودى النيل ، اعتبر ذلك فيما وقع حين قامت الحوادث العربية سنة ١٨٨١ ، واعتزمت إنجلترا احتلال مصر ، فقد كان هذا المشروع مهددًا بالإحراق لو اشتركت فرنسا معها في العمل . ولكن فرنسا تركت إنجلترا تحتل البلاد وحدها ، وهذا يرجع إلى أسباب عدة لا محل لبحثها الآن ، وستكلم عنها في موضعها ، ولكن لا شك أن من بين هذه الأسباب ضعف فرنسا بعد هزيمتها في الحرب السبعية ، ونفوذها من الخطر الذي يهددها من ناحية ألمانيا .

ولو بقيت فرنسا على قوتها وعزدها قبل الحرب السبعية لكان من نتائجها هي وإنجلترا في المسألة المصرية ما يكفل لمصر التخلص من مطامع الدولتين ، ولكن التوازن بينها قد اختل بعد هزيمة فرنسا سنة ١٨٧٠ ، فأخذت كفة إنجلترا ترجح في ثنوى مصر ، وأخذ إسماعيل من ناحيته يتصرف عن فرنسا لم أصابها من الضعف ، وشجه ييمره تلقاه إنجلترا ، ويتوعد إليها على أن إنجلترا منذ افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ بدأت فعلا في العمل على تثبيت مركزها في مصر تمهيدًا لاحتلالها ، وأعطت في الوقت نفسه طلع إلى السودان ، وتمدد أصبحها إليه تمهيدًا لفصله عن مصر ، بذلك على ذلك سلسلة من الأعمال ترمى إلى تحقيق تلك المطامع . فلما أوعزت إلى الخديو إسماعيل أن يعين الذي صمويل بيكر الرحالة الإنجليزي الشهير حاكمًا لمديرية خط الاستواء ، ولما انتهت مدته عملت على أن تحلف في هذا المنصب الإنجليزي آخر وهو الكولونيل غردون (باشا) ، وسعت لتحويله سلطة كبرى لارقابة عليه في لندن كم المصرى لعام كما سيجيء بيانه

العضد الرابع

قناة السويس

ر. منة قناة السويس من أول مسائل لسانه إلى وجهت إسماعيل في أول عهد حكمه . وكانت أنظار الأوروبيين متصدعة في ما يؤمن إليه مصر القناة بعد وفاة سعيد الذي عرف عنه أنه منذ المشروع وقوامه ، فلما مات قلق المسير قريتان دليسين على مشروعه ، وتحت أن يكون نصيب الإنفاق ، ولكن إسماعيل باشا يادري أول اجتماع له بوكلاء الدول وألقى إليهم بعزمه على تأييد المشروع

قناة السويس يرجع إتمامها إلى تعصيد إسماعيل ورعايته ، لأن سعيد باشا لم يكمل يولي المشروع في خطواته الأولى ، حتى عاجلته الحية ، فلولا اتجاه إرادته إسماعيل إلى تعصيد المشروع وإتمامه ، لكان مصيره المحبوط لا محالة ، ولمجز المسير دليسين عن المضي فيه ، ولعل إسماعيل لم يكن أراد مله أن يكسب رضا الأوروبيين من أنصار المشروع ، وبنات إطرارهم وثراءهم ، ويستحق في نظرهم لقب « فاتح القناة » ، فعصد المشروع بكل قوته ، واحتصل تبعه إتمامه ، كما احتل سعيد تبعه الهندية والتصميم على إتمامه .

سعى إسماعيل في تخفيف شروط الامتياز

على أنه من الحق أن نقرر أن إسماعيل باشا قد حالت في هذه المزايا التي نالها الشركة في عقد الامتياز ، على جهده في تخفيفها ، وكان من هذه الوجهة أكثر مزايا لمصلحة مصر من غيره

وبما يؤثر أنه قال يوماً : « إنني أريد أن تكون القناة لمصر ، لأن تكون مصر للقناة » وقيل أنه فكر يوماً في أن يتولى نفسه تنفيذ المشروع ، ولو حقق هذه الفكرة لحمل القضاة حصة ملكاً لمصر ، ولكنه لم يفعل ، واكتفى بالاعتراض على أوجه أربعة من شروط الامتياز وسعى في إبطالها وهي

١ - تمهد الحكومة بتقديم العمال الذين يحتاج إليهم الشركة لعاية عشرين ألفاً مستمراً^(١) ، وزعمت الشركة أن لها مطالبة الحكومة بتعويض في حال تفصيرها أو عجزها عن تقديم هذا العدد .

٢ - ملكية الشركة لترعة المياه العذبة التي كلفت عتصمى القدر إنشاءها واستغلال رعى الأتبان للملكة للأفراد على جانبها مقابل أجر تقتضيه منهم حسب تقديرها .

٣ - ملكية الشركة لجميع الأراضي التي نرى أنها في حاجة إليها لحر القناة وإنشاء الرعة العذبة ، وإعمالها على النوام من دفع الأموال الأميرية عليها ، وملكيتها لجميع الأراضي التي تستصلحها وتزرعها ، وإعمالها من دفع أموالها مدة عشر سنوات .

٤ - إضطرار الحكومة إلى ترع ملكية الأتبان للملكة للأفراد إذا احتاجت إليها الشركة لاستغلال استثمارها .

وقد فاض إسماعيل الشركة لإلقاء هذه الشروط ، واعتمد في مقاضاته على وزيره نوبار باشا ، وقدم حجة وأسايد قوية تأييداً لطلباته ، وكانت حجة في إلغاء الشرط الأول رغبته في إلغاء السخرة ، لأن هذا الشرط هو إقرار فعلي لتسخير العمال والفلاحين في العمل لفتح القناة ، وهذا ما لا يتفق ومبادئ الإنسانية .

وحجته بالنسبة للشرط الثاني والثالث أن قوانين الدولة المأنيعة الخاصة بالملكية العقارية والتي كانت متبعة في مصر وقتئذ ولا تجيز التنازل للأجانب عن ملكية الأراضي والعقارات

وكانت أولى خطواته في تخفيف الشروط أن أبرم اتفاقاً مع الشركة في ١٨ مارس سنة ١٨٦٣^(٢) يقضى بأن تتولى الحكومة إنشاء الرعة في القسم المستطيل بين النيل ووادي العطميلات ، ووصلها بالجره الذي أنشأته الشركة من ترعة الوادي إلى القناة ، وقد صرحت هذه الرعة من منحها إلى مصبها بالترعة الإسماعيلية ، وغرض التقدير من هذا الاتفاق تجنب المنازعات الخاصة بملك الشركة للترعة . وانتزعها ملكية الأفراد من الأتبان التي يقتضيها إشاؤها ، وكان عمله في هذا قيس الحكمة والسداد

ووجه إسماعيل وزيره باشا إلى الأستانة ، ثم إلى فرنسا ، للسعي في تخفيف شروط

(١) بلغ هذا العدد ٢٢ ألفاً في أواخر عهد سعيد (ج ٤ ص ٣٣٤ من وثائق القناة للسير دليس)

(٢) وثائق القناة للسير دليس ج ٤ ص ٢٩٠

١ - وأوضح مطالبه في رسالة بعث بها نوبار إلى الشركة^(٣) وتلخص بها على

١ - نقص عدد العمال الذين ساءت الحكومة بتقديمهم للشركة إلى ستة آلاف لأن تسخير العدد المحدد (٢٠ ألفاً) يصير سهلاً وبلاذ ونازلة

٢ - زيادة أجورهم ، وجعلها فريضة لكل عامل في اليوم . لكن يعرض الفلاح ما يجسره من ترك بلد وأرضه وما يبدله من الجهد للعمل في حفر القناة

٣ - إلغاء امتياز ملكية الشركة للأراضي ، وفي مقابل ذلك تأخذ الحكومة المصرية على عهدها إتمام الرعة العذبة ، وأن تعوض الشركة قيمة العقارات التي بدلها في القسم الذي أنشأته بها

وقد عارضت الشركة في هذه المطالب ، بحجة أن إتفاقي عدد العمال من عشرين ألفاً إلى ستة آلاف يعطل إتمام المشروع ، ويطلق مدة العمل من ثلاث سنوات إلى عشر ، مما يكيد الشركة خسائر جسيمة ، وأن تمنحها بالأراضي القابلة للاستصلاح ، ولترعة من رأس الوادي إلى القناة ، من المسائل الجوهرية ، التي لا تنازل عنها .

تحكم نابليون الثالث

وقد اشتد الجدل حول مطالب إسماعيل ، وهبت الصحف والندوات السياسية والمالية في فرنسا للدفاع عن شروط العقد ، والمعارضة في إيطاليا ، وارتضى بتقدير أميراً تحكم الإمبراطور نابليون الثالث إمبراطور فرنسا ، للفصل في النزاع ، فكان هو المحكم والحكم ، لما كان معروفاً عنه من تأييده للشركة ، وحفظه على المصير فرديتان دليس ، ويرجع هذا العطف إلى أن المشروع في ذاته عظيم النفع لفرنسا ، وإلى أن دليس يمت إلى الإمبراطورة أوجيني بصلة قرابة بعيدة

الحكم في النزاع

أصدر نابليون الثالث حكمه في ٦ يولي سنة ١٨٦٤ وهو يقضى بما يأتي

١ - إبطال حق الشركة مطالبة الحكومة بتقديم العمال المصريين ، وإلزام الحكومة في مقابل ذلك بتعويض مالي تقدمه للشركة ومقداره ٣٨,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

(٣) بتاريخ ١٢ أكتوبر سنة ١٨٦٣ - وثائق القناة للسير دليس ج ٤ ص ٣٥٠

١٠ - الشركة بمحكومة هي كل حق في ترعة المياه العذبة ، والتزام الحكومة بإتمامها مع منعها الشركة عن الانتفاع بها ، وإلزام الحكومة مقابل هذا التنازل بأن تدفع لشركة تعويض قدره ١٦,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

٣ - حصل الأراضي المنوطة للشركة واللازمة للمشروع ٢٤,٠٠٠ هكتاراً تقريباً (١) منها ١٠,٢٦٤ هكتاراً على جانبي القناة البحرية وملحقاتها ، و ٩,٦٠٠ هكتار بمرعى عذبة ، وثلاثة آلاف هكتار مياه الشركة

٤ - إعادة الأراضي الأخرى التي انتصح عدم لزومها للمشروع ومساحتها ٩٠,٠٠٠ هكتار ، مقابل تعويض تدفعه الحكومة وقدره ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ فرنك (٢) .

فلسفة التعويضات

فكان مجموع ما أُلزمت به الحكومة من التعويضات للشركة طبقاً لحكم الإمبراطور نابليون الثالث ٨٤,٠٠٠,٠٠٠ فرنك (٣,٣٩٠,٠٠٠ جنيه) ، وبيئتها كما يأتي بالجنبيات :

جنيه	
١,٥٢٠,٠٠٠	مقابل إعطاء الحكومة من تقديم العمال المصريين لخدمة القناة
٩٤٠,٠٠٠	مقابل تنازل الشركة عن حق إنشاء ترعة العذبة
١,٢٠٠,٠٠٠	مقابل تنازل الشركة عن دعواها في ملكية الأراضي
٣,٣٩٠,٠٠٠	مجموع التعويضات

وإذا علمت أن رأس مال الشركة هو ثمانية ملايين جنيه ، أمكن أن نقدر مداهم التعويضات التي حكم على مصر بأدائها ، وأنها تبلغ على وجه التقريب نصف رأس مال شركة

ويمتد هذا الحكم من الأحكام المطارة في التاريخ ، لأنه يبي على أنساب لا يسعها عدل ولا منطق ، فقد أُلزم الإمبراطور نابليون الثالث الحكومة المصرية بتعويض عن مصادرها

الأولى عداها . تقدم العمال مصريين . وفي هذه التعويض على أنها مبرمة

١ - حكمه من قبل

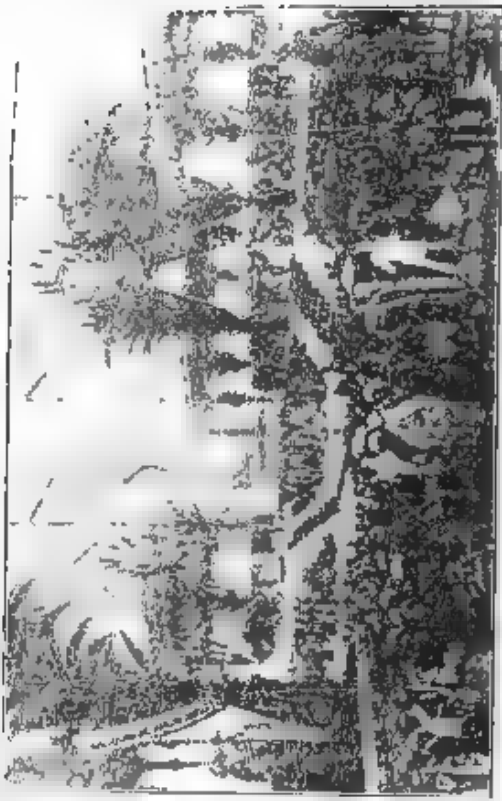
٢ - حكمه من قبل

بتقديم هؤلاء العمال لشركة ، وأن إتمامها بهذا الالتزام سيضطر الشركة إلى جلب مال من أوروبا ، فتدفع لهم فروقاً في الأجرة ، وإلى استحضار آلات تنقى عن الأبدى العاملة ، وتكلفتها حقاً طائلة ، وأن الحكومة المصرية مسئولة عن هذه الفروق والتعويضات ، وقد قدرها بهذا المبلغ الضخم (١,٥٢٠,٠٠٠ جنيه)

ولا مراد في أن هذا السبب ظاهر فيه التسف والمهوى ، لأنه من التأمل في شروط الامتياز يتبين أنها لا تتضمن التزاماً من الحكومة بتقديم أي عدد من العمال ، بل كل ما ورد في العقدان أربعة أشخاص العمال يكونون من المصريين (مادة ٢) ، وأن الحكومة تعهدت بذلك مساعدتها للشركة (مادة ٢٢) ، وليس في العقد التزام ، بالمعنى القانوني يؤدي إلى الحكم بتعويضات فيها إذا لم تسخر الحكومة الممد الذي ينبغي الشركة من العمال ، بل كان على الشركة أن ترغب العمال في العمل بالأجور التي تعرضها عليهم ، أما جعل العمل إجبارياً بواسطة سلطة الحكومة ، فأمر لم يلتزم به الحكومة أصلاً في عقد الامتياز .

الثاني : تنازل الشركة للحكومة عن إتمام ترعة المياه العذبة ، وعن الجزء الذي أنشأته فيها ، وقد رتب الحكم على هذا التنازل إلزام الحكومة بتعويض الشركة مقابل النفقات التي بذلتها في الجزء الذي أنشأته وحرمانها من الأرباح التي كانت تتلقاها من استغلال التركة بعد تمامها ، وقدر هذا التعويض بمبلغ ١٦,٠٠٠,٠٠٠ فرنك (٦٤٠,٠٠٠ جنيه) ، وكانت العدة تقضى بالتزام الحكومة إلا بما أنفقته الشركة فعلاً على الجزء الذي أنشأته ، ما دامت قد تنازلت عنه للحكومة ، وهذا ما كان إسماعيل باشا مستعداً لأدائه ، ومقداره باعتزاف الشركة ٧,٥٠٠,٠٠٠ فرنك (٣٠٠,٠٠٠ جنيه) ولكن التمييز والمهوى جعلوا نابليون الثالث يكتل المال جزاءً لشركة

الثالث : تنازل الشركة عن ملكية الأراضي التي تبين من الحكم عدم لزومها لإنفاذ المشروع . وقد قدرت في الحكم بـ ٦٠,٠٠٠ هكتار ، وهذا أيضاً ظهر العرض والتعويض للشركة . لأن هذه الأراضي هي جهات صحراوية جرداء ، لم تكن الشركة قد استصلحتها بعد . وانتصح أن يعاد المشروع لا يقتضيه ، وبالرغم من ذلك قدر نابليون الثالث ثمنها على اعتبار ما سيؤول إليه أمرها في المستقبل ؟ فجعل لكل هكتار (قدره تقريباً) خمسمائة فرنك (٢٠ جنياً) ، وحكم على مصر بأن تدفع للشركة في هذا الباب وحده ثمانين مليون فرنك (١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه) ، وهكذا قضت عدالة نابليون الثالث أن تدفع مصر هذا



حفلة افتتاح قناة السويس ببيديسيد

يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٨٦٩

وقد أقيمت في هذه الحفلة ثلاث مناسبات ، خصصت للحفلة الكبرى للزوار والأفراد وكبار الدبلوماسيين ، ولثانية لرجال الدين الإسلاميين ، ولثالثة لرجال الأكاديمية ، وبخاصة في الحفلة الكبرى . بحضور إسماعيل ، أبوسفيان إسماعيل ، قوتوسا جبريل إسماعيل ، السلاطنة أميرة محمد علي ، والأمير فريدريك ويلهلم ملك بروسيا . الأمير محمد علي ، والأمير محمد توفيق باشا ، والأمير محمد طوسون باشا ابن محمد سعيد باشا . قريب باشا وقدر الدبلوماسية ورئيس المجلس الخصوصي العالي ، مجلس الوزراء . فريلر باشا وقدر الحكومة . خاص باشا وقدر الحرية والبحرية . رئيس باشا عازم طار الدبلوماسيين للسفير فريدريك دلبس . الأمير عبد القادر الجزائري الأمير دويست والكونت أنطوني من وريده النمسا . البارون بروكس من النمسا في الأمانة الحاج الحج

وبعد ألقى الشيخ إبراهيم باشا في هذه الاحتفال كلمة تبرك باللغة العربية . ثم تلاه مارسيلو د بور ، وأعطى باليونان الثالث الذي جاءه نصيبها من فرنسا لخصور الأحسان وأهل حفلة تبرك باللغة الفرنسية



دخول البواخر للقناة للزوار والأفراد قناة السويس

في مسيحة ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩

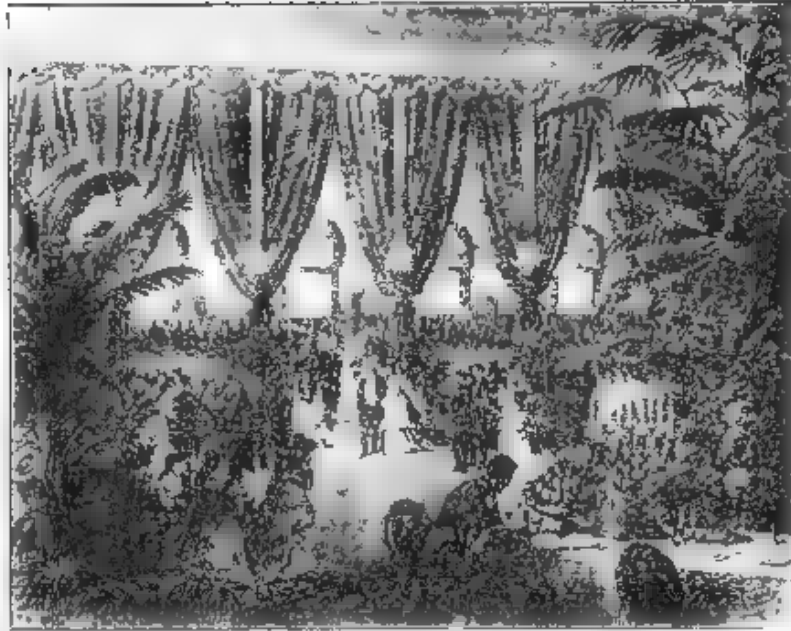
يبدأنا بافتتاح القناة للإصلاح

وتوى في مقبرة البواخر الشقية (ليجل) L'Angle قبل الإمبراطورة أوجي



احدى الحلقات الفخمة التي أقيمت إتهلجا بافتتاح قناة السويس

ليلة العشاء التي أقيمت الحفلة إسماعيل خديوي في قصره ببلدية الإسكندرية ليلة ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٩ ، وقد مدحت الموائد في هذه الحفلة لألاف الضيوف ، ولدى لي عصر للاميرة الفرنسية الإمبراطورة أوجيني إمبراطورة الفرنسيين ، وهي معها فرسوا جوريت ، إمبراطور النمسا ، وعن يسارها الأمير فريدريك ويلهم وفي عهد روسيا ، وإلى يمين الإمبراطور فرانسوا جوزيف عتلة السير اليوت سفور الملقب بالأسفلة ، ثم الجنرال اجتاليف سفور الروسية في الأسفلة ، وإلى يسار وفي عهد بروسيا عميد سفور الروسية ، ثم السير هنري اليوت سفور الملقب بالأسفلة ، وأمامهم الخديو إسماعيل ، وإلى يمينه سيرا هولندا ، للأمير حوا ، وإلى يسار الخديو أمير هولندا ، ثم مقدم دي يوار ، ثم السفير فريدريك دالميس



(البالو) أو حفلة الرقص التي أقامها الخديو إسماعيل في قصره بالإسماعيلية ليلة ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٩ إتهلجا بافتتاح قناة السويس

(البالو) هذه الصورة والصورة السابعة من كتاب افتتاح قناة السويس

إسماعيل خديوي إسماعيل خديوي إسماعيل خديوي إسماعيل خديوي إسماعيل خديوي

لوصف حلقات القناة والصورة التي في يمينه بر Rios

جميع في حفلات لا طائل لها في الوقت الذي استهدمت فيه الحكومة والبلاد لأشد صروب
صيق لمصر

عناصر مصر المالية في إنشاء القناة

بمدر مؤلف « تاريخ مصر الحديث » حشرته مصر في إنشاء القناة ، من ثمن أسهمها في
الشركة ، وما بدله لها من التحويلات ، وما دفعت في إنشاء ترعة الإسماعيلية ، واسترداد
أطيان الوادي ، ومعدات حفلات القناة بجميع ١٦٨٠٠٠٠٠ جنيه^(١١) .
وهذا التقدير هو أقرب الإحصاءات للواقع ، وهو قريب من البيان الذي قدمت الحكومة
لمجلس شورى النواب بطلبه ٢٠ رجب سنة ١٢٩٣ هـ عن ديون الحكومة وإيراداتها
ومصروفاتها ، فقد جاء فيه أن مجموع ما دفعته في قناة السويس ١٦٠٧٥٠١١٩ جنيه
مصرى ، وهذا الإحصاء يقل عن إحصاء المستر إدوين دي ليون Edwin de Leon
فصل الولايات المتحدة العام في مصر على عهد إسماعيل ، فإنه قدره بمبلغ ١٧.٤٢٣.١٧٨
جنيه إنجليزي^(١٢)

ومن هذه المقاربة يتضح أن إحصاء مؤلف تاريخ مصر فلكل هو الرقم للوسط الذي يصح
الاعتماد عليه ، وستجده هنا في أن نضع مفردات لهذا الإحصاء طبقاً للبيانات التي أوردناها .
حبه

قيمة أسهم مصر في القناة	٣.٤٢٦.٠٠٠
قيمة التحويلات المحكوم بها للشركة	٣.٣٦٠.٠٠٠
ثمن أراضي تفتيش الوادي	٠.٤٠٠.٠٠٠
تمويض مدفوع للشركة بمقتضى اتفاق ٢٣ أبريل سنة ١٨٦٩	١.٢٠٠.٠٠٠
نفقات التربة العذبة	١.٢٠٠.٠٠٠
نفقات حفلات القناة	١.٤٠٠.٠٠٠
	١٠.٩٨٦.٠٠٠
فوائد وسمرة ومعدات التحكم وما إلى ذلك	٥.٨١٤.٠٠٠
مجموع الحسابات	١٦.٨٠٠.٠٠٠

(١١) تاريخ مصر الحديث من ١٣٦٠ . ولم يذكر المؤلف مفردات هذه الإحصاء
في كتابه (مصر الحديثة) The Khedive Egypt طبع سنة ١٨٧٧ من ٤١٧

ولا نحسن أن في رقم الموائد وما إليها مبالغة ، فإن المستر إدوين دي ليون بقدرها في
إحصاءه بمبلغ ٦,٦٦٣,٠٠٠ جنيه (من ٤١٧ من كتابه)
وإذا علمت أن نفقات إنشاء القناة بأكملها طمعت بحسب إحصاءات الشركة
٤٥١,٦٥٦,٦٦٠ فرنك ، أي نحو ١٨,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ، أدركت أن مصر احتلت وحدها
معظم هذه النفقات ، وإذا بحثنا عما نال مصر من بدل هذه الجبال الحسنة التي كانت من
أسباب ارتياكها المائل ، كان الجواب أنها لم تنل من القناة أية فائدة . بل عادت عديها بالويل
والخسران ، إذ كانت مقدمة الاحتلال الإنجليزي ، وفي ذلك يقول مرحوم محمد بك فريد
« يمكننا القول بأنه لولا نقود مصر وفلاح مصر الذي ما زال يدير على الاشتغال قهراً بأجرة
رعيه لما أمكن دليس أن يتم هذا المشروع الذي كان سبباً جاحقاً فيه من الاحتلال
الأجنبي ، وما ستره عن أولادنا إن لم تساعدنا المقادير »^(١٣)

بيع أسهم مصر في القناة

كان لمصر من أسهم شركة القناة ١٧٦,٦٠٢^(١٤) سهماً ، وهو مقدار عظيم يكاد يساوي
نصف أسهم الشركة ، لأن مجموع الأسهم ٤٠٠ ألف سهم .
وقد اكسب فيها سعيد باشا واشتراها بمبلغ ٣,٤٢٦,٠٠٠ جنيه ، ولا ريب أن امتلاك
هذا المقدار من الأسهم كان من شأنه أن يجعل لمصر شيئاً من الهيمنة على الشركة وإدارتها ،
ويجولها حق التدخل في شئونها ، كما أنها مورد أرباح وميرة تعود على الخزانة المصرية بأضع
الآلاف ، وخاصة بعد تقدم أعمال الشركة وارتفاع أسهمها بدرجة فالت كل تقدير
ولكن إسماعيل أي لا أن يجرم مصر هذه الثروة الجسيمة . في سنة ١٨٧٥ أخذ
معي من المال ينصب بين يديه ، بعد القروض الباهظة التي استندب . والأعياد الحسنة التي
تأدت بها الخزانة ، فحكر في بيع أسهم مصر في القناة وعرضه علناً للبيع
وقد بدأ يعرضها على فرنسا ، فترددت في الأمر ، ولكن الحكومة الإنجليزية ما لبثت أن
علمت بالمسألة حتى دارت بشرائها ، لأنها وجدت في هذه صفقة فرصة سانحة بوضع يدها
على القناة

(١٣) تاريخ الثورة المصرية من ٣١٧ لمرحوم محمد بك فريد

(١٤) حدودها في الأصل ١٧٧٦٤٢ ، باعتها الحكومة من قبل ١٠٤٠ سهماً بمقدار ١٧٦٦٠٢

فاشترت هذه الأسهم بثمان مائة مليون من الحيازات الإنجليزية ، وبهذه الصفقة
صاح إسحاق على مصر للمرة التي بقيت لها من مشروع قناة

حسابات فادحة

وبعد تمت قيمة هذه الأسهم (في سنة ١٩٢٩) ٧٢ مليون جنيه ، ودرجت منها الخسارة ،
لبريطانية (إلى أواخر سنة ١٩٢٩) ٣٨,٦٠٠,٠٠٠ جنيه . ومجموع ذلك يف ومائة مليون
جنيه وعشرة ملايين من الحيازات ، نرى أن خسارة مصر من هذه الناحية بلغت إلى تلك
السنة

$$١١٠,٠٠٠,٠٠٠ - ٤٠,٠٠٠,٠٠٠ = ٧٠,٠٠٠,٠٠٠ \text{ جنيه}$$

وثمة خسارة أخرى أصابت مصر إذ تدارت عن ١٥ في المائة من أرباح القناة التي كانت
تؤول لها بمقتضى عقد الامتياز ، تنازلت عن هذه الحصة بسبب قروض إسحاق مقابل ٢٢
مليون فرنك أي ٨٨٠,٠٠٠ جنيه ، وقد بلغت قيمة هذا النصيب الآن (سنة ١٩٣٢) نحو
٢٠ مليون جنيه ، وهو يقل إيراداً لا يقل عن ٨٦٩,٠٠٠ جنيه في السنة
وهذه الأرقام تدل على مبلغ ما أصاب مصر في الصفقتين من الممران المبين .

• • •



خريطة القناة

لناة السويس وتوزيعها العامة
٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ منح سعيد
باش امتياز القناة إلى السيد داليس
٥ يناير سنة ١٨٥٦ : شروط
الامتياز
٢٥ أبريل سنة ١٨٥٩ : ابتداء
العمل في حفر القناة .
٩ يوليو سنة ١٨٦٤ : حكم
الإمبراطور نابليون الثالث .
١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ : افتتاح
القناة لسملاحة
٢٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥ : بيع أسهم
مصر في القناة إلى إنجلترا .
٧ أبريل سنة ١٩١٠ : رفض
الجمعية العمومية المصرية تجديد
الامتياز
١٦ نوفمبر سنة ١٩٦٨ : انتهاء
الامتياز وعودة القناة إلى مصر

الفصل الخامس

السودان في عهد إسماعيل

من آثار الخديو إسماعيل التي عتد ذكره في تاريخ مصر القومي أنه وجه عنايته وحمته إلى إتمام فتح السودان ، والوصول إلى حدود مصر الطبيعية . وعلوم ، أن هذه الحدود تشمل ودي النيل وبحافته ، من بحر لأقصى المتوسط شمالاً ، إلى مابح النيل والأقبوس هدى جنوباً ، ومن البحر الأحمر شرقاً إلى صحراء سيناء (لبنه) غرباً . ولقد أكمل إسماعيل من هذه الناحية لعمل أبيه محمد علي ، توسع بطون السودان ، ووسط الحكم المصري في أملاكه ، ومدد روافق القضاة والعمران على ريوحه

توسيع نطاق السودان

بيننا في كتابه د. مصر محمد علي ، (ص ١٩٢ الطبعة الأولى) مدى خروج مصر في السودان على عهد محمد علي ، وذكرنا أن حدود السودان وصلت شرقاً إلى البحر الأحمر ، وضمت إقليم النكا (كلا) الواقع شرق نهر عطبرة . ووصلت من جهة الحشة إلى القضاة والفلايات ، ودخلت سواكن ومصوع في نطاقها ، وبلغت الحملات والتجاريه جنوباً إلى جزيرة (جونكر) تجاه عندكرو الواقعة على النيل الأبيض

فلندكر الآن الفتح المصرية في الأقطار السودانية على عهد إسماعيل ، وغلاصها أن مصر فتحت مديرية فاشوكة ، وضمت محافظتي مصوع وسواكن -أيّاً إلى أملاكها ، وفتحت إقليم خط الاستواء وعلكة (أوبورو) وبسطت حيازتها على مملكة (أوغندا) وفتحت إقليم بحر الغزال ، ثم سلطنة دارفور . واتسعت أملاك مصر بين الحبشة والبحر الأحمر حتى سهيت ، وبلاد اليوغوس . وامتدت سيطرتها إلى سواحل البحر الأحمر حتى بونغاز باب المندب ، وضمت محافظتي ربيع وبريرة الواقعتين على خليج عدن ، فيما يلي بونغاز باب المندب ، وفتحت سيطرتها الواقعة في الجنوب الشرق من الحبشة ، ودخلت سواحل الصومال

س. به في أملاك مصر حتى رأس جردفون (جردفوى) على المحيط الهندي ، ثم إلى رأس (حافون) وبدلت كلمة انصحت رقعة الفتوح المصرية ، فوصلت جنوباً إلى بحيرة أبيات وبحيرة مكنوريا . وشرقاً إلى البحر الأحمر وخليج عدن ، وغرباً إلى حدود (وادي) وسندكر فيما بين هذه الفتوح لتعصلا .

فتح فاشودة

(سنة ١٨٦٥)

في سنة ١٨٦٥ اجتاحت الجيوش المصرية فاشودة احتلالاً رسمياً ، وذلك على عهد جعفر صادق باشا حاكم السودان ، وانتمت الحكومة بها نقطة حرية دائمة لمنع تجارة الرقيق فسُلت الطريق أمام النحاسين الذين كانوا يجلبون الأرقاء بطريق النيل من إقليم بحر الغزال خط الاستواء ، وصارت فاشودة عاصمة المديرية المسماة باسمها .

ولعاشودة أهمية كبرى ، نالها من موقعها الجغرافي والحراري ، فلها عند افتتاح النيل الأعلى ، موقعها على ملتقى الطرق المختلفة الواصلة من الخرطوم والحشة إلى جنوبي السودان ، وعلى مقربة من ملتقى روافد النيل كبر سوباوط وبحر الغزال والنيل الأبيض وبحر الزراف ، وهي نقطة الاتصال بين السودان وجهات خط الاستواء . ومن يملكها يضمن الفوز في شمال السودان وفي الجهات الجنوبية منه إلى البحيرات الاستوائية ، فلا غرو أن يكون لها مكانة كبيرة من الوجهتين السياسية والاقتصادية .

ولا يخفى أن فاشودة هذه هي التي قامت بشأنها تلك الأزمة السياسية المشهورة بين إنجلترا وفرنسا ومصر سنة ١٨٩٨ ، حين احتلها كتيبة من الحدود الفرنسية بقيادة الكولونيل Marchand . فاحتجبت الحكومة الإنجليزية على هذا الاحتلال ، وارتفعت على أنها من الأراضي المصرية . ثم انتهى النزاع باستباحة الفرنسيين منها وبقائها من أراضي مصر ، وقد اكتسبت شهرة دائمة بسبب هذا النزاع الذي دار حولها .

وقد غير الإنجليز اسمها ، وسوها الآن (كودوك) ، وغيروا اسم مديرية فاشودة ، فجعلوها مديرية (النيل الأعلى) ، وذلك لكي ينجوا من الأدهان لاسم فاشودة وما يثيره من ذكرى

الحلف السياسي الذي قام بشأنها سنة ١٨٩٨ . والذي كانت حجة انجلترا به أن هذا البلد من أملاك مصر فيذكر المصريون على الدوام اسم (فاشودة) . فإنه من الأعلام التاريخية التي تسجل في وجه المعاصرين حق مصر الخالد في السودان

ضم سواكن ومصروع

فلما في الجزء الثالث من تاريخ الحركة القومية (عصر محمد علي) من ١٩٣ إن سواكن ومصروع دخلتا في حدود السودان المصري على عهد محمد علي ، لأنه إدركى ضرورتها للسودان ، وأنها منفعة على البحر الأحمر ، وخاصة لإقليم التاكا (كسلا) ، استأجرهما من السلطان (وكانتا من أملاك السلطنة العثمانية) مقابل إيجار سنوي قدره ٢٥٠٠٠ جنيه ، وبذلك دخلتا في ظل الحكم المصري .

على أن إسماعيل رأى إلحاقها بصفة نهاية إلى أملاك مصر ، فاستصدر في سنة ١٨٦٥ فرماناً من السلطان بإحالة قائمقامي سواكن ومصروع إلى عهده ، وجعلها فرمان ٢٧ مايو سنة ١٨٦٦ الذي تكلمنا عنه (ص ٧٩) من ملحقات مصر ، وصارت كل منها محافظة قائمة بذاتها . فمحافظة سواكن تمتد على البحر الأحمر من رأس علة إلى رأس قنار (واسع الخريطة للملحقة بهذا الفصل) ، ومحافظة مصروع امتدت من رأس قنار حيث تنهى محافظة سواكن إلى حلة (رهيلة) عند بوغاز باب المندب

وقد عبرت مصروع وسواكن في ظل الحكم المصري ، ذلك أن مدينة مصروع كانت قائمة على جزيرة بالبحر ، فوصل بينها وبين اليابسة بحمر طوله ١٨٠٠ متر وعرضه عشرة أمتار ، وتم إنشاؤه سنة ١٨٧٢ ، صيرت المدينة واقعة . وبقي فيها ديوان المحافظة ، وآخر للجبرك ، ومساكن للموظفين ، وشيدت بها قلعة منيعة . وأُنشئت ترعة صغيرة لتوصيل مياه العدة إلى سواكن ، وهذه الترعة تشد الماء من خزان أقيم لجمع مياه الأمطار في سطح جبل قريب من المدينة (١٥)

وظلت المحافظتان مكملاً لمصر إلى شوب الثورة لمهدية ، فلما اضطرت إنجلترا الحديدي توفيق

إلى الفرار بإحلاء السودان سنة ١٨٨٨ ، وصار في نظر الدول الاستعمارية مياً مفسداً ، انشرت إيطاليا هذه الفرصة بتواطئها مع الإنجليز ، واحتلت محافظة مصر سنة ١٨٨٥ ، وما زالت تحتلها إلى اليوم ، (١٩٣٢) وتسمى هي وملاحقتها مستعمرة (الأثرية) أما سواكن فقد جعلت بعد اتفاقية سنة ١٨٩٩ الباطلة محافظة تابعة للحكومة السودان

فتح إقليم خط الاستواء والوصول إلى منابع النيل

أسلمنا القول أن الحملات والتجاريات المصرية التي قادها البكاشي سليم بك قبضان في عهد محمد علي بلغت جزيرة جونكر نجاء فذكر (راجع مصر محمد علي ص ١٩٠) ، ولكن هذا الفتح لم يكن إلا وقتياً ، بمعنى أنه لم يقترن بوضع حامية عسكرية دائمة في تلك الجهات تترسلطة الحكومة فيها ، فاعتزم إسماعيل أن يبسط نفوذ مصر بصفة دائمة في تلك الأصقاع . وما يليها جوفاً حتى منابع النيل ، ولكنه لم يجد حذو جده في أن يعهد بهذه المهمة القوية إلى ضابط الجيش المصري . بل عهد بها إلى جماعة من الإنجليز ، وهذه مواطن ضعف في سياسته أدى إلى عواقب وخيمة سذكرها فيما يلي :

مهمة السير صمويل بيكر Samuel Baker

فناط بالسير صمويل بيكر الرحالة الإنجليزي المشهور الزحف إلى الجهات الجنوبية لغاية منابع النيل وضمها إلى أملاك مصر .

رحلته في عهد سعيد باشا

بدأت رحلات السير صمويل بيكر في السودان على عهد سعيد باشا ، فقد قصد من تلقاء نفسه إلى تلك الأقطار ، لاكتشاف منابع النيل الأبيض ، وكان الرحالة ابن اسبيك Speke وحرانت Grant قد سبقاه إلى تحقيق هذا الغرض ، عوفين من قبل الجمعية الجغرافية الإنجليزية ، فعادوا بطريق رجبار ، واكتشفا بحيرة (اكروي) ومنبع النيل فيها . وكان ذلك في ٢٨ يولييه سنة ١٨٦٢ ، وسماها باسم الملكة فكتوريا ، طلكة انجلترا في ذلك الحين . وصارت تعرف من ذلك الحين باسم بحيرة (فكتوريا) .

أما السير بيكر فآثر أن يسلك في اكتشافه طريق الخرطوم ، وصعد جوفاً في النيل فبلغ في ٢ فبراير سنة ١٨٦٣ عندكرو التي وصلت إليها حملات البكاشي سليم بك قبضان في عهد محمد علي سنة ١٨٤٦ ، وأخذ يتأهب لمطالبة سيده ، وإذا بالرحالة ابن اسبيك وحرانت قد التقيا به ، وأبلغاه اكتشاف بحيرة فكتوريا ، وأنبا إليه أن هنالك بحيرة أخرى أحيرهما بها الأهليون ، لم يتم اكتشافها بعد ، فطاع سيده حتى اكتشفها في ١٤ مارس سنة ١٨٦٤ ، وسماها بحيرة (ألبرت) باسم الأمير ألبرت زوج ملكة إنجلترا

ثم عاد إلى عندكرو ، وصار سباً إلى الخرطوم فبقيها في ٣ مايو سنة ١٨٦٥ . وعاد من هناك إلى بريرة فسواكن ، وأقنع إلى انجلترا ، وقد صحبته امرأته النبية ، في هذه الرحلة الطويلة ، وقاسمته مخاطرها ومتاعها ، وكان لها الفصل الكبير في نجاحه في مهمته التي رغبته إلى مستوى كبار المكتشفين ، ولا غرو فإن اسمه يقرن دائماً باكتشاف بحيرة ألبرت إحدى منابع النيل الكبرى .

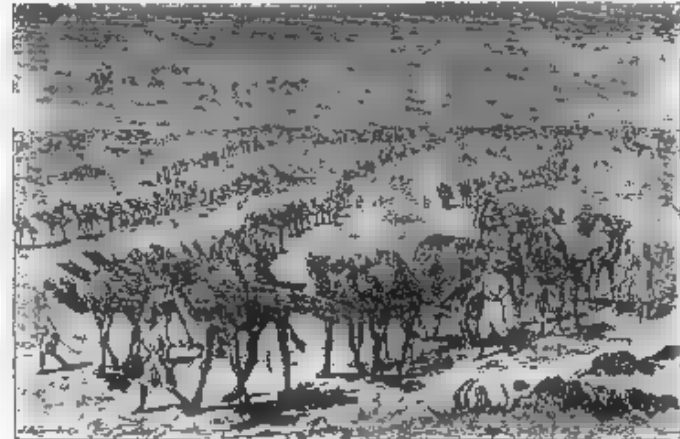
مهمته في عهد إسماعيل

(١٨٧١ - ١٨٧٣)

انقضت خمس سنوات تقريباً على رحلة صمويل بيكر الأولى ، ثم جاء مصر سنة ١٨٦٩ بصاحب الأمير إدوارد وفي عهد انجلترا لحضور حفلات التتاج قذة السويس . فرغب الأمير إلى الحديو إسماعيل أن يعهد إليه بمطاردة الاتجار بالرقيق في السودان نيابة عن الحكومة المصرية ، فلم يتردد إسماعيل في قبول الطلب ، إذ كان يبغي التودد إلى الحكومة الإنجليزية لم يكن الغرض من هذه المهمة خدمة الإنسانية ، بل كانت الحكومة الإنجليزية ترمي إلى تهديد السيل لتحقين أطباعها الاستعمارية في وادي النيل ، وبأن ذلك أن حطراً بعد إنقاذ مشروع قناة السويس احطت تنطبع إلى احتلال مصر ، ورمق ملاكها في السودان ، وتعمل على استطلاع أحواله ، والتدخل في شؤنه ، لكي تحلف مصر ومأ ما فيه ساهبا لسيح صمويل بيكر ثم لكونه مل عرود من بعده ، إلا انهم قد عده لمتعمره

وكان الحديو إسماعيل بعد انظر مكان عنه من لدكاه حتى أن يسط

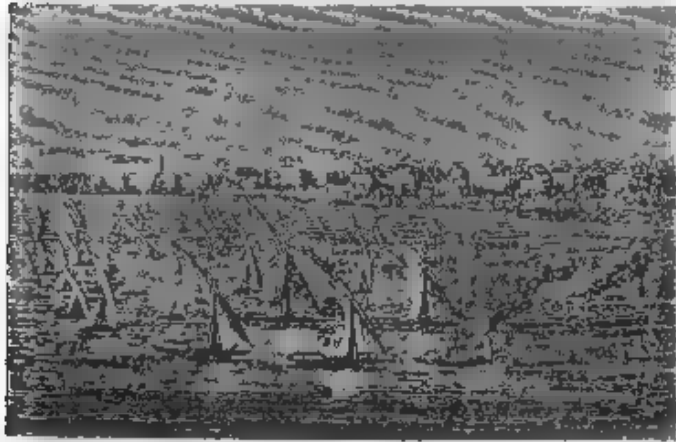
عدد مد في السودان على ندى سكر ووردون وأصرايب ، من مداه لاسمير الإمبري
 لأن هؤلاء لا يتكلمون أن يخلصوا لمصر ، بل هم يعملون على خلع السياسة الإنجليزية
 كانت ولا تزال ترمى إلى إقصاء النفوذ المصري عن السودان
 قبل إسماعيل إبن ما عرضه عليه ول عهد إنجلترا . وأصدر مرسوماً إلى السير صمويل بيكر
 عهد إليه فيه بسط نفوذ مصر في الأصقاع الكائنة جنوبي الخرطوم ، وتنظيمها ومشر التجارة
 . ومصادرة لأحد باريق وإنشاء المحطات الخيرية فيها ، وجعله قائداً لرحلة جرداها هذا
 بعرض مرمم من ١٧٠٠ مدال ، وأنعم عليه برتبة فريق لصار يعرف بيكر باشا ، وسجله
 حاكماً على مديرية خط الاستواء لمدة أربع سنوات ، سدى من أول أبريل سنة ١٨٦٩ براتب
 قدره ١٠,٠٠٠ جنيه في السنة



على جرد الواد . سببه على ظهور الإبل من مصر إلى السودان في صحراء التوبه أواخر سنة ١٨٦٩ استعداداً
 لفتح إقليم خط الاستواء

وقد صحبته في هذه الحملة زوجته النبيلة كما صحبته في رحلته الأولى ، وزاغتته في
 الرحلات الجيدة التي قطعها . وشهدت الوقائع التي عاشها ، فكانت له مع بعض المصادق
 لأمين . وامتدح بيكر صفاتها في كتابه (الإسماعيلية) الذي ألفه لذكر هذه الحملة ، وأنشاد

ته من اليهود في معاجة المرحى والمرحى ، وما كانت تملك في النفوس من روح صا
 سخاعة والإقدام ، وما أسدته من حس التنبير لنجاح مهمته ، فكانت مضرب الأمثال في
 تؤديه لزوجه من جنبل الخدمات ، ومشاركها إياه في المهام الجسام
 جهزت الحكومة الخديوية معدات الحملة ، وأقرب المسافر معظم مهاتها من القاهرة إلى
 خرطوم . واقتضى نقلها مناهب جمة ، إذ لم يكن في استطاعة اليانتر اجتياز الشلالات ،
 منقلت أجزائها معككة على ظهور الإبل في صحراء التوبه ، وكذلك نقلت المهات الثقيلة بهذه
 جسة ، أما بيكر باشا فقد سار محر من السويس إلى سواكن ومنها إلى بربرة على ظهور الإبل
 فصنع لسافة منها في أربعة عشر يوماً ، واستقل من بربرة بدخه بيله مع ٣٠ خرصوه



الاسمير . على الدن جردا . خرطوم يوم ٨ فبراير سنة ١٨٧٠ فتح إقليم خط الاستواء وكان مؤلفاً من ثلاثين
 سفينة شراعية وبانتر

وصل سكر من خرصوه ، في عهد حاكمية بيكر مظهر باشا ، ثم قام منها يوم
 ٨ فبراير سنة ١٨٧٠^(١٧) في حملة نقلها ثلاثون سفينة ياخوتان قاصداً جهات خط الاسمر ،
 فرسا بالقرب من مثلث مير السوطا بانيل (جوني فاشودة) وبني هناك محطة سدي

(١٧) الإسماعيلية للسير صمويل بيكر باشا من ١٨٦٩ و ١٨٧٤

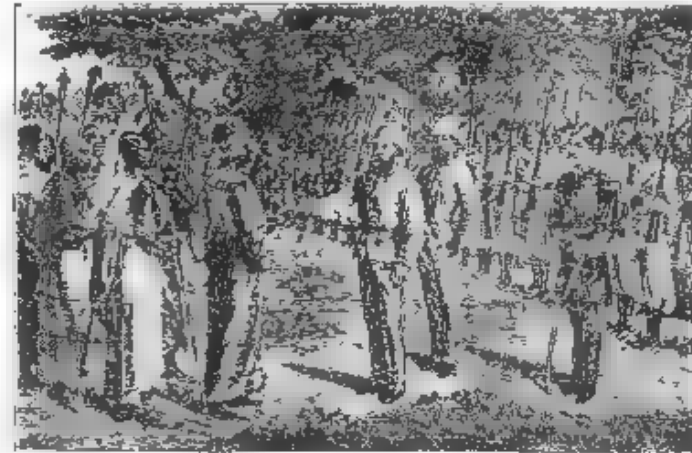
وحصروا في عدة بلاد بأعلى النيل ، منها (الإبراهيمية) على بحر الجبل (عرابيات) وقد سماها بهذا الاسم تذكراً لإبراهيم باشا أبي الحديوي إسماعيل ، وأنشأ حصوناً أخرى في (فاتيكو) ثم في (هيرة) الواقعة على نيل فيكوريا

فتح مملكة أويورو

(سنة ١٨٧٢ - ١٨٧٣)

وتقدمت الحملة في زحفها ، ففتحت مملكة « أويورو » التابعة لبحيرة ألبرت شرقاً واحتلت عاصمتها « ماسدي » أبريل سنة ١٨٧٢ ، وكان بها ملك يدعى (كاريقه) ، فأظهر خضوعه لسلطة الحكومة المصرية وأعلن بيكر باشا باسم الحديوي دخول هذه المنطقة في أملاك مصر (١٤ مايو سنة ١٨٧٢) ، وبقي في ماسدي داراً للحكومة المصرية بالقرب من دار كاريقه ، وشيد حصناً لإقامة الحامية المصرية .

على أن كاريقه ما لبث أن ظهرت خيائته ، فانقض على الحامية المصرية ، وقامت



وعاملاً في بيوت بساتين بيكر باشا والحدود المصرية مصطفة لاستقباله بجياده فقامت
عبد القادر بك حطى سنة ١٨٧٢

الحرب بينها ، وانتهى القتال بمزيمته وماراه
ثم انسحبت الحامية المصرية من ماسدي إلى شاطئ نيل فيكوريا لتأوى في مكان
مبني
وأعلن بيكر باشا خلع الملك كاريقه ، وولى مكانه ملكاً آخر من لأسره الحاكمة يدعى
(ريونجا) ، كان يزعم كاريقه على عرش أنيورو منذ وفاة الملك السابق فضل حد
التصليب بالإخلاص والابتهاج ، وبقي على ولائه لحديوي مصر ، وجرى حملة على كاريقه عليه
على أمره

ولاء ملك أوهنة لمصر

وقد ولد على بيكر باشا رسل من الملك (اميس) ملك أرغندة المطورة لمملكة أنيورو ،
والواقعة شمال بحيرة فيكوريا وغرباً ، وعرضوا إخلاص ملكهم لحديوي مصر ، فأكرم بيكر
ولادتهم ، وبادل ملكهم الرسائل والمهدايا . وبقي (اميس) موالياً لمصر ، وتقم على كاريقه
خيائته ، وهاجمه من الجيوب جزاء انتقامه ، وفضل ولاء اميس لمصر انفتحت الطريق بين
أعلى النيل وزنجبار على شاطئ المحيط الهندي .

وعاد بيكر إلى الإسماعيلية (غندكرو) في أبريل سنة ١٨٧٣ إذ انتهت مدة خدمته ،
صاحرها ، واستطاع في قيادة الجند وإدارة المديرية وموقف بك أحد ضباط الجيش المصري ،
ورجع إلى الخرطوم ، ومنها إلى مصر عن طريق سواكن والبحر الأحمر ، وقابل الحديوي بالقاهرة
(أغسطس سنة ١٨٧٣) فأنتم عليه باليشان الصافي ، وأسم على القانع مقام عبد القادر بك
حطى برتبة الميرلاي ، والملازم محمد أفندي برتبة الصاغ مكافأة لهم على خدماتهم في بسط
سلطة مصر في منطقة خط الاستواء

وقد بلغت نفقات هذه الحملة ٨٠٠ ٠٠٠ جنيه ، تحملتها خزنة مصر في وقت اشتد بها
الصيق المال فكان هذا المبلغ من تصحيبات مصر في سبيل مشر لواء الحصار والتقدم في ربيع
السود

والميرلاي عبد القادر بك هو من أركان حرب بيكر باشا ، وهو ضابط كعبه شجاع ، كان
له فضل كبير في نجاح الحملة ، وقد امتدحه بيكر في مواطن كثيرة . وأنشاد بصماته في كتابه

(الإسماعيلية) ، وأتى على شجاعته وإحلامه^(٢١) ، ونرى رحمه في العجز التي قلناها من هذا الكتاب

وعبد القادر بك هو الذي صار فيما بعد عبد القادر باشا حاكم السودان سنة ١٨٨٢^(٢٢) ، وله المؤلف المشهورة في بلد نعمة عن سلطة مصر في السودان ، كما سيحى بيانه في موضعه

وكان يعاون السير بيكر في مهمته جعفر مظهر باشا حاكم السودان حينذاك ، (لماية سنة ١٨٧١) ، حل أن جعفر باشا رأى بشاغب نظره أن إسعاد هذه المهمة إلى أجسي خطراً على مصالح مصر ، وكتب بذلك تقريراً أرسله إلى احدثو إسماعيل بسببه فيه إلى ذلك الخطر ، وأشار بإسعاد هذه المهمة إلى ضباط أركان الحرب من الجيش المصري ، ولكن إسماعيل لم يلتفت إلى هذا الرأي الحكيم ، ولم يعمل به ، واستمر يحسن الظن برواد الاستعمار

تعيين الكولونيل فردون (بانا) مديراً لخط الاستواء

(١٨٧٤ - ١٨٧٦)

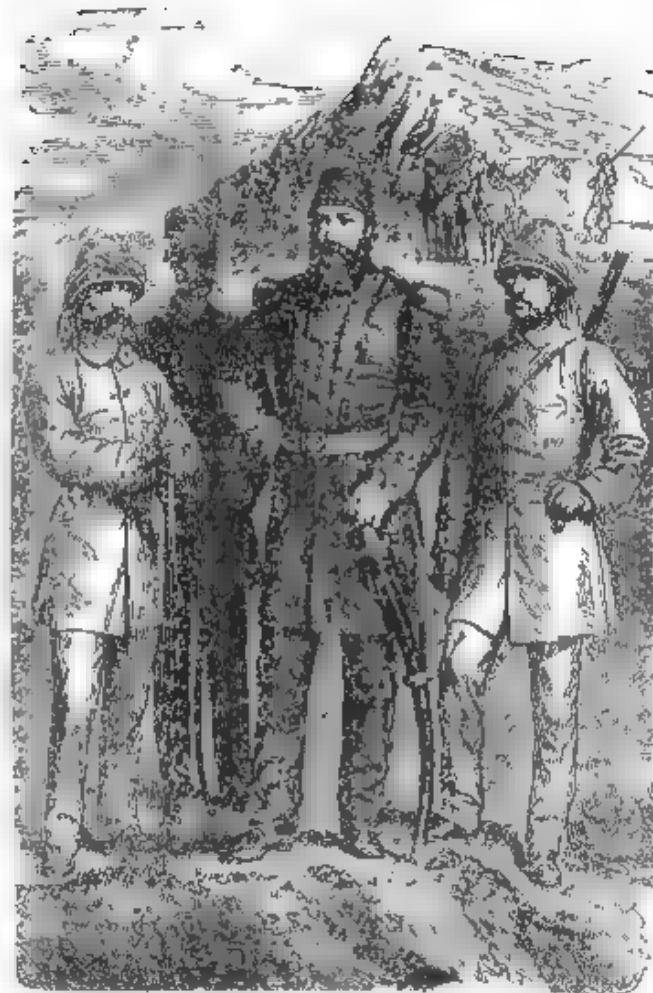
لم يكده يمضي قليل من الزمن على انتهاء خدمة السير صمويل بيكر ، وخطو منصب مدير خط الاستواء ، حتى خطفه الإنجليزي آخر ، وهو الكولونيل فردون الذي صار فيما بعد (فردون باشا)

ومن الغرابة بمكان أن يعاقب على هذا المنصب الخطير الإنجليزيان لما مقام معلوم في نظر الجمهور البريطاني والحكومة الإنجليزية ، ولم يكن ذلك من قبيل الملاحظات ، بل إن أصبح السباسة الإنجليزية كان لما دخل في هذا التعيين فكما أن الحكومة الإنجليزية هي التي أوعزت إلى احدثو إسماعيل بواسطة ولي عهد إنجلترا أن يسند هذا المنصب إلى السير بيكر ، فلما هي بصاً التي سمعت لديه في إسناده إلى الكولونيل فردون سنة ١٨٧٤

للسباسة الإنجليزية كانت تعد خطتها من عهد لتدخل في شئون السودان ، وحينئذ بداهه دى بده مطلع خط الاستواء ، لأنها المنطة التي حملتها المرحلة الأولى لبرنامجها

(٢١) الإسماعيلية للسير صمويل بيكر ص ٦٨ و ٦٩

(٢٢) كركرى المركز الدول لمصر السودان ص ٢٦٦



صمويل بيكر باشا مدير خط الاستواء في عهد إسماعيل وصوله أركان حربه وهم القائمقام عبد القادر حليم بك فالهانس هيجنبورث Higgeboirth ، م الملازم بيكر

منع من مباح السودان من جهة الجنوب . كما أنها مصدر خيرة مصر
وس من صادرات أن يقع اختيارها على الكولونيل غردون بالذات . فإنة الرجل الذي
كان قلبه يصبى وطنية وإخلاصاً لبلاده ، فلا جرم أن يبدل كل ما لديه من تصحية في سبيل
التوسع البريطاني ، وقد دلت خاتمة الخبر على أنه كان أكبر ضحية قدمها مصر لتصبح يدها
على السودان بعد شوب الثورة المهدية

ويحدث على تدخل السياسة الإنجليزية في تعيينه أنها أقمت الخديو بأن يجعل له من السلطة
كثيراً مما كان للسير صمويل بيكر باشا ، فقد كان هذا خاصاً بحكماد عموم السودان ، لكن
غردون حين حاكماً لإقليم خط الاستواء ، على أن يكون مستقلاً في عمله ، وقصر الخديو
سلطة حكماد السودان على الجزء الشمالي لغاية فاشودة ، وجعل الأقاليم الاسوائية التي تمتد من
حوي فاشودة^(٢٢) إلى خط الاستواء تحت سلطة غردون ، وفي هذا من إغلاق يده في الجزء
الجنوبي من السودان وإصعاف سلطة الحاكم العام المصري ما لا ينبغي من الابل ، كل هذا
يسمى السياسة الإنجليزية وتديرها

جاء الكولونيل غردون إلى مصر سنة ١٨٧٤ ، وقابل الخديو وكلفه الرحلة إلى السودان
لتولى منصبه فيها ، وكان حكماد السودان وقتئذ (إسماعيل باشا أيوب) ، فأرسل له الخديو
أوامره في هذا الصدد ، وأمره بتبنيها والحفاوة بغردون عند قدومه ، وإيجابه إلى كل
ما يطلبه ، فأظهر للعمل بهذه الأوامر على ما فيها من خفاضة .

وأنتم الخديو على الكولونيل غردون سنة ١٨٧٥ برتبة العريق ، فصار يعرف بغردون باشا ،
وصارت رتبته العسكرية مساوية لرتبة حكماد السودان ، مع أن منصبه الرسمي لم يزد عن كونه
(مدير خط الاستواء)

توسيع نطاق الحكم المصري في مديرية خط الاستواء

مضى الكولونيل غردون إلى السودان عن طريق البحر الأحمر وسواكس ، ونا بلغ الخرطوم
عند حمله . حين مضى صحبة إلى مقر مصلته ، فحركت خمسة حبات على ظهر

(٢٢) موضع غردون تسمى . بتبرين فاشودة وسط الاستواء ، ويعتبر حوي مثل في جهاب خط الاستواء من
سبيل توسيع مصر . (جردون باشا) على حريته (انظر خريطة ص ١٢٥)

بحر احمر . وصحبه من الخرطوم إبراهيم أفندي حوي . أخذ صاط خشن المصري
لدى صدرها بعد اللواء إبراهيم باشا حوي . وشهد وقائع سودان من سنة ٨٧٤ . بر شوب
مهدية . وشهد معظم وقائع الثورة إلى سقوط الخرطوم ومقتل غردون سنة ١٨٨٥ ،
وحضر سرحاع السودان سنة ١٨٩٨ . وله في ذلك كله كتبه المشهور (السودان بين يدي
غردون وكنتشر^(٢٣))

وصلت الحملة إلى فاشودة . بعد مسيرة سبعة أيام في التث ، فاستقبلها مديرها بالحفاوة
اللائقة ، وشهد غردون وإبراهيم أفندي حوي . وصلت إليه البلاد وقتئذ من العراق
والتقدم والحفوة بعناية الحكومة^(٢٤) .

وتابعت الحملة سيرها حتى وصلت إلى محطة سوبا ، وهي ابكائه على ملتقى مرسوا
بالبل ، ثم مارت جنوباً حتى بلغت الإسماعيلية (غندكرو) حيث يقم رموف بك ، لدى
استخطه السير صمويل بيكر في الحكم بقيادة الجند بمديرية خط الاستواء ، عقابل غردون
بالحفاوة والتكريم ، وأطلعه على أسواق البلاد وشوئها ، وقد أبقاه غردون قليلا ، ثم ما لبث
أن أقاله من رحله وأمره بالعودة إلى مصر .

وقد رأى غردون أن مناح الإسماعيلية ليس صحياً ، فنقل مركز الحكومة إلى (اللادو) ،
فصارت من ذلك العهد عاصمة مديرية خط الاستواء .

وبعد أن تولى شئون الحكومة في تلك الجهات تابع السير جنوباً حتى بلغ بحيرة (ألبرت) ،
واستولى على عشرة مراكب من سفن الاهلي ، استخطها لاكتشاف شواطئ البحيرة ،
واستقدم من الخرطوم العدد الكافي من اليونكر النيلية ومن آلات ابترسانة لمصرية بالخرطوم
وعمالها ، وأشأ بالدفلاي شمال بحيرة ألبرت (ترسانة) لتتلم الملاحة في أعالي النيل وفي
البحيرة . واستطاع عمال الترسانة أن يصكوا أجزاء بعض اليواخر ، ويركبوا ثانية في البحيرة ،
ولم تم تركيب أول ناخرة ، استخطها الكولونيل غردون باشا وحاشيته وإبراهيم حوي (باشا) ،
فساروا بها في لحج البحيرة ، فكانت هذه أول مرة وأت فيها بحيرة ألبرت السعس البحارية ،
وقد كان منظر الباصرة موضع دهشة الأهلي ، قال إبراهيم حوي (باشا) في هذا الصدد

« كان الأهلي يفتنون على شواطئ البحيرة كلما اقتربا منها صوفاً معجبين مذهئين من رؤية
اليواخر . إذ لم يكونوا قد رأوا السفن البحرية من قبل ، وكان يزيد عجبهم كلما شاهدوا

(٢٣) السودان بين يدي غردون وكنتشر ج ١ ص ٥

وأنه (أي غردون) كان يعني بقاء ملك أوغنده مستقلاً ، ولكنه هو الذي دعا الخاتبة المصرية التي كان غردون مترماً جعلها في (أورندجان) إلى الاستقرار في عاصمة أوغنده (دوباجا) ^(٣١) ، وقد استقرت بها فعلاً في أغسطس سنة ١٨٧٦ ^(٣٢) .

وعنى عن البيان أن غردون لم يكن يعني من استقلال أوغنده دفناً من مصلحتها . بل كان ما ينبغي أن تكون بعيدة عن التبعية المصرية ، حتى تصبح بعد لقمة سائفة لا يجتر . وقد سبب فعلاً حيايب عنها بعد فصل السودان ، وهكذا يبين لك أن غردون ، بكر حصن القبة لمصر مثل شالي لويج بك ، بل كان يخدم الدياسة الإنجليزية أثناء تقلده منصب الحاكم في مديرية حد لاسواء . وكذلك عند ولايته حاكماً عاماً للسودان سنة ١٨٧٧ كما سحى .

اكتشاف بحيرة (إبراهيم)

(سنة ١٨٧٤)

اكتشف الكولونيل شالي بك لويج ، سنة ١٨٧٤ ، بحيرة (إبراهيم) إحدى البحيرات التي ينبع منها النيل ، وهي الواقعة شمال بحيرة فيكتوريا ، وقد سماها بحيرة (إبراهيم) باسم إبراهيم باشا أبي الخديو إسماعيل ، وكانت تسمى من قبل بحيرة (كيوجا) ، وقد غلب عليهم الاسم الأصلي في مصورات الجغرافيه (الأطالس) الحديثة وكتبها ، لأن معظم الجغرافيين من الأفرح نابون أن يطلقوا اسماً عربياً مصرّاً على منابع النيل ، أما البحيرات الأخرى فسموها على أسماء أوروبية وسموها بحيرة (فيكتوريا) وبحيرة (ألبرت) ، وبحيرة (جورج) وبحيرة (إدوارد) ، أما بحيرة (إبراهيم) فـ ٢٠٥ يروق فهم تسميتها بمثل هذا الاسم المصري فيكون اسمها القديم (كيوجا) ، وهذا لعمرى ليس من الحق ولا من الإنصاف في شيء .

ومن واجب مهندس مصر وأسادة الجغرافيا والتاريخ أن يعمروا عن هذه البحيرة (بحيرة إبراهيم) ، ويتحدوه علماء لما في مباحثهم ودروسهم ومؤلفاتهم وأطالسهم حتى يرسخ هذا الاسم في أذهان البشر والمشهور ، وفي وثائق الحكومة وخرائطها ، ويذبح بين الناس في

(٣١) وتسمى أيضاً اميس على اسم الملك

(٣٢) سائل غردون . راجع ص ١٧٦

مصر وشيخ نوح في أور . كما دعب اسمه بحيرة (مكورو) وما يليه . وسموه (إبراهيم) حتى بالإدعاء من الأعلام الأخيرة التي أضيفت على بحيرة (أسواته) الأخرى . فإن اكتشاف هذه البحيرة تم على يد صايط من صباط الجيش المصري . باسم مصر - ولجسات مصر . في عهد إسماعيل بن إبراهيم . وبجوده رعايته ، ومكشفتها قد انتشر لها هذا الاسم تحقيقاً لرغبة الخديو إسماعيل ذاته ، فواجب الوفاء والمطلق يقضى باحترام هذه التسمية واتباعها (انظر الخريطة ص ١٢٥)

وقد ذكرها العلامة جورج شونفرت Schweinfurth في خريطة التي وضعها بيان خط سير أرنت ليان دي نظون من الرحايف إلى بحيرة فيكتوريا سنة ١٨٧٥ ، وسماها باسمها صحيح (بحيرة إبراهيم) . وكتب بجانبها العبارة الآتية (اكتشفها لويج بك في أغسطس سنة ١٨٧٤) ، وتجد هذه الخريطة ملحقة بالعدد الأول من السنة الأولى مجلة الجمعية الجغرافية الخديوية (نوفمبر سنة ١٨٧٥ - فبراير سنة ١٨٧٦) ، وسماها غردون في خريطة (بحيرة كيوجا) أو بحيرة إبراهيم ، وهي تشمل كيوجا وبحيرة كوانيا المتصلة بها .

وللكولونيل شالي لويج بك رسالة مسمية في مجلة الجمعية الجغرافية (مجموعة ٣ عدد ٧ سبتمبر سنة ١٨٩١ ص ٥٤٠) اعترض فيها على إفعال اسم بحيرة إبراهيم ، وذكر وثائق عامة عن اكتشافه وحدماته لمصر في مديرية خط الاستواء

وفي الحق أن الكولونيل شالي لويج بك يجب أن يقدر اسمه باسمه . مكتشياً منابع النيل ، فالرحالتان (اميسك) و(جرات) اكتشافاً بحيرة فيكتوريا ومنتج النيل منها ، والبر (صمويل بيكر) اكتشاف بحيرة ألبرت ، و(شالي لويج بك) اكتشاف بحيرة إبراهيم ، وعمرى النيل من أورندجان إلى مروي ثم إلى غوريه

وقد ذكر في كتابه «مصر ومديرياتها المفردة» ص ١٤٨ أنه بعد أن اكتشف بحيرة (إبراهيم) قصد إلى (ماندى) عاصمه (أوبورو) ، فألقى ملكها القديم (كاريفه) يناصب الحكومة العداوة . وأن كاريفه هذا هاجمه في قرية من ٦٠٠ مقاتل . فانسحب لويج بك إلى (غوريه) الواقعة على بين فيكتوريا

وذكر غردون باشا ^(٣٣) أن كاريفه ألقى (ماندى) في يناير سنة ١٨٧٦ وأن المواصلات

أعيدت إلى هذه العاصمة

(٣٣) في رسالة إلى اميس ص ١٦٥ - ١٧٦

استعفاء غردون من منصبه

(سنة ١٨٧٦)

بقى الكولونيل غردون مديراً لعموم خط الاستواء إلى أن استقيل من منصبه سنة ١٨٧٦ ، وعاد إلى القاهرة . وسما إلى إنجلترا ، ولعله رحل إليها ليطالع حكومته عن شؤون المنطقة التي تولى حكمها ، وليطلق تلميحاتها الجديدة فيما تأمره به ، لأنه لم يلبث في إنجلترا ثلاث سنوات إلا قليلاً ، حتى تدخلت الحكومة الإنجليزية لدى الخديو لتعيينه في منصب أكبر من منصبه القديم ، إذ جعله حاكمًا عموم السودان . فصارت أقاليم السودان تحت مطلق سلطته كما سيجيء بيانه

مدير مديرية خط الاستواء

عندما خاف غردون باشا منصبه الأول سنة ١٨٧٦ استخلفه خط الاستواء وكيله الكولونيل « بروت » Prout ، وهو ضابط أمريكي التحق بخدمة الجيش المصري وخدم تحت لواء غردون ، وفي عهد حاكمية غردون باشا للسودان جعل إبراهيم بك قورى مديراً لخط الاستواء ، ثم فصله وعين مكانه الدكتور إدوار شنتزر Eduard Schtutzer وهو طبيب ألماني صاحب غردون في السودان واعتنق الإسلام ، وعرف بأمين بك ، وأخلص لمصر ، فبقى بقوى الحكم في خط الاستواء إلى شوب الثورة المهدية ، ولم تستطع قوات المهدي أن تستول على هذه المديرية وظل أمين بك يحكمها باسم الحكومة الخديوية ، وسجل عاصمتها من الملاذو إلى ودلاي جوباً ليكون بعيداً عن غزوات المهديين ، وبقى في مركزه حتى اضطرت الحكومة المصرية بضغط الإنجليز إلى إخلاء السودان ، وأنهم عليه الخديو تومين برتبة الباشوية جراء إخلاء مصر ، فصار يعرف بأمين باشا ، وأرسل إليه حيار باشا رئيس مجلس الوزراء وقتئذ يعلمه قرار الإخلاء عن السودان وتركه وشأنه ، فأثر لبقائه في منصبه ، فخلصاً لمصر وحكومتها ، مستنداً على ولاء الصايط والجنود المصريين والسودانيين الذين تحت إمرته ، ولكن الإنجليز أبوا عليهم البقاء ، فأرسلوا الرحالة استانلي بحمة « إنقاذ أمين باشا » . والواقع لإجلائه عن مديرية

خط الاستواء وانقصاء على سلطة مصر فيها . فاصبره استانلي سنة ١٨٨٩ إلى إخلاءها . وبانسحاب أمر . من مديرية خط الاستواء تقلص ظل السلطة المصرية عن هذا الإقليم . وشهرتها إنجلترا فرصة « حشلت أوعدة وجعلتها تحت حاجتها » سنة ١٨٩٣) وأخضعت لها الجزء الجنوبي من مديرية خط الاستواء .

ولما تم استرجاع السودان ١٨٩٨ أكرمت مصر على توقيع اتفاقية سنة ١٨٩٩ الملاحظة التي جعلت إدارة السودان مشتركة بين مصر وإنجلترا ، وعدلت حدوده طبقاً لأهواء الإنجليز . فبعد أن كانت حدود السودان المصرية تنهى عند بحيرة نيكوتريا صارت بعد اتفاقية سنة ١٨٩٩ تنهى عند (ميجلا) شمال خندكرو ، والآل تنهى عند (نيمول) - الإبراهيمية - وبذلك اختصت إنجلترا معظم مديرية خط الاستواء القديم ، وغسرت مصر تلك المديرية الشاسعة بعد أن بذلت في سبيل فتحها وتعميرها ما بذلت من الجهود والأموال ، والصحاب والرجال

منع الاتجار بالرقائق

كان الاتجار بالرقائق مباحاً من عهد محمد علي ، ولكن هذا المنع لم يكن إلا اسمياً ، وبقيت تجارة الرقيق في السودان قائمة إلى عهد سعيد باشا ، يعني الحكومة وبصرها ، وبنايد موظفيها ، وكان يتولاهما تجار أترياه لهم بيوت تجارية كبيرة تنجر في حاصلات السودان وفي الرقيق ، وتربح من كل ذلك الأرباح الطائلة ، وكان تجار الرقيق لما هم من التمرد والسطوة والمال يقيمون في مختلف الجهات معانق حصنة اتخذوها مراكز للتجارة واصطياد الرقيق . فلما نبأ إسماعيل عرش مصر اعتزم أن ينضم إلى حركة العاملين على تحرير الأرقاء في أنحاء العالم ، وأن يكسب ثناء الإنسابة في مقاومة تجارة الرقيق ، وبذل جهوداً كبيرة في هذا السيل

في سنة ١٨٦٣ أرسل إلى موسى باشا حمدي حاكم السودان وقتئذ يأمره بتعقب تجار الرقيق وحربهم . فصدع الحاكم بالأمر وصبط سبعين سفينة مشحونة بالأرقاء بين « كاكاه » و « فاشوده » وأطلق سراحهم . وأعادهم إلى بلادهم ، واعتقل لشجار الذين حاربهم . ولم يرجع عنهم إلا بعد أن أعطوه اليهود ولوائقي ألا يعودوا إلى النحاسية وكان لاحتلال فاشوده سنة ١٨٦٥ أثر كبير في سد طريق البيل في وجه تجار الرقيق الذين

٤٠٠٠ بتصور الأرقاء في جهات بحر مرق وخط الاستواء ويشحنهم في السفن وأصدر
إسماعيل أمره بتحرير كل عبيد أو جارية يثبت على سيدهما أنه أمه معاملتها
وفي عهد حاكمية جعفر مظهر باشا وإسماعيل أيوب باشا بذلت الحكومة جهوداً موفقة
في بحاره حارة ربيع ، وقد عهد الخديوي أيضاً إلى السير سمبول يكرّم إلى غردون باشا من
بعض العمل على تحقيق هذه النعمة كما تقدم بان ذلك تفصيلاً

في الحق أن الخديوي إسماعيل قام بعمل عظيم ، وأسدى إلى الإنسانية خدمة جليلة في منع
مدح البحارة المسقوتة
لكن من الحق أن نقول أيضاً أن عمله كان في حاجة إلى شيء من الحكمة والبرية فإن
تجارة الرقيق كان يقوم بها أناس أقوياء في السودان ، لهم من أعيان البلاد أنصار وتآلف معهم
طبقة كبيرة من الأهالي .

كانت هذه التجارة مصدر ثروتهم ، فضلاً عن أن الأيدي العاملة في الزراعة ورعي الماشية
وغير ذلك كان معظمها من الرقيق ، وقد ألفت أعيان السودان والطبقة المتوسطة من أهله
استخدام الأرقاء كأتباع لهم وموالي ، وظلموا حياتهم على هذا الأساس ، فعلاجة السودان
بتحرير الأرقاء دقة واحدة كانت مجازلة لا تحسد حوائها ، هذا إلى أن الخديوي قد جعل على
رئاسة مقاومة الاتجار بالرقيق جماعة من الأجانب ، فاستثار وجودهم عواطف الأهالي الدينية .
وكرهتهم للحكومة ، فاجتمعت هذه العوامل وكانت من أسباب قيام الثورة المهدية .
فالأمر إذاً كان في حاجة إلى التأمل والحكمة ، اعتبر ذلك في أن الحكومة الإنجليزية حينها
قررت إبطال الرقيق في أملاكها خصصت عدة ملايين من الجنيئات لتعويض موالى الأرقاء
المهردين

فكان من الواجب على إسماعيل باشا أن يأخذ في مشروعه بالمروءة وبعد النظر ، وحسن
السياسة ، لكنه لم يفعل ، واعتزم مقاومة تجارة الرقيق ومنع الاسترقاق فحسب فاستهافت
الحكومة لعداء طبقة كبيرة من أعيان السودان وتجارها ، مما ظهر أثره في نجاح دعوة المهدي
وأائل عهد نوري باشا إذ انضم إلى الثورة تجار الرقيق في السودان

وفي هذا الصدد يقول المسيو « داريل » Daryl في مقدمة « رسائل غردون إلى أمته »
ما يأتي : « عهد الخديوي إسماعيل إلى الكونت غردون مطاردة تجار الرقيق في السودان ، ولكن
المجهودات السنية التي بذلها ذلك الصابط الإنجليزي لم يكن لها من نتيجة عملية سوى إثارة

الطبقة التي كانت مصر تعتمد عليها في السود .
وقد أبرم إسماعيل في ٤ أغسطس سنة ١٨٧٧ معاهدة مع الحكومة الإنجليزية^(٣٧) للتعاون
على منع الاتجار برقيق . حوت نصها على تمكين الإنجليز من الاتييت على سيادة مصر
ومصالحها . إذ أباح لهم الرقابة على السفن الحاملة لراية المصرية وتفتيشها وبسطها بمحطة
بساطها بخارج رقيق فكانت معاهدة لا خير فيها . ولا ظننه منها خير

ظهور الزبير باشا رحمت^(٣٨)

كان الزبير أكبر تجار السودان ، وخاصة في تجارة الرقيق ، وله نفوذ واسع وسلطان كبير في
إقليم بحر المرق .

وقد ثبت حرب بينه وبين أحد ملوك بحر القزالي انتهت بيزيعة هذا الملك . فامتلك الزبير
بلاده ، واتخذ عاصته مقراً له ، وسماها (ديم الزبير) ، فصار فيها ملكاً ، ودانت له جهات
بحر القزالي ، وتقارن الناس إليه للانتظام في خدمته ، فجمع لنفسه جيشاً قوياً لتأييد سلطته ،
واقترن الرقيق ، وفتح طريق التجارة من بحر القزالي إلى كردفان

وفي سنة ١٨٩٩ جاء بحر القزالي رجل يدعى (البلال) قادماً من الخرطوم ومعه نفر من
الحد لاحتلال هذا الإقليم باسم الحكومة الحديوية ، ومعه فرسان بتسميته مديراً لبحر القزالي ،
ولكن الزبير جمع جيشه ، وكس أتباعه للبلال فقتلوا ، ثم غشى الزبير عاقبة عدائه الحكومة
المصرية ، ففتح إلى مسلحتها ، وأظهر ولائه لها وعترف بسلطة الحديوي

واتسع سلطانه ، ففتح بلاد (شكا) الواقعة بين بحر القزالي وقادوقيو . ووضع بين يدي
الحكومة الحديوية الأقاليم التي دانت له لتنصب لها الحكام . وجعل تقدمته لها دليلاً على
ولائه . وقد أخلص عملاً مصر وبقي على ولائه طول حياته

(٣٧) مجموعة لمعاملات دي ماريوس سلسلة جديدة ج ١ ص ١٥٩
De Mariens Noux Recueil gen des Traites 1 p. 493

ولمجد نصها الرقي في قانس جلد ٢ ص ٢٢٨ طبع سنة ١٩٠١

(٣٨) اصطفاها ما ذكرناه من الزبير من رغبة حياته بقلعه المنير في كلاب السودان لنحوه بعد شطرح ج ١ ص ١٧

وما ذكره يراحم باشا في كتابه ج ١ ص ١٣٦

وأرسل الحكمدار بشر الخديو بأخبار الفتح . فأصبح هذا النصر المبين ، وأنتم على إسماعيل باشا أيوب حاكم السودان برتبة الفريق ، وعلى الزبير برتبة اللواء . فصار يعرف بالرب . ثم رجع إلى الحكمدار فبلغ أفراد الجيش الذي تولى هذا الفتح ثناءً ولحماته ، لما أبوه في فتح دورهم . فطلب إلى الحكمدار هذه الرسالة جمع الجيش في العاشر ، وتلا عليهم تبليغ الخديو في شمال حشركى مهيب ، وأطلقت المنافع ابتهاجاً وإجلالاً^{٥٩} .

وبفتح دارفور زاد عدد سكان الدولة المصرية نحو ثلاثة ملايين نسمة .

وأقام إسماعيل باشا أيوب حصناً مهيماً في القاهرة ، وبني داراً للحكومة ، ومثلاً للحاكم . وثكنة للجند ، ووطد دعائم الأمن والطمأنينة ، وأقام في المدينة سوقاً حاضرة للتجارة على أن الزبير باشا شكاً من قذاحة الضرائب التي فرضها إسماعيل باشا أيوب على الأهالي ، فاستاء الحكمدار من هذه الشكوى ، ورفح الأمر إلى الخديو ، فوكل بأمر الزبير باشا بعدم التعرض للحكمدار في إدارة البلاد ، فطلب الزبير من الخديو أن يجيء إلى مصر ليعرض عليه حقيقة الحال ، ويغضى إليه بأمره في تنظيم الإقليم ، فأجاب الخديو إلى طلبه وأذن له بالحضور ، فسار إلى مصر ، واستقبل ابنه سليمان في قيادة جنده .

ولما جاء مصر أكرم الخديو ولادته ، ولكنه لم يأذن له بالعودة إلى السودان ، فأدرك أن المواد من إيقاله أن يكون رجلاً لولاه للحكومة ، فأذن ببقاء الإقامة في مصر مشمولاً بمطاف الحكومة وإكرامها .

هم زيلع وبريرة

(سنة ١٨٧٥)

١ ربيع ١ و ٢ بريرة : من بلاد الصومال الشمالية الواقعة على خليج عدن ، ذكرهما نابير في معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٦ وج ٤ ص ٤٢٥ .
وهم منسبوا لثور ١ ربيع ١ و ٢ بريرة ١ و ٢ يوحنا . . . وتعد الأولى ميناء سلطنة حرر عن خليج عدن ، وملحق بتاجر هذه البلاد من . وسى القيل والجريد ورش النعام والصبغ العربي والمرو وغير ذلك . وهذه الثمر عامة أمة بحرية ، لأن من يملكها يسلط على ملاحه في

^{٥٩} من ربيع مصر - العدد ٥٨٥ الصادر في ٣ ديسمبر سنة ١٨٧٥

خليج عدن في ساحل البحر الأحمر

ومن بلاد ربيع بلدة (جريت) التي بناها أجداد (الجريت) مؤرخ المصري المشهور . بعد رحل جده السابع (الشيخ عبد الرحمن) إلى مصر في أوائل القرن العاشر للهجرة . واستحدثت أسرة اجبري مصريين ذلك العهد .

كانت ربيع وبريرة من أملاك تركيا ، فاجتمع للواء (الحفيدة) باليمن ، لفكر حديو إسماعيل في ضمها إلى أملاك مصر حينما اعترفت سلطنة (حرر) لأن زيلع هي ميناء حرر كما قلنا . فمضى إلى ذلك لدى الحكومة النمساوية ، وجمع في مسعاه ، إذ صدر له فرمان من السلطان في أول يولييه سنة ١٨٧٥ (٢٧ محادي الأولى سنة ١٢٩٢) بالتنازل له عن (ربيع) وملحقاتها ، وذلك مقابل زيادة في الجنية السوية قدرها ١٥٠٠٠ جنة عثمان^{٦٠} (١٣٣٦٥ جنة مصري) ، ويدخل في منصفات ربيع ثغور « بريرة » و « بريرة » و « تاجورة » .

وقد جعل الخديو من هذه البلاد محافظتين عرفتا بمحافظة « ربيع » ، ومحافظة « بريرة » . وأرسل الخانيات المصرية إلى الثغرين المذكورين ، فباتت زيلع كتيبة من حيد بقيادة محمد رموف باشا الذي مر ذكره في الكلام عن مديرية غط الاستواء ، وجعل رموف باشا محافظاً لزيلع . والأميرال وضوان باشا محافظاً لبريرة ، وكان هذا الأميرال يقوم السبئية الحربية المصرية التي أقلت الخانية إلى ليبيا المذكور .

وحمل الأمير أبو بكر إبراهيم أمير ربيع السابق وكيلها لمحافظة وملحقاتها ، وأنتم عليه بالرتبة الثانية^{٦١} ثم رقى إلى منصب المحافظ^{٦٢} .

وعين الحكام العسكريين والملكويين في المحافظتين ، وعنوانهم راسماً . فأقاموا بها عدة مبان للحكومة وللجوارك والكتبات العسكرية ، وأنشأوا مسجداً في « بريرة » وصهرجا حراً لبناء العدة بها . ومدوا أنابيب الماء فيها ، وأنشئت مكاتب للبريد في كلا الثغرين ، قال غردون يث في رسالته ص ٢٧ ، إن سأت التي كُتبت في بريرة كلفت مصر مئتي ألف جنيه .
وبصر ربيع وبريرة امتدت سلطة مصر من سواحل البحر الأحمر إلى سواحل خليج عدن .
١ ربيع ١ و ٢ بريرة : من بلاد الصومال الشمالية الواقعة على خليج عدن ، ذكرهما نابير في معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٦ وج ٤ ص ٤٢٥ .

(٤٠) الوقائع المصرية العدد ٩١٥ (١٥ يولييه سنة ١٨٧٥)

(٤١) و (٤٢) الوقائع المصرية العدد ٦٦٨ - ١٧ أكتوبر سنة ١٨٧٥ . والعدد ٦٦١ - ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥

مصر. فبره، ثم وصلت إلى رأس جردفون (جردفوى) على المحيط الهندي وقد ثبتت محظوظاً زيلع وبره ملكاً لمصر. إلى أن اغتصبها الإنجليز بعد شوب الثورة المصرية. فاحتلها الحكومة المصرية على الخلاه عن السودان، وسجل القرار هانس هانسن. فاحتلها الحكومة المصرية في مايو سنة ١٨٨٥، واحتلها الإنجليز من ذلك الحين. وما زال يحتلها إلى اليوم (١٩٣٢)، ولكنه احتلال غير شرعى. لأن مصر لم تتدخل عن حقونها في تلك البلاد، ولم تهر الاحتلال الإنجليزي بها

فتح هرد

(سنة ١٨٧٥)

تقع سلطنة (هرد) شرق الحبشة وهرى زيلع، وهي إمارة إسلامية مستقلة، يبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة، وأرضها زراعية، تجود فيها زراعة البن والقصب والدره والفول والعدس والموز والفاكهة والقصب، وتزرع فيها أيضاً القطن وهو أقل مرتبة من القطن المصري، وتنتج منه أقمشة متينة، وأهم حاصلاتها اللبن الذي لا يقل جودة عن اللبن البنى وتبادل هرد الشاي مع الخارج، تصدر اللبن والصنع وورش النديم والزعفران والمر والزبد والجلود على اختلاف أنواعها، وتنتج الأقمشة والفسرجات والنحاس والزجاج وما إلى ذلك

وعاصمتها مدينة هرد الواقعة على بعد ٢٣٢ ميلاً من زيلع وهي من المدن الباهرة، يسكنها ٣٥ ألف نسمة، وهم على جانب من الحضارة، ذكر عنهم اللواء محمد مختار باشا أن لتعليم منتشر بينهم، وفيهم المشراء والأدباء، وأن جميع الصغار فيهم يتعلمون القراءة والكتابة والرياضيات والفقه على مذهب الإمام الشافعى، وأن عادة تعدد الزوجات معدومة بين أهلها. والطلاق سدر بينهم، قال: إنه قضى في المدينة ستة كاملة (من أواخر سنة ١٨٧٥ إلى ١٨٧٦) لم يشهد فيها حادثة خلأى واحدة^(١)، وكان على هرد قبل لفتح المصري أمير يدعى محمد عبد الشكور، سار في حكمه سيرة ظلم، وإرهاب، فقام منه الأهليون اغتصابه ومروا أن يُدال منه

١٣ ظهر حيث اللواء محمد مختار باشا من هرد. تلاء اللجنة الجغرافية بمصر ٢ فبراير سنة ١٨٧٧ وبشر مجلة جمعية جغرافية ١ عدد ٣ من ٣٥١ و ٣٦٦



خريطة مدينة هرد سنة ١٨٧٦

مصر من خريطة العالم ومبناها محمد مختار باشا وأحمد باشا فريديريك من صياحه كان حرب عيسى نصري ل حبه هر. واحد باخرطة تعداد ١٨٠٠
١- بون المدينة ٢- ميد ٣- واور ٤- و٦- و٧- مساحة ٨- و٩- من المدينة ١٠- باب البلاد ١١- باب المدينة ١٢- باب النهر ١٣- باب الفرج ١٤- باب راحة ١٥- و١٦- و١٧- و١٨- و١٩- ٢- حدائق ٢١- مدعى ٢٢- من هر.

وعزم إسماعيل فتح هذه السلطنة لما غرقها من الأهمية . ولأنها تعد من البلاد المكنة
سودان . فأحدث الجنود المصرية للرابطة في زيلج تستغل أحوالها وتعرف طرق الوصول
١٠ وبعد أن فرما ذلك وحشد فرقة من الجيش المصري بقيادة محمد رموف باشا في سبتمبر
سنة ١٨٧٥ قاصده حرر ، عاصمه الامارة . ورافق الحملة بعض صباط أركان الحرب
بقيادة سكبشي محمد مختار بك ، وهو الذي صار فيما بعد اللواء محمد مختار باشا صاحب
الكتاب القيم « التوقيعات الإلهامية في مقارنة التواريخ المصرية بالنسب (الاربعه) ولفظية » .
وله المحاضرات القيمة في الجمعية الجغرافية

لم تلق الفرقة في رحبها مقاومة تذكر ، اللهم إلا ما كان من بعض قبائل الحلا إدا حصرها
رحبها ، واصطدموا بالحملة في معركة ، دامت إحداهما سبع ساعات وانتهت بتسلم
القبائل^(١١) ، واستأذنت الحملة سيرها إلى أن وصلت إلى مدينة حرر . وبتحتها في ١١ أكتوبر
سنة ١٨٧٥ ووجعت العلم المصري على أيرانيا وفوق قصر أميرها ، وبذلك خضعت تلك السلطنة
إلى أملاك مصر^(١٢) .

ثم ظهرت بوادر الانقراض بين بعض قبائل الحلا التي كانت لها الصلوة والسطوة في عهد
الأمير محمد عبد الشكور ، فطلب رموف باشا مدداً من الجند على سبيل الاحتياط ، فجهده
الممد من السويس إلى زيلج على ظهر الباخرة (المروسة) ، ووصل الجند إلى حرر فأدعت
القبائل ، واستتب الأمن في أنحاء البلاد ، وانتظمت الإدارة فيها
وجلس رموف باشا حاكماً (حاكماً عاماً) لحرر ، وعين أميرها السابق محمد عبد الشكور
محافظاً لمدينتها^(١٣) وأمسأ الأتوني إلى الحكم المصري

لكن رموف باشا لم يلبث أن تنكر لأمير حرر وقطعه ، بعد أن كان ينو عليه في تقاريره إلى
الحكومة ويمتدح ولاءه ، ولم يعرف السبب الذي دعاه إلى قطعه . ولكن الآراء متضقة على أن
لعله كان حليلاً لا مبر له ، ويقول غردون باشا في رسالته^(١٤) إن حد العمل لم يكن له

(١١) حرر في ظل حكم المصري للاستاد بوليتشكي Panditschke حبة خضبة الحفر ب عمومه مرة ٢ عدد ١٠
(١٢) مارس سنة ١٨٨٧ حر ٥٧٥ وفسير بوليتشكي هذا هو عاد يسمى جاد هذه البلاد في بطة عمية وشهد الحكم المصري

(١٣) الزائع المصرية العدد ٦٤١ ، ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥

(١٤) الزائع عد . العدد ٦٤١ ، ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥

(١٥) رسائل غردون إلى أمته ص ٢٧٤

مصر ، وأن ابن الأمير ذهب إلى مصر لشكر الحكمدار إلى الخديو فمصعب إسماعيل علما
العمل ، لكنه لم يفعل شيئاً

وقد رسم اصباط المصريون الذين شهدوا فتح حرر خريطة تلك البلاد . ومن هؤلاء
صباط محمد مختار بك (باشا) وعبد الله حوري بك (باشا) ، وحفظوا المام والمواقع بين
زيلج وحرر واجهات الحدود

وفي عهد الحكم المصري بنيت دار للحكومة ، وأقيم مسجد جديد ، وشيدت أربع
ثكنات لإقامة الجند ، وعدة منازل للموظفين ، ولم يسفر أحد من الأهلى إلى إقامة هذه
مبنى ، بل توف الحدود لمصريون إقامتها

وبقي رموف باشا يتولى الحكم إلى أن أقبله غردون باشا حين عين حاكماً عاماً للسودان
وأعادته إلى مصر ، وعهد بالحكم إلى رضوان باشا محافظ بربره ، ثم خلفه سنة ١٨٨٠ محمد
نادي باشا ، فعنى بضبط الأمن وتحصين المدينة . وبقي يتولى الحكم إلى أن شبت الثورة المراتية
في مصر ، ثم الثورة المهدية في السودان ، فلم يصطرب حيل النظام بين الجند في حرر ، وفي
سنة ١٨٨٢ حين حل رضا باشا - خلفاً لنادي باشا ، وظل الحكم المصري مستقراً في تلك
البلاد ، إلى أن أنكرت إنجلترا حكومة مصر على إخلاء السودان وملحقاته ، فأرسلت تنحرو
القوات المصرية إلى إخلاء حرر ، فصعدت بالأمر واستجبت منها سنة ١٨٨٥ ، وكان
حدها حين إخلاء ٣٤١١ جندي ، يصحبهم ١٦٠ من الموظفين ورجال البوليس والعمال
و ٥٠٠ من النساء والأطفال من عائلات الجند والموظفين ، فكان مصير المصريين الذين
انسحبوا من حرر ٨٥٧١ قصبوا إلى زيلج ، وأقلعت بهم البواخر إلى مصر .

طوى العلم المصري من تلك البلاد ، بعد أن ظل يحق على ربوعها عشر سنوات مرمية ،
كان في خلالها رمزاً للنظام والحصارة ، فقد استتب بها الأمن ، وانتظمت الإدارة وشطت
الزراعة والتجارة ، وعود المصريون الأهالي بعض الزراعات والنفواكه المصرية كالعنب
والخوخ والفلور والنبسود . وقصب السكر والبطاطس والخضر وما إلى ذلك . وازدادت عدد
متر على التي تفسل المتاجر من داخل البلاد إلى السواحل . فبما كان عددها سبعين قاطعة على
عهد الأتراء السابق . بنفت اربعمائة قاطعة كل سنة في عهد الحكم المصري^(١٥)

ولما جلا المصريون عن حرر تسلط سلطنة الحكم فيها أمير عن سلالة الأتراء الذين كانوا

بحكمها قبل فتح مصرى . ثم أغار عليها ملك الحبشة وأخذها حوة وصحبها إلى أنفلاكه ،
و - تابعة لها إلى اليوم (١٩٣٧)

حملة الصومال

(سنة ١٨٧٥)

اعتزم الخديو إسماعيل فتح بقية بلاد الصومال^(٥٩) ، فبعد هذا الهوى سنة ١٨٧٥
حملة ، مقصدها فتح بقية شواطئ الصومال . والوصول إلى مصب نهر جوبا
(الحب)^(٥٠) .

ثم فتح الطريق من هناك إلى منطقة البحيرات ، لكي تصل مصر أملاكها في هذه
المنطقة ، من طريق البحر الأحمر والمحيط الهندي ، فضلاً عن الطريق الذي يتبع جمرى النيل .
في الوقت الذي أخذ فيه حملة حرر ، جهر حملة الصومال بقيادة الأميرال ماكيلوب باشا
مدير الموانئ والمنازل المصرية ، وتولى قيادة جود البر في هذه الحملة الأميرالاي شامى لويج
بك ، ذلك الضابط الشهيم الذي تكلما عنه آنفاً ، وكان غردون باشا إذذاك حاكماً لخط
الاستواء ، فعهد إليه إسماعيل الاتصال بالحملة .

أقلمت القاهرة المصرية من السويس ، نقل الخيول المصريين ، في فبراير سنة ١٨٧٥ ،
واجتازت البحر الأحمر ، ثم بوغاز باب المندب ، فخليج عدن ، ورسمت في ميناء بربره ،
ربما تسريح وتلحيد أهليها ، وتشكيل معادنها ، ثم أقلمت ثانية ، واجهت إلى المحيط
الهندي ، فوصلت إلى رأس (حافون) جوبى رأس جردفون (جردفوى) ، وركز قائد الحملة
العلم المصري هناك ، ودعا رؤساء القبائل إلى الدخول في طاعة الحكومة المصرية ، فلبوا
الطلب طامعين ، ثم أقلمت القاهرة تحوصر حباب المحيط الهندي ، حتى وصلت إلى بلدة
(براوه) الواقعة شرق نهر الجوبا (الحب) ، فأذعنت القبائل هناك للحكم المصري ، وترك
بها ماكيلوب باشا حامية من الخلد . وعين عليها محافظاً ، ثم اتجه إلى بلدة قشايو^(٥١) ،

(٥٩) تطلق بلاد الصومال على الجهاد الواقعة في الثلث الذي تنسب إليه إفريقيا بين خليج عدن والمحيط الهندي

(٥٠) نهر يبع جنوب الحبشة ويصب في الأندلس الهندي شمال إنجلترا .

(٥١) جنوب خط الاستواء . وقد سميت في الخريطة التي وضعها غباط أنكان حرب الجيش للمصري ، بور إسماعيل .

الواقعة على مصب الحبش فتحته ، وسارت القوارب تحمل الجنود في نهر الجوبا نحو ١٥٠
ميلاً ، ولكن الملاحاة تعددت فيه ، فرحسوا إلى بلدة قشايو بور إسماعيل ، وتأنيت الحملة
حريه للسير غرباً ، فاصده بحيرة بيكتوبيا . وفقاً للخطة المرسومة لمام من قبل ، ولكنها أبطلت
في الزحف من قشايو ، ويقول شامى لويج بك إن من أسباب إخفاقها إغصاء غردون من
الاتصال بها رغم الأمر الصادر له من الخديو إسماعيل

وينسب لويج بك هذا الإغصاء إلى احتياج وصول تعليمات من الحكومة الإنجليزية إلى
غردون فوجب عليه عدم التعاون مع هذه الحملة^(٥٢) ، وهذا يدنس على خدم إخلاص
غردون لمصر ، وعدم ولائه للحكومة المصرية ، وقد اعترف غردون في رسالته أنه بالرغم من
تكليف الخديو ماكيلوب باشا وشامى لويج بك انتظاره عن نهر الجوبا ، فإن انتظاره سيكون
على غير جنوى^(٥٣) ، فكانه كان معزراً على إهمال العمل بأوامر الخديو

وكانت هذه الحملة قد أزعجت الإنجليز ، فعابرت إسماعيل في الكف عنها ، ورسل وزير
خارجية إنجلترا إلى الخديو مذكرة بهذا المعنى ، فخشى عواقب للمشاكل بينه وبين الحكومة
الإنجليزية ، وكان في الوقت نفسه يجهز الحملة على الحبشة ، فاستدعى ماكيلوب باشا ،
وانسحبت الحملة من الجوبا في يناير سنة ١٨٧٦ ، وعادت إلى مصر^(٥٤)

وهكذا أخفقت تلك الحملة ، ولم تصل إلى تحقيق غايتها ، وهي بسط نفوذ مصر على
شواطئ المحيط الهندي ، ومنها إلى منابع النيل ، وذهب الجهود التي بذلت فيها سدى ،
ويرجع إحقاقها كما ترى إلى تدخل السياسة الإنجليزية ، ومعارضتها الخديو في الاستمرار فيها ،
وكان إسماعيل قد استغرق في التدبير ، وشمر حاجته إلى إرضاء الإنجليز ومصلحتهم فاضطر تحت
تأثير هذه الحاجة إلى الإذعان للتدخل الإنجليزي ، وانسلخ عن الحملة .

اعتراف إنجلترا بسلطة مصر في الصومال

على أن الحكومة الإنجليزية اعترفت بامتلاك مصر بلاد الصومال الشمالية الواقعة على خليج
عدن . ذلك أنها عقلت وإياد معاهدة في ٧ سبتمبر سنة ١٨٧٧^(٥٥) ، اعترفت فيها لمصر

(٥٢) كتاب مصر ومديريها للنفوس (الدكتوريل شامى لويج بك من ١٦٤

(٥٣) شامى لويج بك من ١٦٤

(٥٤) مصر ومديريها للنفوس (الدكتوريل لويج بك من ١٥٤

(٥٥) مطبوعة في النفوس الإدارية والنفوس (الطبعة الفرنسية) ج ٢ من ٤٩٠

بامتلاكها سواحل بلاد الصوم - لغاية رأس جردفون - جردفون - ثم رأس - سقون - الواقع جنوبه على المحيط الهندي

وقد وقع على المعاهدة كل من شريف بانبا وزير خارجية مصر بالنيابة عن الحكومة المصرية ، والسفير « فين » قنصل إنجلترا العام بالنيابة عن الحكومة الإنجليزية .
أقرت الحكومة الإنجليزية في هذه المعاهدة سلطة الحكومة المصرية في سواحل الصومال وقيلت مصر أن تبقى « بريرة » و « يوطار » تفرغ حرين ، وألا تعطى فيها أى امتياز أو احتكار لأحد ما ، ولا تأذن بإجراء أى عمل يعطل حركة التجارة فيها ، وألا تأخذ رسوماً عن الواردات أكثر من خمسة في المائة ، ولا تزيد الرسوم الجمركية عن واحد في المائة في موانئ « تاجورة » و « زيلع » وسائر سواحل بلاد الصومال التابعة لها ، وأن تعامل مصر رعايا إنجلترا وسهبا في تلك الجهات معاملة دولة متحيزة ، وتعهد الخديوي ألا يعطى أى قطعة من هذه البلاد إلى أية دولة أخرى « د ٢ »

ودعشت مصر للحكومة الإنجليزية تعيين مأمورى قنصليات في جميع الثغور والبلاد الكائنة على سواحل البلاد المذكورة ، على أنه لا يجوز لها تعيين مأمورى قنصليات من أهل البلاد أو من أهل البلاد المجاورة لها

في هذه المعاهدة إقرار من إنجلترا بسلطة مصر في بلاد الصومال الشمالية ، ومن نهكم القدر أن القوة التي أقرت بذلك سنة ١٨٧٧ وأخذت على مصر عهداً ألا تتناول لدولة أخرى من جزء من تلك البلاد ، هي ذاتها التي اختصتها بعد أن أكرمت مصر على إغلاء السودان ، فوضعت بعدها على زيلع وريره ملحقاتها وأخذتها من أسلاب مصر ، كما أخذت فرنسا تاجورة وملحقاتها ، وإيطاليا رأس جردفون - جردفون -

التراع بين مصر والحشة

للتراع بين مصر والحشة في عهد إسماعيل صفقة طويلة ، خلاصتها أن الملاق بين ابلدين لم تكن ودية طيبة مدة حكمه . بل كان يشوبها الجفاء والحقد ، ثم الحرب والصدام .

ويرجع الخلاف إلى أن إسماعيل بعد أن ظهر بهم محافظون سواكن ومصرح سالياً إلى

مصر ، اعزم أن يصل بين مصوع وكسله خط حديدي ، يمر بسبيت^(١) . ويسهل سبل المواصلات بين السودان والبحر الأحمر . ويوسط رواق العراق في شرق السودان . وكان بعد بلاد الرقعة بين البلدين وخاصة مدينة « سبيت » أرضاً مصرية عند الفتح الأول . في عهد محمد علي .

ولكن النجاشي « تيودورس » ملك الحشة عارض الخديوي ذلك ، وادعى أن سبيت أرض حشية ، فوقع الخلاف بينهما

الحرب بين الإنجليز والحشة

(سنة ١٨٩٧ - ١٨٩٨)

وظهر أثر هذا الجفاء في موقف الخديوي تجاه الحشة حين قام الخلاف بينها وبين الإنجليز سنة ١٨٩٧ . فقد اعتقل الملك « تيودورس » بعض التجار الإنجليز ومنهم المستر كامرون قنصل إنجلترا ، فنصبت الحكومة الإنجليزية من هذا العمل لعداى ، وطالبت بإطلاق سراح المعتقلين . فرفض النجاشي إعطاء طلبها ، واشتد الخلاف بين الدولتين ، فانحاز الخديوي إلى جانب الإنجليز وأرسل إلى النجاشي كتاباً^(٢) ، من إنشاء عبد الله باشا فكري ، يطلب إليه فيه أن يحسم الخلاف بإطلاق سراح المعتقلين وإرسالهم إلى مصوع ، وحذره عواقب إصراره على اعتقالهم ، وتهدده بنشوب الحرب بينه وبين الإنجليز . وبأنه في هذه الحالة لا يمانع الإنجليز في اجتياز الأراضي المصرية لمهاجرتهم

فأصر النجاشي على الرضا ، فجددت إنجلترا على الحشة سنة ١٨٩٧ حملة عسكرية بقيادة اللورد نابيير Napier . وسبى الخديوي هذه الحرب فأمد الإنجليز فيها بالمعونة والتأييد . وأمر عبد القادر باشا الطوبى بمحاصنة مصوع وتشدد معاونة الجيش الإنجليزي في نزوله إلى مصوع الأسطون المصري تحت تصرف الإنجليز لينقل بهاهم ومؤنهم من السويس إلى مصوع

^(١) سبيت مصوع . وتسمى أيضاً كرك - Kerk . ووردت بهذا الاسم في نظم مصورات الجغرافية . وهي حصنة لهم . (لوموس)

^(٢) بتاريخ جهدي الآخر سنة ١٢٨٤ (سبتمبر ١٨٦٧)

و تحت هذه الحرب يعبر الإنجليز واحتلالهم مدينة همدان و شيان أدس أبابا ، وقتل
سجنى تيودورس سنة ١٨٦٨ : ثم عاد الإنجليز إلى بلادهم .
و تحت الحبيشة إلى الملك « يوحنا » الذى كان يماونه الإنجليز ضد ملك تيودورس
و الملك يوحنا هو من أعظم ملوك الحبيشة شأنا ، وأشداهم بأسا ، وكان عهده وقت الحرب بين
مصر والحبيشة كما سيجي بيانه

فما خلف يوحنا الملك تيودورس على عرش الحبيشة اختتم الحبيب فرصة انصرافه إلى محاربة
قبائل الجلال ، لتحقيق غرضه الأول وتوسيع أملاك مصر من ناحية الحبيشة .

منزنجير باشا Munzinger pasha

وقد استحدث على تحقيق هذا الغرض المسير منزنجير قنصل فرنسا في مصر
ومنزنجير هذا به شأن كبير في تاريخ العلاقات بين مصر والحبيشة في عهد إسماعيل ، وهو
رجل سويسرى الجنس ، جاء مصر ، ثم جاب أنحاء السودان والحبيشة ، وأقام في مصر منذ
سنة ١٨٦٠ ، وتزوج بعبدة حبشية من أهالى لبوغوس ، ثم شغل منصب قنصل فرنسا في
ذلك الثغر ، وعاون الإنجليز في حربه مع الحبيشة بما له من القدرة بأحوال البلاد ولعبها
ومالكيها (٥٨)

وفي سنة ١٨٧٠ عينه الخديو محافظا لمصر ، ثم أمد إليه قبا بعد منصباً أعلى ، إذ جعله
محافظاً لسواحل البحر الأحمر ومديراً لشرق السودان ، وأقيم عليه برتبة البكوية ، ثم
الباشوية ، فصار يعرف بمنزنجير باشا ، وعين أراكيل بك نوبار من أقرباء حراب باشا محافظا
لمصر تحت إمرته (وهو خير أراكيل بك الذى نكلنا عنه ص ٤٥) .

ومنزنجير باشا هو الذى زين للخديو إسماعيل فكرة فتح الحبيشة ، وألقى في روحه أنه لعل
ملكه في هذه الجهات قد سير غورها ، وعرف أسرارها ، وأقنع أن فتح الحبيشة لا يكلف مصر
عنا كبيراً لما كانت عليه من الضعف والفرس والافتقار

فأعجب إسماعيل بالفكرة ، وسرع في تحصيلها ، وعهد في سرحر دانه فتح إقليم
(لبوغوس) وعاصمته سبيت

(٥٨) من ترجمة منزنجير باشا - بقلم لسيو دورين في مجلة الجمعية الجغرافية ، العدد الأول من السنة الأولى ، نوفمبر

١٨٧٥ - فبراير سنة ١٨٧٦) ص ١٢١

فتح سبيت وهم إقليم البوغوس

منزنجير باشا من مصر في قوة من ألف وخمسمائة مقاتل ، وقصد إلى سبيت ومنها
بمصر

ووسع يده من هذه الناحية ، فتم على يده فتح بلاد البوغوس ، وعصها إلى مصر ،
وشرى مقاطعة (بيت) الواقعة بين مصر والخامسين من حاكمها الذى كان خلاب مع
النجاشي . وشملت منطقة منزنجير سواكن ومصرع وبلاد بوغوس ، والتاكا ، والقصديف ،
والقلايت . ونسب . ويركة ، أى السودان الشرق في أقصى حدوده .

وقد فقم الملك يوحنا من مصر هذا التوسع ، وازدادت العلاقات بين البلدين توتراً ،
وكادت الحرب تشتب بينها ، لولا اشتغال الخديو بفتح هرر والحملات على الصومال

حرب الحبيشة

(سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦)

في الحرب عظمى التى حاصرت مصر في عهد إسماعيل ، ولحقه الكأداء في اصطدامه ب
فتوح مصرى حرمين بيل ومدحاهنه ، ومن أى ناحية نظر إليها نجد أن مصر لم تكن في حاجة
إليها . ولا مصححة لها في حوضها ، وإنما ساق إليها التزق ، وسوء التدبير ، فأنتهت بأمرته
واحسروا

رأى ما تقدمه بيانه . أن مصر قد ضمت الجهات الواقعة بين الحبيشة والبحر الأحمر
وفتحت (سبيت) وبلاد (البوغوس) الواقعة شمالها . و (هرر) المحاذرة لها من الجنوب
شرى ، فأحاصرت من الشمال والشرق والجنوب . فضلاً عن مجاورتها لها من الغرب منذ عهد
محمد علي

لهذه الروح . يمكن مصر أن تثبت سلطانها وتدعم نفوذها فيها ، وبذلك تبقى الحبيشة
مستعدة . حيا للوصول إلى البحر الأحمر ، ولكن إسماعيل حشدته نفسه بفتح
الحبيشة . واكتسب من طريقه ، دون أن يفتقر صعوبة هذه المهمة وعواقبها الوخيمة
لاحشة كما يعرفها . بلاد حلبة لا يسهل على دولة أجسة .

حتىه. وُيحتاز جيانا الوعة ومناورها الجرداء ، فصلا على أن حربها لا تزيد مصر محال من لأحرل ، بل تخلف لها من المشاكل وتكيدتها من الحاسر والفضايا ما هي في حق عنه . يحاصر إسماعيل بيته في فتح الحشة ، ويكن سياست إزاعها كست تم عن هذه العاية . قد تحرش بها ، وعمل على إثارة الحرب معها . على غير جدوى ، ووقع القتال على غير استعداد من مصر ، فحدث الهزيمة بالجيش المصري ، وأصابته أسائر القاذحة ، وكبدت الحرب الخزانة المصرية لأموال الطائلة ، في وقت ارتبكت فيه أحوالها ، واشتد بها الضيق . فكانت حرب الحشة عقبا من كل ناحية . عزم إسماعيل تجريد حملتيه في وقت واحد على بلاد الحشة ، الأولى تهاجمها شمالا من طريق مصوع ، والأخرى جنوبا من طريق ميناء « تاجوره » الواقعة على خليج عدن ، وعهد عداة الأولى إلى الكولونل أرنديروب بك^(٩١) Accadropp . ولتاية إلى مترنجير باشا .

حملة أرنديروب بك

(سنة ١٨٧٥)

زحمت الحملة الأولى من مصوع ، وكانت مؤلفة من ٣٢٠٠ مقاتل^(٩٢) مرودين بطاريتين من المدافع ، واقتحمت حدود الحشة ، واستولت على الجاسس « الواقعة جنوبى سميت ، دون أن تلقى مقاومة تذكر ، وتقدمت قاصدة « جوندت » ولما علم الملك يوحنا برحبها حشد جموعه ، وأخذ جيشا من ثلاثين ألف مقاتل ، سار ، قاصدا مصادمة الجيش المصرى . وأرسل أرنديروب بك رسالة إلى الملك يوحنا يطلب إليه بها جعل خبر الحاش حدا فاصلا بين الحشة ومصر ، فلم يعبأ بالرسالة ، وسعى الرسولين اللذين أولفهما إليه أرنديروب بك ، فتقدم الجيش المصرى ليسيئ الأخبار إلى الجميع .

(٩١) هو من صباط أركان الحرب . أصله « تركى » ثم جاء مصر وتعرف إلى الخيال اسود باشا . وليس أركان الحرب . فذهب إليه الحملة و الجيش المصرى على أن يرون جماعة الحشة كما هو في مبادئ الكلام .
(٩٢) إحصاء الجيش سوزا : Suzouza مصر ١٨٧٥ في مصر على عهد إسماعيل في تقريره للجيش عن حرب الحشة ، ولد بشر هذا التقرير في مجلة مصر Revue d'Egypte مسمو جيلفرو على عاد مارس وأبريل ومايو سنة ١٨٩٦ من ٦٦٦ و ٦٧٣ و ٦٧٧

هزيمة جوندت

(نوفمبر ١٨٧٥)

اشتك الجيش في جوندت يوم ١١ نوفمبر سنة ١٨٧٥ . وكان حش حشته « كبر سدد » وأشد حراسة من الجيش المصرى ، فحصى وعلين القتال . وانهب معركة سرعه حش المصرى . وقتل معظم رجاله ، ولم ينج منهم إلا امر اليسر . وكان من بين القتل أرنديروب بك وإيراكيل بك نوبار محافظ مصوع . وارتدت للول الحملة مبرمة إلى مصر .

حملة مترنجير باشا

أد الحملة الأخرى فقد نولها مترنجير باشا ، فأمر من مصوع على رأس ثلاثة بلوكات من الحدود المصرية والسودانية ، ونزل في « تاجوره » بيشكل منها معدات الحملة من الإبل ، وترك معظم الجند في تاجوره حتى يتم إعداد الحملة ، وأقطع هو في قوة صغيرة من الجند بصحبة الرأس « بورو » الذى كان على خلاف مع الملك يوحنا ، ونزل في رأس « جيلاجمو » الذى يبعد عن تاجوره غربا بحسبة عشرة ميلا ، وقصد إلى بحيرة « أوسا » Aoussa الواقعة في الجنوب الشرقى من الحشة ، ووصل إليها يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٨٧٥ ، بعد مسيرة مبرمة أيام .

مقتل مترنجير باشا

(نوفمبر سنة ١٨٧٥)

قابل مترنجير باشا في طريقه إلى بحيرة « أوسا » ابن لشيخ محمد الحدة أمير ذلك الإقليم ، فتظاهر له بالولاء للحكومة المصرية . ولكنه كان يصر له السوء . فاطمأن إليه مترنجير . واتحده مرشدا وصيرا . وسارت الحملة إلى أب عسكرت بالقرب من شاطئ البحيرة ، فنها كان اجود باشا (ليلة ١٥ نوفمبر سنة ١٨٧٥) هجم عبيم رجال القبائل غيلة بقيادة الشيخ محمد الحدة . وأعملوا فيهم السيف ، وقتلواهم تكا دريما ، وشنت الواقعة في جميع الظلام

أخبرت حملة من سوس تقنيا بوجر الشركة الحديدية والسفن الحربية المصرية ، وبرت في ميناء (مصنوع) وأبعد جيش برحمت على حدة

هزيمة لا قورخ

(٧ مارس سنة ١٨٧٦)

زعم المصريون في عدد من المدن المصرية أن قواتهم قد انتصرت في معركة لا قورخ ، وقد أعد المذنب يوحنا كبراً بلغ نحو أربعين ألف مقاتل ، وسار لمهاجمة المصريين في دفا حرة ، وكانت تحتها قوة من الجيش المصري . ونجحوا استحكامات مبيتة لم يتكبدوا الخسائر على مهاجمتها

فقدوا مهجمة مركز طيش المصري في (قورخ) ، ونشبت بها يوم ٧ مارس سنة ١٨٧٦ معركة كبيرة ، نبتت ببركة جيش المصري ونشبت شديدة ، وحمل معظم رجاله ، ولم يتمكن القائد العام والأمير حسن باشا وأركان حربها من الهزيمة إلا بعد أن عذبوا الموت ، وكاد الأشخاص يتكبدون هدم ، ونسروا من المصريين نحو ٢٥٠ أسير

وبعد حصار لا حياش في هذه الزاوية حصار فادح لا تقبل في عددها عن خسائر المصريين ، ويكفيهم طاروا بـ حصار مصر

عقده الصلح

وكان ضمن المصري محمد رشيد ، رئيس لخم الدركي مديران المهادنة ، وقد رافق الحملة صحبة السردار ، فأخذ يسعى في عقد صلح مع الملك يوسفا ، على أن تنسحب

منه (٦٢) جاء اسمه شكك في توقيع المصرية عدد ٦٤٩ وقد كتبه مستقيم المؤلفين يكتبها كرج ، وهذا الوضع لا يخرج من الواقع
معلق الفرنسي Goura

نور . بـ أحمد المصريون صدمتهم لها ، فأرتفع سم الأحياء وقتلوا ممرح وروحه ومعظم حده ، وردت طول الحملة في أسوأ حال إلى ديليج ، بقيادة الكياشي محمد الذي عثر ، وكان عدد الباقين منهم ١٥٠ مقاتل

الحملة الكبيرة بقيادة راتب باشا

(سنة ١٨٧٦)

وصف لنا هذه الحادثة في مصر ، هورتب بالخرج ودهنه وترزأب لها هنة وحش المصري ، وعكسب استعمل هذه الحادثة . وحشي عومها دعوية وانسيابية ، فأراد أن يرزأب تأثيرها بتخريد جيش حراز عن مخبئه بصل لإفاده التي لحقت بمصر ، وفي الحين أن لورقف كان عصبياً ، لأن حربه مصر . دم الحملة تسعد حبيب في وب كانت تكسبها المتاعيم الأوروبية ، ولكن الحديوم بأحد في فوزه منه البداية بالآباء وحسن الاسعداد وتقدير لورقف من كل وجوهه ، فها حدة أخير لورقف الأولى ، معجب بأعداد حصة متسرة ، مؤلفة من نحو خمسة عشر ألف مقاتل ، وب معدمها على مها سائرة حشاً إلى الفريكة والحسرن ، وأهم عيب في رأيها انتقارها إلى كدهه الهيازة وحسن النظام

فقد عده حديوم لورقفا لمسدرو راتب ، وهو صابط حده مني الكدهه وحسن التدبير وحصل على راسة أركان حرب اخبر ل لورج باشا Loring من الفودد الأفركيين في مخبئ المصري ، ولم يكن الندهم سالد نبي القتائد الدم وحش ركان الحرب ، فقد الجيش أهم عومل النجاح . وهي وحده الهيازة وكما أنها

وصف . الحادثة الأولى حده الكدهه وكما ، قد عده مني الكدهه وحسن التدبير درس من لورقفا من النورن حربية ، ولم يكن به من كدهه وخبرة ما جعل منه فائد يعتمد عليه في نشر هذه الحرب

وقد تطرغ في القسم الملقى للحملة بعض كبار أعضاء مصر في ذلك العصر ، كالدكتور محمد علي باشا البقلي ، الذي لقي مصرعه فيها (٦١) ، والدكتور محمد بك بدر

(٦١) . جمع ترجمته في كتابا مصر محمد علي ، ص ١٢٢ (من الطبعة الأولى)

حدود انصارية من أرض الحبشة ، ويرد الملك الأسرى إلى مصر ، ويضع طريق النجاة بين
مصر وحبشة

مادت مساعى رقت بك عن عقد الصلح وبقيت سبيته فى املاك مصر^(١٦٦) ، وعاد
عزبواكى لأسرى إلى مصر ، وأخبرت قلوب الحملة إلى السويس ، وبلغت خسائر مصر من
رجال فى الحملات التى جردتها على الحملة ٨.٥٠٠ قتل

نتائج حرب الحبشة

تكدت مصروف هذه الحرب المقيم خصال قاذبة في الرجال والمال ، وتصدت هيئتها لأصحابها من الطرائف المتواليه ، وكلفت الخزانة المصرية نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات ^(٢٤) ، في وقت كانت تنوء فيه بالديون الجسيمة ، وتضاف أشد ضروب الإلتباس المالي .

وليس يخفى أن هذه الحرب وقعت في الوقت الذي تحفزت فيه الدول الاستعمارية ، وخاصة إنجلترا ، للتدخل في شئون مصر المالية والسياسية ، فإلزام الجيش المصري ، في تلك الحرب ، قد ضاعف آمال إنجلترا في التطلع إلى احتلال مصر ، ذلك أنها كانت تحسب حساباً كبيراً لقوة الجيش المصري ، منذ تبينت مكانته وسالته في المعارك التي خاض غمارها تحت لواء إبراهيم باشا ، ولكن هزيمته في الحرب الحربية كشفت عن ضعفه ، وهي القومى الضاربة أطنابها في نظامه ، ففقد المهابة التي كانت له من قبل .

ما لحرب الحبشة كانت تجربة مؤلمة ، أظهرت ضعف قوة مصر الحربية ، ولم يكن من سبيل إلى حديد هذه الدعوة في وقت أشرفت فيه حكومة علي العنبر والعصر لما ، في أواخر عهد إسماعيل . وليس ثمة شك في أن هذه النتيجة كان من شأنها أن تغري إنجلترا بحماية أمنها في مصر ، فلا جرم أن تضاعف مساعيها في وضع يدها على البلاد ، وما زالت تدأب على تلك الخطة مدى خمس سنوات حتى وقعت الحوادث المأزمية التي انتهت بالاحتلال الإنجليزي

(73) من أي وقت مضى وجد مخلصاً للبلاد في وظيفتها حتى 18 من ديسمبر؟

٦١} حرسه - سید موزر فصل انعامی حصر علی عهد اسماعیل و تقریر المصنف مور ١٠٧٧ ١٨٧٧

حکمدارو السودان فی عهد إسماعیل

انجينا من بيان المحدثات العامة في السودان على عهد الخديو إسماعيل ، والآل نذكر مدة
عامه من حاكمات السودان على البحر الذي اتبعناه في كلامنا من عهد محمد علي باشا (عصر
محمد علي من ١٧٧ من الطبعة الأولى)

میرسی باشا حمدی

كان على السودان حين تولى إسماعيل الحكم (موسى باشا حمدي) ذو الأحوال الجيدة والمآثر الحسنة ، وقد سر الخديو من أمهاته ، وأنتم عليه برتبة العريق ، فذهب إلى مصر يؤيه سنة ١٨٩٣ ليؤدى واجب الشكر ، وأطلع الخديو على نسوان البلاد التي يحكمها ، ظف من إسماعيل باشا عطفاً كبيراً ، ثم عاد إلى مقر عمله بالخرطوم .

وعلى زيادة عدد الجند فوصل عددهم في عهده إلى ثلاثين ألفاً من الجنود النظاميين والباشيوزق ، وصار في حكمه خمسة ودراية ، وفي حكمه أيضاً للواءين إلى أن توفي سنة ١٨٦٥ بالمحطوم ، ودعى بها .

جعفر صادق پاشا

(1A79 - 1A70)

ثم خلفه جعفر صادق باشا . وفي عهده فتح الجنود المسلمون فاشووه سنة ١٨٦٥ كما تقدم

انحداد ثورة كسلا

وفي هذه أُنشِدت ثورة شت بين الحُرود السودانيين المُرابطين في (كسلا) وعندهم
بحر أربعة آلاف جندي

ظهرت هذه الثورة في أواخر عهد موسى باشا حمدي، وترجع أسبابها إلى سوء إ-

وسنهد . وقتو بعض الصباط ، وسبوا أموال الأعيان ، وغربوا بعض القرى ، فأخذهم الحكومة بحيلة تارة ، وبالعنف والقسوة تارة أخرى ، ولما بلغ عدوهم إسماعيل بياً هذه الثورة معه ، أمره هجوماً كبيراً ، وبعت بحمر صادق باشا حاكماً على السودان ، وأرسل أوامره إلى السلطات المحلية بإمداد قوات الحكومة في كمال الإخاء الفتن .

وقد كان الفصل في إخمادها لضابط موداني كبير يسمى (آدم بك) ، وهو من خيرة صباط جيش مصرى ، تلقى التعليم الحرفى في مصر على عهد محمد على باشا ، ورافق إبراهيم باشا في حروبه بسوريا ، واشتهر بالبسالة والإقدام ، في المهارة والكفاءة . وقد أرسل إليه الحديو خطاباً يدين على تقديره لشجاعته استحثه فيه على العمل لإخماد الفتنة وعظمه معه . « وإلى أعلم بإسافتك وحسن سياستك ، متذكنت مع المرحوم والدنا في سوريا ، فحققت آمالك بك ، وعند الثوار الثورة احضر إلى مصر والسلام » سبتمبر سنة ١٨٦٥ (١٦٥)

أدى آدم بك مهمته خير أداء ، فخطب الثائرين بالحنس ، ووعدهم بأن يحصل لهم على حقو من الحديو ، فأخذوا إلى الطاعة ، ثم جاء حسن باشا القائد العام للجنه ، وعقد مجلساً عسكرياً للنظر في أمر العصاة ، فقرر تجريدهم من السلاح ، واحتفالهم حبساً حتى يرد أمر الحديو في شأنهم ، فارتدت ثلثتهم من جديد ، بسبب ظفره بعض ضباط « ياشبورق » فاطلق الحند الرصاص على الثائرين فقتل كثير منهم ، واعتقل الباقون .

جعفر مظهر باشا

(١٨٦٦ - ١٨٧١)

تم حصر جعفر مظهر باشا وتكبل الحكمدار ، فحقق أسباب الثورة ، وأوقع العقاب على من سلك فيها . ونهى على يده إخمادها .

وأمر الحديو على آدم بك برتبة اللواء مكافأة له على ما بذله من اهمة في إخماد الثورة . وفي غضون ذلك مرض جعفر صادق باشا وعاد إلى مصر ، عين حمر مظهر باشا حاكماً للسودان ، فسار صيرة عدل وإصلاح ، وكان من غير حكام السودان . ونظم

(١٦٤) من كتاب السودان لعم بك شفيق ج ٢ ص ٤٢

إبراهيم . وأصلح دار صناعة الخرطوم ، وأنشأ بعض المدارس وفتح عدة محاكم للفصل في منعت الناس .

وفي عهد عمن آدم بك الضابط السرداني المتقدم ذكره قاعداً عاماً للجيش المصري بالسودان ، وأنهم عليه بالباشوية ، فصار يعرف بآدم باشا . وقد أظهر ولاء صادق لمصر والحكم المصري .

وفي عهده أيضاً نشطت الحكومة المصرية في مطاردة تجار الرقيق ، ووجه صمويل بيكر ، من بعثه من الجيش المصري على إلقاء خطب الاستواء وضمه إلى أملاك مصر كما أسلفنا ، وكان مظهر باشا يتأوته في مهمته .

واشتهر مظهر باشا بالعدل والزراعة ، ولا فرق فهو أعظم ولاية السودان شأنًا ، وأحسب سمية ، وكان يقرب إليه هؤلاء السودان ويكرمهم ، ذكر عنه إبراهيم باشا فوزى أنه فارق الخرطوم وعليه دين يرمى على ألف جنيه ، وهذا من أقوى الدلائل على نزاهته ، وقال أن راجه لم يكن يقى بمحاجاته ، لكثرة ما كان ينفقه على الفقراء والمعوذين ، وما كان يقبضه من المآدب للطماع ودوى الفصل ، قال ولا يزال السردانيون يذكرون له هذه المحبة ، وهم مجمعون على أن أيام ولايته كانت حرة في جبين السودان (١٦٦) .

وقد عين في سبتمبر سنة ١٨٧١ عضواً بمجلس الأحكام بمصر (١٦٧) فافصل عن منصبه في السودان ، وعين في مكانه ممتاز باشا

ممتاز باشا

(١٨٧١ - ١٨٧٤)

هو من صباط مرموق في الجيش المصري ، وكان سعى السيرة مرموقاً بمرشاه وشكاه لأهله . من حديو ، فأمر بالتحقيق معه ، وسعى بالخرطوم وهي التحقيق ، ومات بالسنس ، والأثر الوحيد الذي تركه أنه علم الأهالي زراعة القطن

(١٦٦) السودان ج ١ ص ٦٧

(١٦٧) الوقائع المصرية العدد ٤٤٦ الصادر في ٣٠ أكتوبر سنة ١٨٧١

إسماعيل باشا أيوب

(١٨٧٣ - ١٨٧٧)

في عهده اتسعت فتوح مصر اتساعاً عظيماً ، ففتحت سلطنة دارفور عن يد الزبير باشا رحمت ، وضمت زيلع وبربره . وفتحت سلطنة هركا بيتاه في موضعه ، وله فصل كبير في بسط رواق العمران في السودان ، فقد أمن السبل ، ووطد دعائم الأمن في واديه ، وشط الزراعة والتجارة والصناعة ، وعلى يده أنشئت محطات عسكرية بين الخرطوم ودارفور إلى حدود واداي ، وبين بربر على النيل وسواكن على البحر الأحمر ، لتأمين سبل المواصلات ، مما كان له أثره في تشييط التجارة . وصح بتوسيع زراعة القطن ونشأ مهندسين جميع الأنفس وسجوها ، وفي عهده أنشئت عدة مكاتب سرية في أهم لمعاصم ، وقد بنى - منحه - أن تدخلت السياسة الإنجليزية ، وأوعزت إلى الخديو إسماعيل بتعيين غردون باشا مكانه ، فنقل إسماعيل باشا أيوب عضواً بالمجلس الخصوصي العالي (مجلس الوزراء) ، وهذا التعيين وإن كان دليل الرضا عنه ، لكنه أدى إلى انفصائه عن السودان ، ثم ترقى في المناصب ، إلى أن صار وزيراً للدخلية عقب الاحتلال الإنجليزي ، وإليه سبب امتناع الحكومة عن إرسال الجدة التي عليها عبد القادر باشا حاكم السودان لإنقاذ الفتنة المهدية ، ثم استعاضه من السودان سنة ١٨٨٣ ، مما كان سبباً في استعجال الثورة ، وشدة المطامع الإنجليزية ، كما سببه في موصله ، وتوفي سنة ١٨٨٤ .

غردون باشا

(١٨٧٧ - ١٨٧٩)

بقطع الكولونيل غردون عن السودان طويلاً ، فبعد أن استقى سنة ١٨٩٦ من منصبه أولاً - وحاد إلى إنجلترا ، صحت الحكومة الإنجليزية لدى الخديو كي يصب حاكماً عاماً لسودان ، وهكذا تدرجت السياسة الإنجليزية في تدخلها في شؤون السودان ، فبعد أن كان غردون حاكماً لحظ الاستواء ، صار لحاكم العام للأقاليم السودانية جميعها . وهذه أول مرة

ولى فيها هذا المنصب الخطير حاكم أنجلى . وهو من حاكم أنجلى بحسب ، بل ينسب إلى دولة لها في مصر مراتب الشهيرة لا يخفى . ركبت تتطلع في مصر وتعمل على إنشاء جمهورية ديمقراطية حديثة تنسب على أنقاض الامبراطورية المصرية .

فبعد غردون - حاكماً عاماً على السود - هو من كتب سياسة الإحسنة . ودخل على منعه ما أدركته من بعد - سياسي في بلاد السودان - ولا يخفى أن هذا التعيين وقع سنة ١٨٧٧ . أي بعد أن حصل خبراً بخصوص لأور يتدخل في شؤون مصر . وبدأ تدخله بعمل بشرائها أنسب منه في قناة السويس سنة ١٨٧٥ . وأهبط ذلك تدخلها والدول في شؤون مصر طالبة بإنشاء صندوق الدين ، ثم فرض الرقابة المالية على مالية الحكومة سنة ١٨٧٦ . فتعين غردون هو من أثار ارتباك مصر المالي ، ومن نتائج سياسة إسماعيل المالية ، فقد كان يظن أنه يستطيع عمل هذا التعيين كسب عطف إنجلترا ، لتعاونه في عمله ، لكنه لم يزل أي مقابل هذه النحة العظيمة . وعلى العكس ، كانت إنجلترا أشد حبه وطأة من الدول الأخرى ، وكذلك شأن السياسة الإنجليزية في مصر ، فأخذ كل ما تستطيع أخذه ، دون أن تعطي شيئاً . ويستفاد من رسائل غردون أن إسماعيل كان متردداً في إتماد هذا المنصب الخطير إليه . ولكن غردون رفض أن يذهب إلى السودان ما لم يمين حاكماً عليه ، وكان يظن أن الخديو لا يقبل هذا الشرط (٦٨) . ولكن ضغط السياسة الإنجليزية ، وانقاس الخديو الجدة منها في محته المالية ، كل ذلك مال به إلى التساهل والتسليم ، وأصدر ١٧ فبراير سنة ١٨٧٧ مرسماً لغردون باشا بالولاية على جميع أصقاع السودان بما فيها دارفور ، وبحر الغزال ، وشط الاستواء ، وهرر ، ومداخل البحر الأحمر مع مصر ، وسواكن ، وزيلع ، وبربره (٦٩) ، ونحوه في حكمه سلطنة مطلقة ، عسكرية ومدنية ، وكان سلطان مصر في السودان قد بلغ وقتئذ أقصى مداه ، إذ امتد من سواحل البحر الأحمر وخليج عدن إلى قبائوس الهندى شرقاً . إن حدود واداي غرباً . والبحيرات الاستوائية جنوباً .

لم يكن غردون على كفاءة للاضططلاع بأجاء المنصب الكبير الذي تولاه ، بل كان صريح التأثير ، سهل الانقياد لمن يثق به ، كثير التصديق في آرائه ، ولم يقرب منه إلا بحرية - لا بالرفق - واحتكار الحاج ، لكنه أسرف في عمله ، ولم يأخذ الأمور بالحكمة وبعد النظر .

٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ -

و. شاي لويج بك : « إن أمر غردون باحتكار الحكومة محصول الحاج قد أثار بخار سودان على الحكومة ، وعزلاء التجار كانوا مادات السودان الحقيقيين ، فكان هذا العمل سطوي على الظلم الثورة المهدي ، وكانت إدارته عرضي ، وبالجملة فقد تولت حكم السودان ، والأس واليسار بسودانه ، ولما غادره سنة ١٨٧٩ ، كان بنوه تحت أعباء ميون ، والثورة تسمخص في أنشائه^(٧٠) .

وقد جعل غردون اعتماداً على الموظفين الأجانب في تلك الأصقاع النائية ، فمصر سناليا بك Messodaglia مديراً للقاهر (دارفور) وكان إيطالياً ، رجيسي باشا Gessi الايطلل مديراً لبحر الزبال . وغرد بك روسي Rossi قنصل لثانيا في الخرطوم مديراً لدارفور ، وشارل ريجولي Rigoli المرسوي مديراً لداره ، واميلاني Emiliani مديراً لكينيه ، والدكتور زوريجين مفتشاً للصحة ، والصابط (سلطين أحد ضباط الجيش المصري مفتشاً للآلية ، وهو الذي صار فيما بعد سلاطين باشا صاحب اللواقظ المشهورة أثناء الثورة المهدي ، وجيكر باشا المصري ، مديراً عاماً لمنع تجارة الرقيق ، وهلم جرا .

وكان الكولونيل (بروت) الأمريكي يتولى الحكم في مديرية خط الاسراء ، فحين يئله إبراهيم لوري (باشا) ، ثم ما لبث أن أكاله وحقن في مكانه الدكتور شتر الألمان الذي صرف بعد ذلك بأمين باشا .

وأعمل غردون شأن المقاطعات الامتوازية ، ولم يكن يوطيه سلطة الحكومة المصرية فيها ، مكانه كان يبنى إقصاءها عن الحكم المصري ، تمهيداً لإدخالها في منطقة النفوذ الانجليزي وأهمل المدارس التي فتحها الولاة من قبل ، وتلوع إلى ذلك بقلة المال ، ومنع إرسال الطلبة الناجمين بمدرسة الخرطوم إلى مصر ، وعزل الموظفين مهم

وشعلت الفتن والثورات معظم مدته ، وكان عهده تديراً بشيوب الثورة المهدي ، وساعد على شيوب الفتن تشده في إبطال الرقيق ، وتقصى قوة الجيش المصري في السودان ، كما أخذته الحكومة من صعوه من الأملاد التي أرسلتها إلى تركيا في حرب البلقان (سنة ١٨٧٧)

تارسلان بن الزبير باشا سنة ١٨٧٧ انتقاماً لآليه ، إذ كان ممنوعاً من الرجوع إلى السودان ،

(٧٠) مصر ومصرياتها لصحوة : الدكتور شاي لويج بك ص ١٨٩

وطمع في الاستقلال ببحر العزل . فأنفذ إليه غردون باشا حملة طارئة وأوقعت به ثم عاد يقاوم الحكومة ، فأند إليه غردون حملة بقدة حتى ص - سبب سرعة سجين ومقتله (يولي سنة ١٨٧٩) . وقد حزن عليه بوه الزبير باشا حزناً شديداً ، لكنه بقي مؤلفاً للحكومة المصرية

وتار قائد من فود جيش الزبير يدعى (الصباحي) ، مطارته الجود المصرية حتى أدركه ، وحوكم أمام مجلس عسكري وحكم عليه بالإعدام (مارس سنة ١٨٧٩) وتار في دارفور أمير من سلالة سلاطين يدعى هارون ولقب نفسه بالرشيد ، وبه الأهلون سلطاناً عليهم في أوائل سنة ١٨٧٧ ، فحاربه الجود المصرية حرباً طويلة ، انبث بقتله في أوائل سنة ١٨٨٠^(٧١) ، وسمى غردون في الاتفاق مع يوسف ملك الحبشة على تحديد التحويم بين مصر ، فلم يبق إلى ذلك ، وفي أواخر سنة ١٨٧٩ جاء إلى مصر ، وكان ذلك في أوائل حكم المدير توفيق باشا ، وقدم استعاه من منصبه ، فميت الحكومة محمد رموف باشا حاكماً للسودان خلفاً له ، وهو آخر الولاة الذين حكموا السودان قبل الثورة المهدي ، وفي عهده ظهرت بوادر تلك الثورة المشتومة التي قضت على نفوذ مصر في السودان ، ومهدت للحكم الإنجليزي في أرجائه

التقسيم الإداري

دخل على التقسيم الإداري في عهد إسماعيل تعديلات أنضى إليها في الغالب التوسع في العتج وضم بلاد جديدة إلى السودان .

فصار مؤلفاً من المديريات والمخاضات الآتية^(٧٢) :

المديريات والمخاضات	العاصمة
مديرية الخرطوم	الخرطوم
مديرية سنار وفازوغل	سنار
مديرية بربر	بربر

(٧١) دارفور في عهد غردون باشا لسناليا بك . مجلة الجمعية الجغرافية المصرية ٣ عدد ١ ص ٦٧ (مايو سنة ١٨٨٨)

(٧٢) انظر إحصاء سبور بك Chawla كبير محتو الري بالسودان في كتابه (النيل والسودان ومصر) ص ٩٧ .

ويعوم بك شير في كتاب السودان ج ١ ص ٦٧

مديريات وأمفطات

مديريات	مديريات
دققة	مديريه دققة
كلا	مديريه كسلا أو التاكه
دشود	مديريه دشود
الأيصر	مديريه كره
الدشر	مديريه الدشر
د	مديريه داره
كبكيه	مديريه كبكيه
ديم الزير	مديريه عمر الغزال
الإسماعيليه (مذكور) ثم	مديريه خط الاستواء
اللاذو ثم ودلاي	
وكانت مقسمه إلى مأموريات لانوكا، ووير، ومكره، ومتينو ودلاي، وطويه	
سواكن	محافظة سواكن
مصوع	محافظة مصوع
هر	محافظة هره
زيليغ	محافظة زيليغ
برره	محافظة برره

الجيش المصري في السودان

بلغ الجيش المصري في السودان على عهد إسماعيل نحو ٣٠ ألف مقاتل موزعين على المراكز الآتية

دققة، زير، الخرطوم، سنار، الفلابات، الحيرة. (بالقرب من حدود الخنكة)
لنصارف، كسلا، أمبدييه، سيوت، سواكن، كردفان، دارفور، عمر الغزال، خط
الاستواء، مصوع، هره، زيليغ، برره

(١٧٣) ذكر دكتور سيدالي بك مدير دارفور في عهد فرعون باشا في حقه لتقسيم منطقة الحبيبة المبرانيه المدعويه بمجموعة ٣
عدد ١ (مايو سنة ١٨٨٨) من ١٩ مع تسمية مديريه كبكيه باسم كركال ويوافق التقسيم المبرادون خريطة سيدالي بك ذاته
من السودان تنقحه بالكتاب الأزرق الايطالي Blue Book ١٨٨٣ ج ١١ ص ٣٩



وروع المخاض في التصريف ، وأنتج صفحا لا يقل جودة عن صفحا الأناضول ، واستعمله مسجون في جميع بوابي السوراد (١٩٠٤) وشا من ذلك حصولا للتصريف النورية

(۱۲) (۱۳)

وَكَمْ لِحُجْرَتِي دَنِيَّةٌ ، وَرَدَ مَحْصُورٌ بِمَكْرٍ سَنِيَّةٌ . وَكَانَ بَعْلِي إِذَا مَرَّ بِالْمَرْحُومِ وَمِنْهُدِي وَسَلَّ إِلَى أَقْصَى السُّبُحَانِ حَتَّى يَخُطَّ الْأَسْتِغْثَارَ الْحَشِيَّةَ .

تکاملات و طرق

تمثلت الواسلات بين مختلف بلدان السودان في عهد الحكم المصري ، واليك أهم الطرق التي كانت تسلكها القوافل أو السفن (١٧٦)

- عشر يوم :
- ١- من الحرم إلى الأسف عاصمة كردان - ١٢ مرحلة سير القوافل
 - ٢- من الحرم إلى الدار عاصمة دارفور ٣٢ مرحلة سير القوافل
 - ٣- من الحرم إلى خندكو (الإسماعيلية) بطريق النيل والمسافة بينهما بالبرانس في ثمانية عشرة يوم .
- ٤ من الحرم إلى قور وجب على سر عطية - ست مراحل .
 - ٥ من الحرم إلى دققة - ٨ مراحل .
 - ٦- من الحرم إلى أبو حراز للقصارف وتقطع المسافة بينها في ثلاثة أيام بالبرانس ثم خمسة أخرى على ظهور الحمار .
 - ٧ من الحرم إلى حموز رحب مكسلا في ثمانية أيام بالحمار
 - ٨- من العصارف إلى الفلات في أربعة أيام على ظهور الحمار
 - ٩- من القصارف إلى (الحيرة) في يوم ونصف على الجبال
 - ١٠- من القصارف إلى كسلا في خمسة أيام بالحمار

[illegible]

٣٧٦ طبعه مطبعه دارالفرمانه ١٢٨٦ هـ

١٦١
١٧٧١ کا دیکھا الکاحد، طرارت فی قمرہ، بطر الککب الأوز، الانجلی عن مصر فی ١٨٨٣ (ج ١)

3

عبد الرحمن

بيتا في عصر محمد علي (ص ١٨٠ وما بعدها طبعة أولى) عمران السروان في عهد محمد علي ، ثم ذكرنا في الفصل الثاني - كتابنا الحالي ما تم على يد سعيد باشا من الإصلاح . والآل نذكر أعمال الممران التي تمت في عهد إسماعيل ، هذا ما ذكرناه فيها نقتد من اليار

三、

كان من أول ما عني به الحكم المصري في السودان بسط روافد الأمن ، وهو قيام العمران وأساس تقدم الزراعة والتجارة ، ويكتفى دليلا على فصل الحكم المصري من هذه الناحية كله السير صمويل بيكر في هذا الصدد ، قال : « إن المانع الأوروبي عمكه أن يجرب تلك الأشتات السيئة ، دون أن يحمي على نفسه أكثر مما يجشاه من يتنزه بعد غروب الشمس في حديقة مائيليك بلندن » .

١٤١

لكن فصل المحكمة السودانية سنة ١٨٧٦ ، ومن بعده خروفه باشا .
وأنشأت المزارع الحديثة في أنحاء السودان وخاصة في عهد إسماعيل باشا أيوب ، فقد
عمل على توسيع مناطق درع القطف . واستقدم لهذا الغرض كثيراً من آلات الري لتزويد المياه
الآرامه بماء قطف ، وأعطى في هذا السبيل أموالاً طائلة لشراء الآلات ونقلها عن طريق سواكن ،
وأنشأ مصلح خليج القطف في كسلا والمحظرم (١٧٤) ، وكان في بيته إنشاء مصنع آخر في (بربر)

وانشئت زراعة القطن في السودان الشرق ، وأسست أسواق لبيع عصفوله في كسلا
والقنارف (أبو سن) والقلالات ، واصلو لكسلا أهمية تجارية كبيرة لكثرة مزارع القطن
ههنا ، مصلاص موقعها الشرق

(٧٤) ذكر في الواقع المصرية عدد ١٤٨ الصادر في ٦٠ مارس سنة ١٩٧٧ وأشير عليه الأختان بكسلا ، وهداد ذكر المطروح في كتاب شينو بلان ، التلج والبردان ومصر ، ص ٥٨

- ١١- من فوز رجب إلى مواكس في أحد عشر يوماً على ظهور الجبال
- ١٢- من مصروح إلى سيوت (محصنة الوعيس) في خمسة أيام على بحر
- ١٣- من سيوت إلى كسلا في سبعة أيام بالحبال
- ١٤- من غندكرو إلى الدملاي سيراً على الأقدام في تسعة أيام
- ١٥- من غندكرو إلى ميوتو في ٣٤ يوماً سيراً على الأقدام
- ١٦- من غندكرو إلى فوريه في ١٨ يوماً سيراً على الأقدام
- ١٧- من غندكرو إلى لاوكا في ستة أيام سيراً على الأقدام
- ١٨- من غندكرو إلى مكركا في سبعة أيام سيراً على الأقدام
- ١٩- من القاشر إلى أسيوط في أربعين يوماً على ظهور الإبل

المواصلات النيلية وفار الصناعة بالخرطوم

وأصلح عمري النيل في شلال (حكه) جتري وادي حلفا ، ونسخت الصخور والمنشآت التي كانت تعترض السفن فيه ، فصار صالحاً للملاحة النيلية ومرور السفن الشراعية والبواخر ، سهلت المواصلات بين مصر والسودان (٧٨) وأزيل جزء من السدود على النيل الأعلى (٧٩) . وأصلحت ترسانة الخرطوم التي كان إنشاؤها في عهد محمد علي ، وكثرت بها البواخر النيلية ، وبلغ عددها ١٥ باخرة وعدة دميات مصنوعة من الحديد والخشب ، وقد أرسلت هذه البواخر من مصر إلى الخرطوم بطريق النيل على الباخرة (الإسماعيلية) التي أبحرها الحكامون لركوبهم إليها نقلت قطعاً مكنكة وركبت في ترسانة الخرطوم وانشئت في هذه الترسنة أربع بواخر حديثة (٨٠)

الملاحة البحرية والقنارات

وأنشئ فئار في ميناء (بربره) من خشب حلق لحداية السفن وتسهيل الملاحة . وبنى بها أيضاً وصيف لإيواء السفن بمصر

(٧٨) الوقائع المصرية العدد ٣٦٧

(٧٩) الوقائع المصرية العدد ٥٥٤ (٧) - ١٨٧٤

(٨٠) سيرة ملك ص ١٧٩

وعهد حيدر إسماعيل سنة ١٨٧٨ في أكتوبر/نوفمبر Graves وأنشأ مقام محمد مختار بك (بك) في شاطئ السودان شدة مصر والواقعة على المحيط الهندي لاحتياط موقع بدءه في دار برشد سن في صيدته من المحيط وخليج عديبة وقد اصطفا بهذه المهمة وحفظت من ممتلكات مختار بك غربيته هذه الجهة ومكان القنارة وهو يقع على بعد ثمانية أميال جنوب رأس جردفون (جردفون) (٨١) وعلى مسافة ثمانية مائة متر من نصب بر صغير يجري فيه الماء العذب وقد يعرف بوادي نخوة ولكن الناس لم يشأ ، لانتفاء حكم إسماعيل في يونيو سنة ١٨٧٩

وتجد بالصحة الآتية خريطة رأس جردفون وموقع القنار الذي كان مزمعاً إنشاؤه كما حفظها المأمون محمد مختار بك

مشروع السكة الحديدية

وعهد الخديو إسماعيل إلى جماعة من المهندسين تخطيط السكة الحديدية التي تصل السودان بمصر .

وشرع في مد الخط الحديدي على طول النيل من وادي حلفا إلى (حك) ، وأمدق في ذلك نحو ٤٠٠ ألف جنيه ، ومد من الخط نحو ٥٧ كيلومتراً فقط من وادي حلفا ، ومهد الطريق على بعد ٤٧ كيلومتراً أخرى ، ثم وقف العمل سنة ١٨٧٨ بسبب ارتباك الحكومة المالية .

المدارس

وأنشئت بعض المدارس كتدبير الأهالي وتعليمهم ، وعهد بالتدريس فيها إلى المخرجين من مدرسة الخرطوم التي أنشئت في عهد عباس الأول . وقد رأينا في (الوقائع المصرية) (٨٢) وصف احتفال فخم أقامته مدرسة (بربر) الابتدائية ، بمناسبة امتحان سنوي . أشد فيه نجاة التلاميذ القصائد المنظومة ، وتم الاحتفال

(٨١) انظر مجلة الجمعية الجغرافية بمصر ١ عدد ٩ وأغسطس - نوفمبر سنة ١٨٨٠ ص ٢٩

(٨٢) عدد ٢٦١ - ٢٦٠ ربيع سنة ١٨٧٤



رأس جردون - جردون

وكان من أملاك مصر على الجبل القمى في عهد الخديو إسماعيل ، حتى موقع القطار الذي احتزم إسماعيل بكشا
تسليم سنة ١٨٧٧
ومعه الخريطة مصورة من خريطة وضعها بالفرنسية اللواء محمد طاهر باشا ونشرت في مجلة الجمعية الجغرافية
سنة ١٨٨٠

على نظام الجمعيات المدرسية في عهد إسماعيل

وأشأ أمين بك (باشا) في اللاهوت عاصمة مديرية خط الاستواء مدرسة لتعليم أبناء الأهلي

ومستشفى ومسجد (٨٣)

(٨٣) مجلة الجمعية الجغرافية - عدد يوليو سنة ١٨٨١ من ٣٧

التجارة

يسط الحكم المصري رواق الأمر في السودان ، فشطت حركة تجارة في بدايه . واتسع
مطلق المواصلات التجارية بينه وبين مصر ، وانشتت فيه بيوت تجار كثر تتولى إصدار
متاجر السودان إلى مصر وأوروبا وتجلب إلى السودان ووردات أوروبا ومصر ، وقد أثرت هذه
اليوت ، وصار لها شأن يذكر ، وأكبرها بيت السيد أحمد المقاد ، وبيت علي أبي حموري ،
وفرج الله الموصلي ، والحواجة عطاس ، وجيلو ، وامرواز وغيرهم . وقد مد هؤلاء حارسهم
إلى أقاصي السودان ، وصار لكل منهم قوة مسلحة من السودانيين ، وأماكن للتجارة في
عطف الجهات تسمى « مشارع » ، يقيمونها على شكل مربع من حروق الأشجار ، ويقم
التاجر أو وكيله فيها بحراسة رجاله المسلحين ، ول هؤلاء الحراس مهمة أخرى ، وهي اقتناص
الرفيق للتجار بهم في أسواق مصر ، وقد قوت عليهم تجارة الرقيق ثروات كبيرة لما فيها من
الأيام الحظائفة ، وما يدل على اتساع غزو هذه البيوت التجارية أن (الوزير باشا) الذي صار
له شأن كبير في السودان كان في بداية أمره وكلاء بيت علي أبي حموري .

ولما احتزم الخديو إسماعيل منع تجارة الرقيق عهد إلى ولاية السودان الاتحاق مع أصحاب
« المشارع » على أن يتخذوا عنها للحكومة مقابل تعريصات تدفع إليهم .

وكانت هذه البيوت تتولى إصدار متاجر السودان ، كالعاج ، وريش النعام ، والحرير ،
والصمغ ، والحبوب ، والفحم ، والمواشي ، والتمر الهندي ، والبن ، والكنحل ، وقرن
الحريث ، وما إلى ذلك

وظلت التجارة مزدهرة في ظل الحكم المصري وبيع عدد بيوت لتجارة سموكه
للمصريين في السودان ثلاثة آلاف بيت ، والسموكه لأوروبيين ألف بيت ، وبلغت واردات
السودان في السنة مليونين من الجنيهات وصدراته مائة ألف هذا التقدير (٨٤)

(٨٤) من بيان تقدمه التجار الوسيون والأجانب في مصر احتجاجاً على إغلاق السودان سنة ١٨٨٤ ، وصحبه فيه ن
حلاوة يؤدي إلى بروز مآثرهم فيه (كوشري - المركز الدولي لمصر والسودان من ٦٨٦)

البريد

عهد اهدى إسماعيل إلى مونتشي بك مدير مصلحة البريد المصرية إنشاء مكاتب منتظمة للبريد في حواصم السودان ، فصدع بالأمر وأنشأ بها عدة مكاتب ، وأنشئت إدارة للبريد في الخرطوم سنة ١٨٧٣ احتلت بافتتاحها اجتماعاً فيها^(١٨٥) .
وأنشئت مكاتب منتظمة للبريد في الخرطوم ، ودققة ، وهرير ، وكسلا . وفتحت أيضاً مكاتب أخرى في سار ، والسلمية ، والقصارف ، وفاروعلى ، وكرجوع ، وفاشودة ، ولأبيض ، والقناشر ، وبقيت هذه المكاتب تؤدي مهمتها ، إلى أن تعطلت بعد شيوع الثورة المهدية سنة ١٨٨٣ ، وظل مكتب الخرطوم مفتوحاً إلى أن سقطت المدينة في أيدي الثوار سنة ١٨٨٥

التلغرافات

طلعت الخطوط التلغرافية التي أنشئت في السودان لعاية سنة ١٨٧٠ ، ٢١١٠ كيلومتر ، وبلغ عدد مكاتب التلغراف في مدن السودان ٢١ مكتباً ، وذلك سنة ١٨٧٧ .
وهاك بيان الخطوط التلغرافية والمدن التي وصلت إليها^(١٨٦) .

- ١ - مصر دمنه وهرير الخرطوم
- ٢ - الخرطوم - أمراء - الأبيض - ورجه
- ٣ - الخرطوم - نوحر - سلمية - سار - فاروعلى
- ٤ - سلمية - كوة
- ٥ - نوحر - نصراف - كسه - سبب - مصرع
- ٦ - كسه - ح (على من مصرع) - ربر
- ٧ - سركس - كسه

(١٨٥) الوقائع المصرية لسنة ١٢٩٠ (١١ مارس سنة ١٨٧٤)

(١٨٦) تقرير التلغرافين سوارث من السودان المنشور في الكتاب الأزرق الإنجليزي Blue book من مصر سنة

٨ - خصر - دوكه - جوف - نقصير - القلانات

٩ - نقصير - أسيرة (بالتقرب من حدود الحبشة)

وكان مركز هذه الحصون في الخرطوم وقد ظلت دمه في عطف في عهد الثمرة مهدية .

ميرانية السودان

ذكر عردو - باشا في رسالته ، من ٢٨١ - ميرانية السودان من ١٨٧٨ - سلف من الأرقام الآتية

٣٢٧,٠٠٠ جنيه دين السودان

٥٧٩,٠٠٠ جنيه إيرادات الحكومة

٦٥١,٠٠٠ جنيه مصروفاتها .

٥٧٢,٠٠٠ جنيه المحجز

الرحلات والبعثات الجغرافية

إن بسط سيادة مصر وسلطانها على وادي النيل قد مهد الطريق للاكتشافات والتحقيقات الجغرافية والعلمية في أرجاء السودان ، فحفل عصر إسماعيل بالبعثات والرحلات التي أنعمها الخديو لهذا الغرض على نخبة الحكومة المصرية ، وقوامها ضباط أركان حرب الجيش المصري . وكان لهم الفضل الكبير في مدرواق الحكم المصري ، ونشر لواء الحضارة في السودان ، ولم فضل لا ينكر في تقدم علم الجغرافيا والاكتشافات ، بأنصافوا إليها من الحقائق الماثرة ، والبيانات المتكررة ، والخرائط والرسوم الدقيقة .
وإنما دأبوا بالفضح والإعجاب موجه أعمال هذه البعثات والرحلات المصرية .
وما وصلت إليه من الاكتشافات الجغرافية .

فلول هذه البعثات حملة صمويل بيكر باشا إلى منبع النيل وقد أسلفنا الكلام عنها وفي سنة ١٨٧١ قامت بعثة برئاسة الأميرالاي (بوري بك) Purdy أحد ضباط أركان حرب الأمريكان في الجيش المصري ومعه طاقمه من الضباط المصريين ، لتجريا

جهاز لواقعة بين النيل والبحر الأحمر ، من القاهرة والسويس شمالاً ، إلى قنا والقصر جنوباً ، وكتشور طرق المواصلات ومناجم المعادن واهاجر في تلك الجهات .

وفي سنة ١٨٧٣ سار الأميرالاي يوردي بك محرراً إلى موقع برنيس (برنيق) القديمة على البحر الأحمر (عربي رأس بناس) ولحقه بها الأميرالاي كولس Colston أحد الصباط الأمريكيان في الجيش المصري من طريق قنا برأ ، وتخطا الجهات المقفرة الواقعة بين برنيس و (بربر) على النيل وقصبا في هذه المهمة بقا وسبعة أشهر (٨٧) .

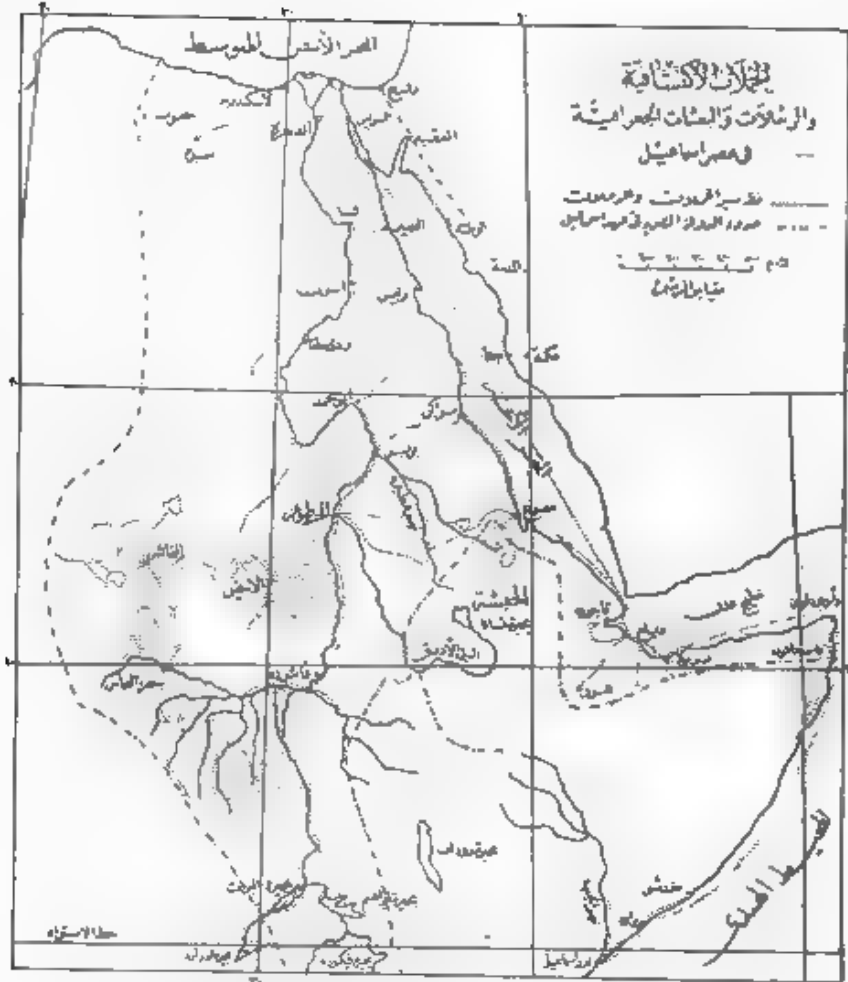
وفي سنة ١٨٧٤ اكتشف الأميرالاي شاي لوينج بك Chaille Long بحيرة إبراهيم كما يباء في موضعه ، واكتشف معظم مجرى النيل المعروف بنيل فيكتوريا ، وحقق بقعة كانت غامضة وهي أن نيل فيكتوريا يصب في بحيرة ألبرت ، وروم للطريق بين اللاموسكره جنوبى بحر الزغال

وبعد أن تم فتح دارفور سنة ١٨٧٤ أنفذ الحديو ثلاث بعثات كبرى مؤلفة من صباط أركان الحرب لاكتشاف جهات كردفان ودارفور .

البعثة الأولى برئاسة الأميرالاي يوردي بك ، ومن أعضائها القانعقم ميزون بك Maizon من الصباط الأمريكيان في الجيش المصري ، والملازمون محمود فتدي صبرى (باشا) ، ومحمد أفندي سامى ، وسعيد أفندي نصر (باشا) ، وعليلى أفندي حليم ، والدكتور محمد أفندي أمين ، ومهمتها اكتشاف جهات دارفور ، فكشفت المواقع وطرق المواصلات بين النيل و (حفرة النطس) بقصى حدود دارفور جنوبا بغرب (٨٨) ، وجابت أرجاء هذا الإقليم لعظم ، وكشفت من الطرق ما طوله ٦٥٠٠ ميل ، وحقت ٢٢ موقعا من المواقع الفلكية . ورسمت خريطة دقيقة لهذه البلاد .

والبعثة الثانية برئاسة الأميرالاي كلستون ، ومن أعضائها الصاغ أحمد فتدي حمدي (باشا) والأميرالاي بروث Prout من الصباط الأمريكيان في الجيش المصري ، والملازمون عمر أفندي رشدي (باشا) ، ومحمد أفندي ماهر (باشا) ، ويوسف أفندي

(٨٧) راجع تقرير الأميرالاي يوردي من هذه الرحلة في مجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة ثمة عدد ٨ من ١٩٦ ، وتقرير الأميرالاي كورس يا حلة المذكورة بمجموعة ثمة ٩ (أغسطس سنة ١٨٨٦) من ٤٨٩ ، وبثت الأستاذ كورس عن رحلة كولس من قنا إلى برنيس وخريطة الرحلة في مجلة الجمعية بمجموعة ٣ عدد ٧ (سبتمبر سنة ١٨٩١) من ٥٢٣ .
(٨٨) راجع بحث الأميرالاي (القواد) يوردي باشا عن هذه البعثة بمجلة الجمعية الجغرافية بمجموعة عدد ٨ (مايو سنة ١٨٨٠) من ٥ وخريطة المنطقة بهذا العدد .



والتحقيقات التي تمت على أيديهم

وقد صاغ كثير من مباحث هذه العتات ، لأن الاحتلال الإنجليزي تعمد أن يبدد أعمارها وحوادثها وبجانبها العتية ، وذلك لكي يقطع الصلة بين جيشا القديم العهد وجيش الذي أنهه الإنجليز بعد الاحتلال ، هل أن المباحث الباقية لأعضاء هذه العتات تسجل لصاحب الجيش المصري أجل الخدمات للعلم والحضارة والعمران ، فإن الاكتشافات والعمليات الحدة المدي التي اصططلوا بها جديرة بأن تعد من مفاحر تاريخنا القومي ، ومن الصفحات المشرفة في تاريخ الجيش المصري والصباط المصريين

الحكم المصري في السودان وشهادة الثقافات من الأجانب

ذكرنا في كتاب « عصر محمد علي » (ص ١٨٢ من الطبعة الأولى) أقوال الثقافات من الأجانب فيما بلغه السودان من العمران على عهد محمد علي .

والآن نذكر ما شهدوا به عن عمران السوداني على عهد خلفائه وخاصة في عصر إسماعيل

قال السير صمويل بيكر سنة ١٨٧٣ في كتابه (الإسماعيلية) : « أن مصر وحدها هي التي تستطيع تمديد أرمية القبلية بإنشاء حكومة نظامية ، وحسب أن تعد حدودها إلى خط الاستواء ، وبذلك تضمن حياة الساعين في تلك الأنظار ، واليوم قد أصبح امتداد حدودها الجنوبية إلى خط الاستواء أمراً واقعاً ، فافتحت أفرقة الوسطى للحضارة والعمران (٩١) .

وقال السير سوتزرا SUTZGER متصل المصا على عهد إسماعيل : « إذا علينا ما كانت عليه الشعوب في تلك الأنظار من المسيحية ، وجب علينا أن تعد خصوعها لسلطة الخديو تدريجاً نحو التقدم ، فإن هذه الشعوب أنجلت تألف الإدارة المنظمة القائمة على قواعد لاستقرار والنظام ، ومن جهة أخرى فإن الأنظار السودانية التي كانت مغلقة قد فتحت للتجارة والرحلات ، فامهد السبل لتسول الحضارة إليها (٩٢) .

وقال رودلف سلاطين (باشا) في كتابه (النار والسيوف في السودان) الذي وضعه سنة

١٨٩٥ حظه خلاصه من أمر التعايش (٩٣)

« إن السودان المصري يحكمه الآن (سنة ١٨٩٥) الخليفة عبد الله التعايشي : الرئيس المستبد لدعاة المهدي ، وقد كانت السوات العشر من حكم المهديين كافية لشر المبودية في نواحيه ، ومن الحق أن نقول إن السودان ظل سيمين سنة وبها . منذ عهد محمد علي مستظلاً بالحكم المصري ، مفتوحاً للحضارة والمدنية . والمتاجر المصرية والأوروبية تزدهر في حرمه ، والدول الأجنبية توفد قناصلها إلى الخرطوم ، والسجون على اختلاف أجناسها يحويون خلال البلاد ، دون أن يلقوا بماتمة ، بل كانوا يلقون عطف ورعاية من ولاية الأمور . وانتظمت طرق المواصلات والتلغرافات وإدارة البريد ، فسهلت الاتصال بين أرجاء السودان القاصية ، وأدى الناس الشعائر الدينية بجله الحرية سواء في للساجد أو الكنائس ، وقامت مدارس البعثات إلى جانب مدارس الحكومة ، وعلى الرغم من تعدد القبائل التي تسكن السودان وما كان بينها من العداء ، ونحضرها للاتصال ، فإن حزم الحكومة وسلطانها كانا كافيين لتوطيد دعائم الأمن والسلام في عطف أصفاه .

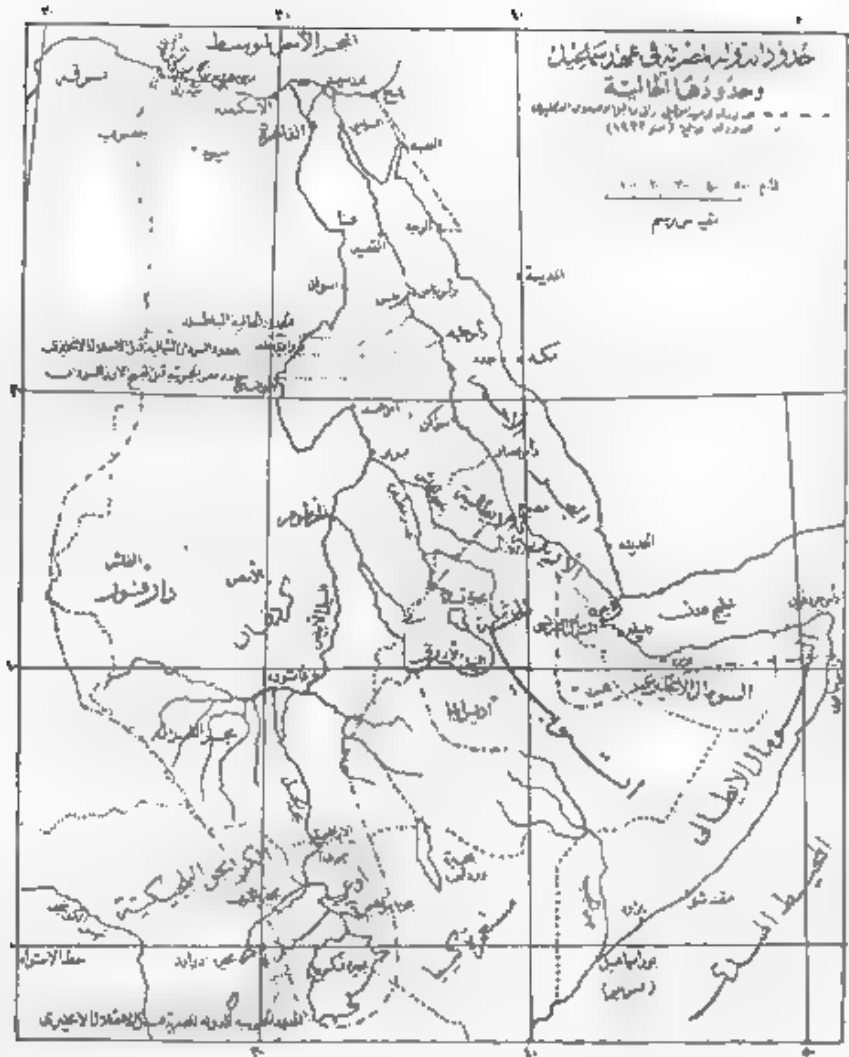
وقال في موضع آخر يصف تهذو الحال بعد غيبة الثورة المهدية

« لقد شهدنا في السودان منظرًا محزنًا ، إذ رأينا الحضارة الجديدة التي دخلت مع الحكم المصري ، تتدهى أركانها ويتبدد صرحها بأيدي ألوان جهلاء بكادون يكونون من المسح ، فأسروا على أنقاض هذه الحضارة حكومة وضعوها نظاماً يشه في بعض أشكاله نظم الحكم المصري ، ولكنهم قضوا على ما ازدان به من العدل والتهديب ، فأقاموا في السودان صرح الظلم والاعتباط ، ولا يكاد المرء يشهد في التاريخ الحديث ببلاد أخرى سادت فيها الحضارة للباشة زهاء نصف قرن من الزمان ، ثم انقلبت إلى حالة أقرب ما يكون إلى الممجية ، فإن الخليفة والقبائل التي تناصره ، بعد أن اغتصروا سلطة الحكم وانزعجوها من أيدي المصريين . يحكون الآن الأهلي التمساء حكماً جائراً ، ويسوقونهم بعضاً من حديد ، ويسمونهم من الحسف والكمال ما جعلهم يتوقعون إلى التخلص من هذه الدولة ويتطلعون إلى حكمه بمحور . في ظله الراحة والسلام ، وليس أقل على مبلغ ما عاناه السودان في عهد المهديين أكثر من عاناه ما يقرب من ثلاثة أرباع أهله ، فمن اجتاحتهم الحروب والاضاعات ، والأمراض المختلفة والتفتيل والتكبل .

(٩١) لار والبيد في السودان النسخة الفرنسية ج ٢ ص ١٨٤ وما بعده

(٩٢) الإسماعيلية للسير صمويل بيكر ص ٢١٢

(٩٣) تقرير سوتزرا للشور في مجلة Revue d'Égypte للسير جاليفر دك عهد مارس سنة ١٨٩٦ ص ١٦٩



وعلى كل موضع آخر ، لقد بعد العهد بحالة السودان تحت حكم إسماعيل ، إذ كانت حكومة مصر - حينئذ - ريوحه لواء الحضارة والمدنية ، على حين كانت المفاع الحارجة هي مصته الفود نصير في حالة الانحطاط والدحر . فالسودان بعد أن رحلته حصاره في صل حكم المصر قد تعرفت إليه الحمجية على عهد لمهديين .

وعلى ما كان عن رباط السودان مصر ، لما نجد هنا أن تذكره على الدوام وتجدده عبرة وعظة لنا وقاعدة لا تبدل لسياسة في السودان

« رى رجا عن أن أبين وجهة نظري في أهمية السودان وقيمته لمصر . وأبدي الرأي الذي ثبت لي قرارة نفسي فأقول ، إن الأسباب التي دعت محمد علي منذ خمس وسبعين سنة إلى ابتلاك السودان لا تزال قائمة إلى اليوم ، فالسودان هو مصدر الحياة لمصر ، وكل جهودها يجب أن تنصب إلى صيانة وادي النيل من أية غارة أجنبية ، فإن كل خطوة تحطرها دولة أخرى نحو النيل ينظر إليها بعين الفرغ من كل من يقدّر خطر السيطرة الأجنبية على ذلك البر العظيم وما تجره من فضيحة سعادة مصر وتقسيمها وتعرضها لأخطار المزار . »

حدود السودان المصري أمس واليوم

اكتملفتح المصري في السودان وبلغت الدولة المصرية حدودها الطبيعية على عهد إسماعيل ، فشمّلت جنوباً بحيرة ألبرت وبحيرة فيكتوريا والبلاد التي بينها ، إذ ضمت مملكة أوبيرو وسقطت حايها على مملكة أوغنده ، وبلغت شرقاً سواحل البحر الأحمر وخليج عدن ، ووصلت حدودها الجنوبية الشرقية إلى المحيط الهندي ، وضمت إليها في هذه التوالى سواكن ومصوع وريبع وبربره وهرر وسواحل الشمال الشمالية ، وصارت جميع شواطئ البحر الأحمر الغربية من السويس شمالاً إلى بوغاز باب فلتب جنوباً ملكاً لمصر وامتدت سلطتها إلى شرقي خليج عدن ، من بوغاز باب فلتب إلى رأس جردود (جردوى) ثم إلى رأس حافون الواقع على المحيط الهندي . وبلغت حدود الدولة المصرية غرباً إلى مملكة وادى الوقعة غربى درعور

واليك ما ذكره الكولونيل ستوارت Stewart في حدود السودان المصري سنة ١٨٨٧ ، في تقريره الهندى قدمه إلى البرلمان البريطانى سنة ١٨٨٣ (بعد الاحتلال الإنگلىرى)

سنة وبيع وشرب فيه ، في أرض وعصية ، ومصر - وندبت فيه ما نسب من مخطوطات
والأرجح ان هذا هو الأصل -

ويرجع خلدن مصر وسودان ، قصار ينشئ عند الخط ٢٢ من مخطوط العرض ،
وأصبح عند سود - شهر بدأ عند (عرض) شمال وادي حلفا ، بعد أن كان الحد الجنوبي
لمصر على منحى لأول حدود (في عهد محمد علي) يصل إلى حرية (سى) حول وادي
حلفا - وكان يسمى من الاحتلال الإنجليزي عند س - س ، حول وادي حلفا أيضاً
وصارت سيوكي - وودى حلفا وما بينهما جنوباً - تابعة لإدارة السودان المشتركة معقضية

الاتفاق الباطل للبرم في ١٩ يناير سنة ١٨٩٩

• • •

هو طرف من الحدود لدى ذكره ، و

• بدأ حدود السودان المصري من صوصي ديس على البحر الأحمر (صح من رأس
عنه) ، وتبع خطه ٢٤ من خطوط العرض التي في عطفه غير مدية في جوف لمصر .
• جنوبه بالغرب من خط ٢٨ من خطوط العرض - ومن هناك نحه اشد جنوباً غرب ، حتى
تتقى مركزه بشمال لغربي من دارفور حيث خط ٢٣ من خطوط الطول ، ثم يتجه جنوب
حتى يصل إلى ما بين الخط ١١ - ١٢ من خطوط العرض ، ثم جنوباً بشرق إلى عويتر
وعويتر الغرب إلى أن يصل بحيرة فيكتوريا ، ومن هناك يصعد شمالاً بشرق ويشمل إقليم
هرير ثم يصل إلى شواشي ، فيجد احدى حد من حدود (حدودى) ، ومن ثم يعود
مخاضه الشامي ، حتى يصل إلى برمس ١٧٧

ومعنى ذلك أن جميع وسائل البحر الأحمر العربية ووسائل اسودان الشمالية لواقعة على
جميع عدد كانت من أملاك مصر ، وقد أُلحق الكولونيل ستوارت تقرير ، خريطة مسداليا
بك (مدير دارفور) عن السودان بهذه الحدود ، وهي مشهورة في الكتاب الأزرق المتقدم
ذكره ص ٣٨ .

وعبر خلاف أن هذه الحدود قد تراخعت منذ الثورة المهدية والاحتلال الإنجليزي ، إذ
تواطأت اختلاط مع الدول الأخرى على انقراض مصر من أطرافها ، فاحتلت الجزائر أوقندة
وألبانيا ومملكة البجيرات والجزء الجنوبي كله من منبرية خط الاسودان ، وصار احد الجنوبي
للسودان يسمى الآن عند يمين (الإريترية) بعد أن كان يشمل بحيرة فيكتوريا وبحيرة
ألبرت ، واعتصمت احدى أيضاً محافظتي ريف وريبره ، وأشدت إيطاليا مديح والأريترية
ورئيس حدود (حدودى) ، وروسا ناعوره وحسوك ، والجنه بلاد هرير وشقول من
أعوان داروخل

ولا يمكن اهدرا بالتأخر على تقسيم أسلاف الإمبراطورية الإيطالية للخطبة التي أسستها
مصر مدتها ونودها وجهودها ، من شارك مصر في سادتها على اسودان باتفاق ١٩ يناير
سنة ١٨٩٩ ذلك لأعلى الباطل الذي حصل سوان شركة بين مصر وأخير ، وأخذته
عده سبلا - لا يترد حكم السودان - وإقصاه نفوذ مصر الشرعي عن بلاد فتحها منذ مائة

(١٧٧) الكتاب الأول الإنجليزي من مصر سنة ١٨٩٩ ج ١١ ص ٩

الفصل السادس

الجيش

خلاصة تاريخ جيش في عهد إسماعيل به عني به حبه وصبه ومصابه فربه .
والوصول به إلى مستوى الجيش الكبيرة للأمة الحديثة ، وعلى أيضاً بمهنة التعليم الحربي ،
فأنشأ المدارس الحربية على أرق طراز حديث . واختار لها أكملاً للمدرسين والضباط ، وأحسن
المتاهج الدراسية ، فكان التقدم في نظام الجيش يسير مطرداً مع تجديد التعليم في المدارس
الحربية .

ولكنه في السنوات الأخيرة من حكمه أعمل شئون الجيش جملة واحدة ، فأنجل نظامه ،
ثم أنقل معظم المدارس الحربية التي أنشأها . وذلك لتضريب معنى المال ، وإرتباك أسواق
الحكومة بسبب فداحة الديون التي فقرصها من غير حساب ، بحيث لم يته عهده حتى كان
الجيش المصري قد وصل إلى درجة هزلة من الصنف والارتباك .
تلك كلمة إجمالية عن حالة الجيش والمدارس الحربية في عصر إسماعيل ، فالشطر الأول
من ذلك العصر هو دور التقدم ، والشطر الثاني يمثل عهد التأخر والاضمحلال .

في الشطر الأول بدل الخديو جهوداً كبرى في تنظيم الجيش ، وأرسل إلى فرنسا بعثة حربية
تتألف من خمسة عشر ضابطاً من نخبة ضباط الجيش^(١) ليقصروا زمناً في مشاهدة نظام
الجيش الفرنسي . واقتباس خبرة قواده وصباطه ، فأعمرت هذه البعثة على ظهر السفينة الحربية
المصرية « شير جهاد » وأقنعتهم إلى فرنسا . فاستقبلتهم الحكومة الفرنسية بالحدوة ، ودروسوا
النظم العسكرية الفرنسية والاستحكامات والمناورات العمومية ، وغير ذلك من فنون الحرب
وقتال . وجمعوا طائفة من المؤلفات الحربية المتعلقة على أساليب الجيش الفرنسي ونظاماته ،

(١) ذكرهم إسماعيل باشا مرهنتك في كتابه ج ٦ ص ٢٠٨ وهم : شاذي باشا ، إبراهيم باشا السوارى ، علي بك رضا
الفرنجي ، علي بك وهبي ، يوسف بك صديق ، محمد بك رضا ، محمود بك ساسي ، إسماعيل بك أنور ، عبد القادر بك
حسن ، مصطفى بك بهسي ، صلي بك غالب ، حمد فتحي حمدي ، حسن أفندي مظهر ، محمد أفندي

وعدوا بها ليطبقوها في مصر ، وأخذ الحديو إسماعيل في تنظيم الجيش على نظام الجيش
عربي الحديث .

ولم يكن بذلك بل أحضر من فرنسا بعثة حربية مؤلفة من بعض الضباط الفرنسيين لتنظيم
مدراس الحربية المصرية . وجاءت هذه البعثة إلى مصر سنة ١٨٦٤ برئاسة الكولونيل مرشر
(بك) Mircher ومعها ثلاثة ضباط آخرون وهم رباتيل Rebatal ولاسي (باشا)
Larmec ، وبولار Polard ، وألحق بهم الضابط دوبرقاردى بك الذى كان يخدم
الحكومة من عهد سعيد باشا ، فتولى هؤلاء الضباط نظارة حصص المدارس الحربية ونظموا
شئونها .

ولما شرع إسماعيل في تنظيم التعليم الحربي نقل المدرسة الحربية التى كانت بالقناطر الخيرية
إلى قصر النيل ثم إلى العباسية ، وأنشأ بهذه الجهة عدة مدارس حربية أخرى بدل المدارس التى
أنشئت في عهد محمد على وعفا أثرها ، واختار جهة العباسية لقربها من الصحراء حيث يسهل
على التلاميذ القيام بالتمارين الحربية وضرب النار ، ولأنه كان يراى السراى الفخمة التى أنشأها
عباس باشا الأول ، وتقدم الكلام عنها ، والمباني الملحقة بها ، وكانت تصلح مقراً للمدارس
والمعاهد والشكاك .

وجعل لهذه المدارس إدارة واحدة تدعى « إدارة المدارس الحربية » .

وقبلا على بيان المدارس الحربية التى أنشأها الحديو بالعباسية في أوائل حكمه :

١ - مدرسة الليادة (المشاة) أنشأها سنة ١٨٦٤ ، وكان عدد تلاميذها حين تأسيسها
٤٩٠ تلميذ ، وتولى نظارتها محمد أمين بك ، ثم دى برنارى بك ، ثم منصور أفندى حسن ،
ثم محمد وعنا أفندى ، ثم جعل لها مديري إدارة وهم على التتابع : محمد كامل أفندى ، ثم
إبراهيم حاصم أفندى ، ثم محمد صالح أفندى .

٢ - مدرسة السوارى (الفرسان) ، أنشئت سنة ١٨٦٥ وعدد تلاميذها ١٦١ تلميذ ،
وتولى نظارتها الضابط الفرنسي بولار ثم ياور بك .

٣ - مدرسة لطوبجية (المدفعية) والمهندسة الحربية ، أنشئت سنة ١٨٦٥ وعدد تلاميذها
٢٨٠ تلميذ ، وتولى نظارتها الكولونيل لارسي (باشا) ، وكان تلاميذها يتبحرون من بين
طلبة مدرسة المهندسخانة ، وهذا يدل على رقى المستوى العلمى لتلاميذها وخرجها ، فلاحرو
أن نبغ فيها وفي مدرسة أركان الحرب طائفة من أكمأ لضباط المصريين .

٤ - مدرسة أركان الحرب بالعباسية ، أنشئت سنة ١٨٦٥ ، وكان عدد
مدرستها ١٠٠ تلميذ ، ثم شجاعة عيسى بك أحد خريجي بعثات محمد مر
بشارتها مرشر بك ، ثم لارسي باشا ، ويختار تلاميذها من
أول المهندسخانة ، وتعد هى ومدرسة الطوبجية من أول أقدم
إسماعيل

٥ - مدرسة الخطرية بالقلعة ، أنشئت سنة ١٨٧٤ ، وهو م
والمرض سببا في خروج صف الضباط ، وتولى نظارتها القائد جبر
المدرسة طويلا .

٦ - مدرسة صف الضباط أنشئت سنة ١٨٧٤ .
وقد خرجت هاتان المدرستان عدداً من صف الضباط الذين استخدمهم
الاكتشافات الحمرافية بالسودان .

٧ - مدرسة الطب البيطرى ، أنشئت سنة ١٨٦٨ ، وتولى نظارتها السيد
إسماعيل راضى أفندى ، وأحيلت نظارتها منذ سنة ١٨٧٠ على ناظر
(السوارى) .

٨ و ٩ - مدرسة قلعات الشيش ، ومدرسة الجيظانية .
وقد أقضت هذه للناس في فواتر عهد إسماعيل (فبراير سنة ١٨٧٩) لارتباك شئون
الحكومة المالية ، واضطراب أحوالها الإدارية والسياسية ، وأنشئت بهذا
المتجدة في أبريل سنة ١٨٧٩ ، وعين لارسي باشا ناظراً لها ، وهو المدرس
(١٩٣٢)

هيئة أركان حرب الجيش

عهد الحديو إسماعيل إلى طائفة من الضباط الأمريكيين . هذه هيئة
المصرية . تألفت هذه الهيئة من الضباط المصريين الذين عادوا من الحرب
ومن الضباط الأمريكيين ، وجعل على رأسهم الكولونيل (جون)
أمريكي على جانب كبير من الكفاءة والخبرة ، طاهر الالة ، الذى
حرب لمحبش

لأهلية ، وحده مصر وعرض خدماته على الخديوي محمد علي فأخذه بالجيش ، وعهد إليه سنة ١٨٧٠ برئاسة هيئة أركان حرب الجيش المصري . - آتت به من الكفاءة ، وأمر عليه برتبة اللواء ، فصار يعرف بالجنرال استون باشا ، وأصبح مهمته التي أسندت إليه ، واستعان على إحياء هذه الهيئة وتنظيمها بمطابقة من الصالح الوصفي وبمطابقة أخرى من ضباط الأمريكان ومن الميكانيكيين والهندسيين والخيلاء في علم طب طب الأمراض . وأنشأ من هذه الهيئة قسم للجغرافية مهمته وضع الخرائط الطبوغرافية بدقة عن حدود مصر والسودان ، وتبين تخطيط هذه الخرائط ضباط أركان الحرب المصريون وضباط الأمريكان مرة أخرى بالرحلات الاكتشافية التي نكلمنا بها في موضعها ، فبدأت أهمهم غاية في الدقة والاحكام .

وانشئت مطبعة خاصة لهذه الهيئة ، لطبع رسوماتها وخرائطها ، ومكتب قيمة نحوي كتاباً قيمة في القوس الحربية وما إليها ، وألحق بها متحف حربي للأسلحة والتحف والتذكارات الخاصة بالجيش ، وتقدمت هيئة أركان الحرب تقدماً مطرداً لم يوقفه سوى رتباك الأحوال في أواخر عهد إسماعيل . وقام الثورة العربية ، ثم الاحتلال الإنجليزي^(٢)

ولكن من الحق أن نقول أن هيئة أركان الحرب في عهد إسماعيل كان ينقصها الاتصال المتين بالقيادة العامة للجيش ، فلم يتم التعاون بين الهيئتين . بل حبس التفويض بها ، وأدى إليه في الغالب صلب ضباط القيادة العامة ومعظمهم من الشراكسة الذين كان من أغصان صفاينهم الزهر والخيلاء . . وقد كان هذا النافر من أهم أسباب إختلاق الحملة الفرنسية في حرب الحبشة ، كما تقدم بيانه ، وكان انفصال هيئة أركان الحرب والقيادة العامة من العوامل التي حالت دون وحدة الجيش ، وأضحت إلى صفه واضمحلاله .

الصحافة الحربية

وانشئت صحيفتان لتثقيف عقول التلاميذ والضباط . أحدهما تدعى (جريدة أركان حرب الجيش المصري) والأخرى (الجريدة العسكرية المصرية) ، تولي تحريرهما ضباط الجيش المصري ، وقد اطلعتنا في دار الكتب الملكية على مجموعة من جريدة أركان الحرب ،

(٢) صدر مشور بالامام مصر سنة ١٨٨٢ من اعظم الإنجليز وضع يده على الجيش المصري ، ولول في نيويورك

وهي مجلة شهرية . صدر العدد الأول منها في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢٩٠ (١٠ يوليو سنة ١٨٧٢) ، واستمرت تصدر بانتظام عدة سنوات ، ورأب مجموعتها كاملة لغاية أكتوبر سنة ١٨٧٨ . وفيها مباحث قيمة لتجربال اسون باشا وليس أركان الحرب ، ولمحمد مختار افندي (دشا) ، وسجاد بك عبد المعاض للدرس بالمدارس الحربية . وعبد الرارق بطشي (بك) ، وأحمد بك عزى . وعبد الله بك عري . من ضباط أركان الحرب وغيرهم ، وكان الشيخ حسن الطويل العالم المشهور يصحح المجلة

ورأيت في العدد الصادر في ١٥ شوال سنة ١٢٩٦ (٢٤ يوليو سنة ١٨٧٤) مجلة تاريخية عن الحملة الإنجليزية على مصر سنة ١٨٠٧ وهزيمتها ، استخلص كاتبها وجه العبرة مما يقوله : « وإذا قلنا الله بغزو هذه الديار مرة أخرى فليذكر ضباط الجيش المصري غرورة سنة ١٨٠٧^(٣) ، وبكى كل ضابط مصعباً على المدافعة والنسب من وطنه ، ولا يرتكب العار في التسليم كما ارتكبه أمين أها ، بل يدافع بنفسه ويحاربه عن كل نقطة يشبه الهجوم إليها ، كما فعل على بك السلاتيكي الذي اكتسب الفخر والشرف ومنع العدو وصدده عن الوطن في غزو بنكر رشيد رحمة الله عليه آمين^(٤) ، فهذه العبرة بذلك عن الروح التي كانت تمتشى في مباحث المجلة ، وكيف كانت تبت في نفوس الضباط روح الواجب والقومية ، ومن المؤلم أن البلاد لم تزلت سنة ١٨٨٢ بغزوة المجرية أخرى كغزوة سنة ١٨٠٧ ، ولكن ضباط الجيش وجنوده لم يقوموا بالواجب الذي ذكروهم به جريدة أركان الحرب سنة ١٨٧٤ ، فكان ماكان من الخيبة والاحتلال

تجهيد السلاح والمصانع الحربية

وصى الخديوي إسماعيل سنة ١٨٧٦ بمعامل الأسلحة الفرنسية بصنع عدة آلاف من البنادق حديثة ذات الإبر المعروفة ببنادق (شاسيو) سنة إلى عمرها ، وسلاح بها الجيش المصري ورمم حصون الإسكندرية . وجدد أسلحتها ومدافعها . وجلب المدافع الصلبة من طور رستريج ، وركب في طوالي الثور ، وخاصة الإسكندرية . وهي المدافع التي كان لها عمل حسن ضد حربي الأسطول البريطاني مدينة الإسكندرية سنة ١٨٨٢ ، ولم تؤثر في مصر

(٣) راجع واقع هذه الحروب في (مصر محمد علي) ص ٤٠ وما بعدها (من الطبعة الأولى)

(٤) جريدة أركان حرب الجيش المصري العدد ٦ من العدد الأول لسنة الثانية

لأسفله لعدم تمرن رماثها على استعمالها بسبب سوء تدبير الحكومة والعربيين
وعلى إسماعيل بشأن المصانع الحربية ، التي كانت منشأة من عهد محمد علي . فنظم معمل
حرس الرصد وأصلح من شأنه ، وصارت تصب فيه للدافع ، وصنع فيه الأدوات
والآلات الحربية للجيش .
وشيد بطره معملًا لصنع الأسلحة المدسة ، وآخر لصنع المدافع وآخر للبنادق ، عدا
معامل الخرطوش والقنابل ، وأصلح مصانع البارود التي كانت موجودة عصر حتى أشهر
ذكرها في الآفاق ، وأرسل سلطان مراكش بعثة من المعاربة ليتعلموا في مصر صناعة البارود
والطبعة .
وأصلح معمل الأسلحة بالإسكندرية ووسع نطاقه .

إنشاء ميدان للرماية والتجربات العسكرية (البوليجون)

وفي عهد وزارة الأمير حسين باشا كامل (السلطان حسين كامل) للحربية وضع لارمى
بث تصميم إنشاء البوليجون للتمرين على حرب النار ، وأجندت أوروبا المهتمين في بنائه
بإشراف لارمى بك وسفاحي بك أحد أساتذة مدرسة أركان الحرب ، وجعل به عدة أقسام
للتمرين ، منها قسم تمرين صباط المدعية على الرمي بالمقاع ، وقسم تمرين الصباط المشاة على
الرمي بالبنادق ، وقسم لصف الصباط ، وقسم لتعلم الطفرافات العسكرية وقسم للإشارة

إدخال النظام الأتلي

كان النظام الفرنسي هو المتبع في الجيش المصري ، ولكن الجندي إسماعيل اعتمد تدريبه
على أساليب الجيش الأتلي ، لما دأبت شهرته بعد انتصاره على الفرنسيين في الحرب
السببية ، فأمر بترجمة الفواتير والخطابات الأتلية وتحويل الملابس وتغيير الأسلحة ، ولكن
أوتناك شؤون الحكومة المالية في أواخر عهده حال دون الإلتفات على الجيش وتجديده

إحصاء الجيش

ذكر إسماعيل باشا سرهك في كتابه (ج ٢ ص ٣١١) إحصاء الجيش سنة ١٨٧٣ ، ومنه
يتبين أن عدده بلغ نحو ٩٠.٠٠٠ مقاتل من جند وصناد وتلاميذ المدارس الحربية كاليان
لآتي

٨٤.٥٣٠ جند وصف صباط

٠٢.٦٦٨ صباط وقواد

١.٨٩٠ تلاميذ المدارس الحربية

٨٩.٠٨٨

وعدا عدا الجيش المرتبط في السودان ، وقد بينا أنه بلغ ثلاثين ألفاً ، أي أن تعداد الجيش
المصري في مصر والسودان بلغ على عهد إسماعيل نحو ١٢٠.٠٠٠ مقاتل .

الافتقار للجيش إلى قائد عظيم

رأيت مما تقدم تطور حالة الجيش في عهد إسماعيل وعلمت ما أصابه من الضعف في
السنوات الأخيرة من حكمه ، وترجع أسباب هذا الضعف إلى أوتناك شؤون الحكومة المالية
التي كان نتيجة لقروض الخفير ، وإلى عدم التعاون بين قيادة الجيش وهيئة أركان الحرب ،
وثمة سبب جوهرى لهذا الضعف ، يترامى في عصر إسماعيل عامة ، وهو عجز القيادة العامة ،
فقد كان الجيش يعوزة قائد كبير بصارع إبراهيم باشا في كفاءته وعبقريته . ويبحث في نفوس
لحد روح البطولة والهدوء والبسالة ، ولم يكن إسماعيل عن غرار أبيه في التسرع والعبقرية ،
ولا وراث عنه صفاته الحربية ، ولم يألف خصوص غمار القتال ، ولا وجد بين قواده من يمد
بمراغ الذي كان يلقوه البطل إبراهيم ، وعنى عن البيان أن حرمان الجيش مثل القائد العظيم .
ومثل سليمان باشا العرتساوى أو القواد الذين ازداد بهم تاربع مصر الحربي في مباركة مصر
وليونان وسوريا والآناسول ، كان العامل الأول فيما أصابه من الضعف

وقد ظهر الضعف في حرب الحشة سنة ١٨٧٥ - ١٨٧٦ ، كما بيناه في الفصل السابق ،
وتبين أن أهم أسباب الخيبة في تلك الحرب عجز القيادة وسوء النظام ، وكانت هذه الخيبة

موضع دهشة المصريين والأجانب على السواء . فقد كانوا يعتقدون . - حشش مصري . - من
محصنات سكة الحديد التي نالها في حروب محمد علي أنولى حرب القرم . ولكن حرب حشش
هذه مكنته وكشفت عن أعرض الضعف لدى صلب الجيش عن مر السنين في عهد محمد
محمد علي

وقد زاد في ضعفه ارتباك الحكومة ، لذلك ، وتدخل الدول في شؤونها . فإن هذا الاستد
أنقى إلى نفس محصنات الجيش ، وكان من أعمال وزارة بشار باشا الأولى تخصيص عدد
الجيش ، توفيراً في النفقات وسداً لجزء من ميزانية ، فقررت بحالة ٢٥٠٠ صابط على
الاستداع ، وتسريح عدد كبير من الجنود ، واستمرت فساد الضعف تزداد وتتفاقم . - إن
ظهرت نتائجها مرة أخرى في وقائع الاحتلال الإنجليزي سنة ١٨٨٢ ، تلك الوقائع التي تعد
صفحة مزرنة في تاريخ مصر الحربي

• • •

الفصل السابع

البحرية

توفي خديو إسمايل بحكمه والحرية المصرية في حالة سيئة من التآخر وضعف . فقد
اضمحلاله كما قلنا في عهد عباس . ولم يصل سعيد باشا على إحيائها ، لم تقيه من العذاب
من ناحية تركيا

لأحمد إسمايل في أوائل حكمه يعني بتجديد الأسطول ، فبث النشاط في ترسة
الإسكندرية (دار الصناعة) ، وأحيا معاملها ومصانعها ، وجلب لها المال من الإسكندرية
ومن داخل البلاد ، واستحضر لها الآلات والمعادن ، فساد إليها نشاطها الذي كان لها في عهد
محمد علي .

وأشبه بها بعض السفن الحربية في عهد ولاية عبد اللطيف باشا ، ثم شاهين باشا ،
لوزارة البحرية ، وباسم الأول منها سميت البارجة « لطيف » وتم في عهد الثاني بناء البارجة
« الصاعقة » .

وأوصى الخديو بصنع عدة سفن حربية مدرعة في ترسانات أوروبا
وحدد المدرسة البحرية بالإسكندرية ، وأنشأ مدرسة بحرية أخرى بمجرى الترسانة ، أحضر
لها المدرسين الأكفاء من مصر وأوروبا ، وعهد بنظارتها إلى ضابط من ضباط البحرية
الإنجليزية ، يدعى مكيلوب (باشا) . ووكيله ضابط مصري كلفه وهو عبد الرزاق بك
درويش ، ثم نولى هو نظارتها من بعده^(١) . ومن كبار فائدها سليمان قيودان حلاوة^(٢) من
مشاهير ضباط البحرية ، وتنحى تلاميذ هذه المدرسة من أبناء طلبة المدارس الأميرية
، لأبتدائية . وكانت تدرس فيها العلوم ونجوم البحرية التي تدرس في المدارس البحرية
(أوروبية) . ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات . واختبرت الحكومة طائفة من خريجيها

(١) اودع بحرية العدد ٢٩٨ - ٢٩ مارس سنة ١٨٧٥

(٢) اودع بحرية العدد ٢٤١ - ٢٣ يناير سنة ١٨٧٦

وأوفدهم إلى إنجلترا لإتمام العلوم البحرية ، منهم ثمان لتعلم من إنشاء سفن ، وهما حسن مريد أفندي ، وحشمت أفندي ، واثنا لتعلم الميكانيكا البحرية ، وهما محمد انيس أفندي ، ومحمد عارف أفندي ، ولما عافوا إلى مصر التحقوا بفار الصناعة بالإسكندرية ، ومن هذه المدرسة مخرج إسماعيل باشا سرهنت . مؤلف كتاب حقائق الأبحار عن دوا السفن . ووطر المدرسة الحربية المتقدمة .

بعد الحديوي إسماعيل كما نرى جهوداً ممتدة في إحياء البحرية المصرية ، ولكن عقبات حمة عرقت في سبيله . ذلك أن الحكومة التركية رأيت البحرية المصرية أداة بأسب النشاط والقوة . وعلمت بأن إسماعيل أوصى على ثلاث مدرعات في فرنسا ، ومدريعتين أخريين في النمسا ، وأن هذه المدرعات قد تم صنعها ، وأرسل الحديوي سنة ١٨٦٨ طوابعها من الصباط والبحارة ليشيروها ، فاعتزمت على تسليمها ، وتلوهت بأن القرمات لا تبيع لمصر إنشاء السفن الحربية المدرعة ، فأنهى الخلاف بأن ابتاعها تركيا لنفسها .

وكان هذا الاعتراض بإيعاز من إنجلترا التي يسودها أن تجد مصر قوتها البحرية . فاستخدمت نفوذها لدى الاستانة لتحول دون هذا التجديد ، وقد وقتت إنجلترا هذا الموقف ذاته في عهد عباس ثم في عهد سعيد . وكانت بذلك تعمل على خطة رمتها نفسها منذ إنشاء محمد علي الكبير الأسطول المصري ، وهي إضعاف قوة مصر البحرية ، لكي تأسر على سيطرتها في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر .

خدمات الأسطول

ورغم ما اهرص الأسطول من انقبات ، فإنه أدى خدمات لا تترك ، فقد اشترك في عدة حملات حربية على ظهر البحار ، كحملة كريت ، وحرب البلقان ، فكانت سعة نقل الجلود المصرية إلى الجحبات التي تقصدها . وكان صلة الاتصال بين مصر وثغورها وأملاكها المرمية على البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندي . وقد أثبتت سعة تصرفات العسكرية التي أرسلتها مصر إلى تلك النحر البعيدة . كمصوع ، وريبع ، وبيرونة ورأس جردون (حردوى) ، كما أثبتت الحملة التي أوفدها إلى بلاد الصومال ، ووصلت إلى ثمر تسايو (بور إسماعيل) شمال زنجبار على شاطئ المحيط الهندي .

وخدمات مصر سعة حول هذه (فوجيه) منقذة من سحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر عن بحرين لإقيايوس لأعضه ورأس برجاه الصالح على أن تشق عدة سوس

إحصاء الأسطول

أخصى علامة على ما تبارك الأسطول المصري في عهد الحديوي إسماعيل ، فذكر أن عدده ١٤ سفينة حربية ، وهي عروسه مصر حربية ، محمد علي شيرجهاد لطيف دفعه مصر سعة حرسه أسيد و ثلاثة مراكب أخرى صغيرة . وإسماعيل باشا سرهنت إحصاء آخر ، فقد قال (ج ٢ ص ٥٥) أن عدد سفن لأسطول ١٨ سفينة حربية ، وذكر (ص ٢٨٧) أسماءها مع ثلاث بواخر حربية أخرى مخصصة لركوب الحديوي ، وهذا بإيجاز :

اسم البارجة	عمل إنشائها	نوع مدهنها	عدد مدهنها
١ - محمد علي (فرقاطة)	أمريكا	حديد وخشب	٢٨
٢ - شيرجهاد	ترستا	خشب	٢٨
٣ - لطيف كوزفت	الإسكندرية	خشب	٦
٤ - الخرطوم (مدعية)	إنجلترا	خشب	٥
٥ - دنقلة (مدرعة)	إنجلترا	مدرع	٨
٦ - الماعقة (كورفت)	الإسكندرية	خشب	٨
٧ - سنار (مدعية)	إنجلترا	خشب	٧
٨ - ربح نرد ١	فرنسا	مدرع	٢
٩ - ربح نرد ٢	فرنسا	مدرع	٢

ثلاث بواخر حربية لركوب الحديوي

١ - بحري	لندن	حديد	٨
١١ - مصر	طولون (فرنسا)	حديد	٦
١٢ - العربية	طولون (فرنسا)	حديد	٤

طائرات وسفن النقل

رقم	اسم	نوع	معدتها	عدد مداتها
١٣	بحر	البحرية	حديد	٢
١٤	أسود	الحديد	حطب	٤
١٥	شدي	حطب	حطب	٤
١٦ - أسود	الإسكندرية	حطب	حطب	٢
١٧	الحميرة	الحديد	حطب	٣
١٨	سمود	الحديد	حطب	٢
١٩	بور الهدي	الحديد	حطب	٢
٢٠ - بحر	الحديد	حطب	حطب	٢
٢١	عجمي	الحديد	حطب	٢

لكن هذا الإحصاء ومن مقارنته بإحصاء الأسطول الضخم الذي كان لمصر في عهد محمد علي (عصر محمد علي ص ٤٣٢) يتبين لك مبلغ ما أصاب البحرية المصرية من الضعف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثم إذا قارنت هذين الإحصاءين بحالة أسطول مصر الآن - ١٩٣٢ - (أي بعد الاحتلال الإنجليزي) وبحتت حينئذٍ هو الأسطول ومم يتألف؟ وماذا يعمل؟ يهرك الدهش والأسى والألم، لاستدام قوة مصر البحرية في عهد الاحتلال

الأسطول التجاري

لما وجد إسماعيل، بعد مره من عقبات في سبيل تجديد الأسطول أخرى، وجه عنايته إلى الأسطول التجاري، فأشأ شركة للملاحة التجارية، سميت الشركة المصرية، مبة إلى السلطان عبد العزيز، أعاد بواخرها لنقل المسافرين ونقل المتجر إلى ثغور البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، بعد أن أبطل الشركة الخفية التي نشأت في عهد سعيد باشا، وجعل رأس مال الشركة الجديدة مورعاً على أسهم ليشترك الأفراد فيها

فكتب حاجة من سرة المصرية في رأس مالها. ونخصص لها الخديوي سبع بواخر كانت موجودة من قبل، وأوصى بإشاد بواخر جديدة في إنجلترا، وجعل على قيادة هذه البواخر ضباط بحرية القدماء الذين تركوا خدمة الأسطول منذ التمهيد، وكذلك بحارته، وانتاحت وزارة البحرية، على ذلك عدة سفن شرايف كبيرة لنقل الأخشاب اللينة لوراني البحرية والمحربية من بلاد الأناضول، فكان الأسطول التجاري المصري يتوحيه من البواخر والسفن شرعية بالغا حرجة كبرى من التقدم

وكان لبواخر (الشركة المصرية) عمل كبير في نشاط حركة التجارة الخارجية لمصر، وتسهيل مواصلاتها البحرية مع الأنصار الأخرى. وزاحمت شركات الملاحة الأجنبية في هذا الصدد، ونجحت في عملها، وامت إيراداتها، وربحت الأرباح الوفيرة، ثم ابتاع الخديوي إسماعيل أسهمها، احتكاً لأرباحها، وحوّلها إلى إدارة من إدارات الحكومة عرفت بمصلحة (وبوريات البوطة الخديوية)، فاستمرت مطردة النجاح واتسع نطاق عملها، وصار لها من البواخر الكبيرة ست وعشرون باخرة^(١) تجوب البحار واطعة العلم المصري، وتنقل الناس والمتاجر والبريد بين ثغور مصر وشواطئ البحر الأبيض المتوسط في سوريا والأناضول وبلاد اليونان، وشواطئ القردنيل والبوسفور، وثغور البحر الأحمر كسواكن ومصوع وبجدة والحديدة، وتجار بوظاز باب المنجب إلى ريلج وبربر.

وقد ألحق بهذه المصلحة الخوض العام الذي أنشأه بميناء الإسكندرية، ونخصص بواخرها لمعمل (قابضة) في ترسانة الإسكندرية للقيام بما تحتاجه من الإصلاح. وبقيت هذه الإدارة الكبيرة ببواخرها ومخازنها كالمخوص وطريقة الفرمان ملكاً للحكومة، إلى أن باعها في عهد الاحتلال، إلى شركة إنجليزية، بأغس الأثمان، فانتقلت تلك سفن البحرية العظيمة وهذه القوة القوية المضخمة، إلى أيدي الإنجليز، وأزول العلم المصري عن بواخرها، واستبدل به العلم البريطاني، فكانت نكبة، وكان خسران.

(١) ح. - الرحانية المالكا تقوم البحرية الشرقية المصرية ططا شدي شوي صوب كويك. حنود
الميا المصرية سبر للصورة ططا النجيلة صوب الزريق. الخطر الحديدة بين القصص. سواكن
مصر (كتاب إحصاء مصر سنة ١٨٧٣ - ص ٤٧)

إنعام ميناء السويس

١. إنعام أعمال الإصلاح في ميناء السويس ، وإصلاح ميناء الإسكندرية ، وإنشاء القنارات البحرية ، هي من أعمال العمران التي تتصل بالبحرية ، ولذلك نتكلم عنها في سياق الحديث عن البحرية في عهد إسماعيل

شرح سعيد باشا سنة ١٨٥٦ في إنشاء ميناء جديد بالسويس لسهولة إيواء السفن ، فجعل من البحر مرفأين ، أحدهما يسمى ميناء إبراهيم ، جعل للبوارج الحربية ، وجعل الثاني للسفن التجارية ، وأقيم حاجز من الأحجار لصد الأمواج عن الميناءين ، وبه الميناء لتتولى السفن وحروبها

وشرح في إقامة حوض لعبارة السفن ، وقد استمر العمل في إنعام هذه المشروعات إلى أن كملت في عهد إسماعيل ، وبلغت تكلفت الحوض والجسر الذي يصله بميناء السويس ٢٤٠,٠٠٠ جنيه ، وقد تنازلت عنه الحكومة المصرية في عهد الاحتلال إلى الشركة الإنجليزية التي اشترت وإبورات البوطة الخديوية

إصلاح ميناء الإسكندرية

لما اتسعت حركة العمران وازدادت المواصلات البحرية في الإسكندرية شرع إسماعيل في توسيع مينائها وإصلاحه ، واعتمد إنفاذ هذا الإصلاح بعدما أنشئت بورسعيد وقارب مشروع قناة السويس انقمام ، فقد عثى أن تراحم بورسعيد الإسكندرية ، وتتحول إليها حركة التجارة الخارجية ، فاعتمد توسيع ميناء الإسكندرية لتجذب إليها السفن في غلدها ورواحها فأول ما بدأ به إقامة حوض عام من الحديد لإصلاح السفن ، بدل الحوض اللبني بالحجر من عهد محمد علي ، والذي صار مع الزمن لا يفي بإصلاح السفن ، وخاصة كبيرة الحجم ، وقد جلب الحوض الحديد من فرنسا سنة ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م)

ثم أنشأ حاجز الأمواج الضخم الذي يقى المياه طغيان الأمواج ، ويحفظ السفن الراسية به من من من العواصف ، ولا يزال قائماً إلى اليوم ، وهو جسر من الأسس والأحجار الضخمة

والصخور ، يمتد من طرف شبه جزيرة رأس لنج إلى جهة العجسي ، وبه الميناء لمروء البحر منه ، وأنشأ بداخل الميناء وصيفاً للشحن والتفريغ بأوصاف أخرى ممتدة في داخل الميناء ، وكانت هذه المشروعات من أعمال العمران الضخم التي انقضت جهوداً كبيرة ، وكلفت الخزنة نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات . وقد عهد بها الخديو إلى شركة المحلرية تسمى شركة حرقلا ، وبه في العمل سنة ١٨٧١ . ولم يتم الا بعد تسع سنوات سنة ١٨٧٩

القنارات

وأنشأ عدة قنارات في ثغور البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر لإرشاد السفن وتسهيل الملاحة البحرية .

وهذا بيانها :

في البحر الأبيض المتوسط : قنار البلس ، أنشئ سنة ١٨٦٨ ، وقنار رشيد سنة ١٨٦٨ ، وقنار دمياط (تجاه رأس البر) سنة ١٨٦٩ ، وقنار بورسعيد سنة ١٨٦٩ ، وقنار المعجمي سنة ١٨٧٣ ، وقنار حاجز لليناء سنة ٨٧٦ ، وقنار القباري سنة ١٨٧٧ ، أما قنار رأس قنن الكبير فهو منشأ من عهد محمد علي .

في البحر الأحمر : وكان بالبحر الأحمر من القنارات قبل عصر إسماعيل قنار زوني ، وقنار الزهران جنوبي السويس ، وقنار الأشرف ، وقنار أبي كيزان ، فرأى الخديو إسماعيل في هذه القنارات لا تكفي لإرشاد السفن في البحر الأحمر ، لكثرة صخوره وعماطه ، فأنشأ قنارات أخرى وهي .

قنار السويس . وبـ رأس الغرب جنوبي رأس الزهران ، وقنار صخور الأخوين الشمالية ، وقنار جزيرة شدوان الذي تم سنة ١٨٨٩ ، وقنار (الوجه) من ثغور الحجاز^(٥) وأنشأ في خليج عدن بالأقباطوس افندي قنار بربر ، الذي الكلام عنه ، وأمر بإقامة قنار في جردوني (جردوني) سنة ١٨٧٨ ، ولكنه لم يثأ كما تقدم بيانه (ص ١٦٥)

(٥) كانت مصرية (الوجه) تابعة لحكومة مصر

الفصل الثامن

حروب مصر في عهد إسماعيل

حصلت مصر في عهد إسماعيل عدة حروب عشت في أعقابها وباعثها ، ومنصتها بما دعه تركيا بن حوصه عارها سنده جيشها ، ما حلا حروب السود ، ، فقد كاسب اسكرا من لحنيو إسماعيل ، لسه يعود مصر في ماطل إفريقيا وشرقها ، والوصول إلى الحدود الطبيعية لواءى النيل ، وسرب . لحنة التي كانت حراً عقياً من كل الوجوه ولم يكن للحروب التي حاصها مصر لية لطلب تركيا من نتائج عملية مصلحة مصر سوى أن إسماعيل كان يتجدها في الحملة ، درية لاستصدار مرابا وحقوق جديدة تقرب مصر من استقلالها التام ، ومن جهة أخرى ما كانت مباحين لمران الجيش المصرى وحجوده ومباط على ممارسة القنا والإفادة من تجاربه ووقاته

١- إجماع لوزة الصير

في أوائل عهد إسماعيل مار الأمير محمد بن حاتف أمير الصير على الدولة العثمانية ، وقصد الاستيلاء على تامة إلى ، فطاريه متصرف الجديدة ، وصده في بعض المواقع ، ولكن الأمير استعمل فره وسنن على بعض المدن ، فاستجدت السلطان عبد الحميد بإسماعيل ، وطلب منه أن يمد جيشاً مصرياً لإجماع الثورة على إسماعيل عليه ، وأقصد إلى عير قوة من ثلاث أوط من المشاة ، وودعا ديداع وكاتب ليرسان . وعقد لواء عبادا للأمير الامى إسماعيل صادق بك ، فلما وصل إلى شبر حدة ، اتفق وواله على حريد الحملة لمصرية صحة الميرة الخمانية على الثور من جهة (قنده) فتمسك من إجماع الثورة ، وقدم الأمير محمد بن عاتص طاع ثم عدت . معرفة للمصرية طافرة مشكورة على ما ألبته في القتال ، وأنهم لحنيو على عاتدها رتبة اللواء مكافاة له على ما أبدى من الشجاعة والكمالة في القيادة ، وأرسل السلطان إلى حديو كتاب شكر وثناء

على ما بدله من الحماية والولاء ، وتوسط إسماعيل لدى السلطان عبد العزيز في العفو عن الأمم
الناثر ، قبل شفاعة وحمايته وأقره في إمارته

٢- حرب كريت

قامت سنة ١٨٦٦ ثورة في ولاية المرسك إحدى ولايات البدون بحريص أمير الحبل
أسود ، مجردت تركيا حيوشها لمناقلة الثروة ، ولما تولى إسماعيل عرش مصر طلبت إليه
حكومه بمساعدة البحر جوشها في الروملو بجيش مصري حتى لا يفوق مساعد الثوار
ولا ترداد اضطراباتهم في تلك الجهات ، فأخذ إسماعيل باشا مرة تولى قيادتها اللواء على غالب
باشا ، فوصلت الحملة المصرية إلى الاسنة ، وعرضها السلطان ، ثم سارت عن طريق
(سلايك) إلى (مناستر) ورابطت هناك .

ثم نبت ثورة عامة في جزيرة (كريت) سنة ١٨٦٦ ، وعجزت تركيا عن إخمادها إذ كان
جودها موزعين في ولايات البلقان ، ولم تقو الحماية التركية في الحرية على مقاومة الثورة ،
فاستجبت بمصر ، وأرسل السلطان عبد العزيز إلى الخديو يطلب إليه إعادة بعض فرق الجيش
المصري إلى الجزيرة لمقاتلة الثوار ، على الطلب ، وأخذ جيشاً مؤلفاً من خمسة آلاف مقاتل
وبعض ، عقد لواءه للفريق شاهين باشا ، أحمد قواد الجيش المصري المشهورين ، يعاونه اللواء
إسماعيل صادق باشا ، وكان من ضباط الجيش المصري في هذه الحرب راشد بك حسي
(باشا) الذي عظم شأنه في حوادث الثورة العربية ، وأبلى البلاء الحسن في واقعة
القصاصين ، ومحمود سامي بك البارودي (باشا) الذي صغر من كبار زعماء الحركة العربية ،
وفي هذه الحرب كانت نشأة البارودي الحربية .

أقلعت الحملة إلى جزيرة كريت ، نقلها حملة من الأسطول المصري مؤلفة من عشر
سفن ، معززة لوازمها للأميرال قاسم باشا ، وتولت هذه الحملة نقل القوة المصرية التي
كانت مرابطة في (مناستر) وجاءت بها إلى الجزيرة .

نزلت الحملة في كريت ، فاشيكت والثوار في جهة تسمى (أبو فرون) ، جرح فيها اللواء
إسماعيل صادق باشا جرحاً بلياً نقل على أثره إلى مصر ، وتبدلت القيادة العامة للجيش
المصري . إذ استدعى شاهين باشا إلى مصر وعين بهل الفريق إسماعيل سليم باشا وزير الحربية

وقد تقدم كما تقدم بيانه (ص ٨٣)

ومن حسد في رعدة وقادى . وكانت من أعظم وقائع الحرية . حرم فيها الثوار
هزيمة كيرة ، وحسرو خسائر عظيمة ، وأبلى فيها الجنود المصريون بلاءاً حسناً في القتال ،
وأسو من الشجاعة والإقدام ما حلد ذكرهم ، وكان راشد بك حسي وأبلى أكثرهم
مداً . فأمر عليه الخديو برتبة اللواء ، وأرسل الجيش المصري كتاباً بلياً من إنشاء المرحوم
عبد الله باشا فكري ، ينشئ فيه على حسن بلاء الجنود وصبرهم وقوادهم ، ويسجل لهم
ما أبدوه من شجاعة والكفاءة

واستمرت الحرب سجلاً حتى انتهت الثورة ، فعاد الجيش المصري إلى مصر ، وقوبل
بمظاهر الحفاوة ابائلة ، وأقام الخديو لأمراده الولائم تكريماً لهم عن حسن بلائهم في القتال

٣- حرب البلقان

(١٨٧٦ - ١٨٧٧)

كانت روسيا لاقتغا تعرض إمارات البلقان على الانقراض على تركيا ، لكن تعهد نصها
الدخول في حومة الوعى بعد أن توزع تركيا قواتها في إخماد الثورات المحلية ، فمن ذلك أنها
بادرت بتدوير الثورة في تلك البلاد حتى شب أوارها في المرسك سنة ١٨٧٥ ، وامتدت إلى
البوسنة ، وقامت للصرب تشدد أوزر الثوار

فطلبت تركيا من الخديو إسماعيل إمدادها بنجيد ، من الجيش المصري ، فأخذ الخديو قوة
من نحو سبعة آلاف مقاتل بقيادة الفريق راشد باشا حسي ، ومن صباطها محمود بك نصفي
(باشا) الذي صار فيما بعد من زعماء الثورة العربية ووزرائها . وصاحب كتاب البحر الزاخر
في تاريخ الأوائل والأواخر .

أقلعت الحملة إلى الاسنة . ثم قصدت إلى حدود الصرب ، فاشركت والجيش المائل
في قتال انصريين ، وقازت عليهم ، وأظهرت شجاعة وبسالة في المواقع التي خاضتها . بما دها
الخديو إلى الإيعام على طائفة من قوادها وصباطه بالرتب العالية

وفي غضون ذلك تولى عرش تركيا السلطان عبد الحميد الثاني (٣١ أغسطس سنة
١٨٧٦) ، بعد أن قتل السلطان عبد العزيز ، وخلف السلطان مراد ، ورجع الجنود المصريون

و إنشاء بدو لقب حرب ب تركيا والصرب

تم عقد الريع بين تركيا وروسيا . وعقب حرب بين الدولتين . وهي الحرب المعروفة بحرب الشيشان (أبريل سنة ١٩٧٧) . قطعت تركيا من المليون إحددها في هذه الحرب . ولكن بمجمل مدته - مدته - بالادوات الحكومية لالة ، وعمرها - لأعلى نحو

عدد فأعد السطان عبد الحميد ذكره ولم يقل عدداً

وكانت مشاكل مدنية قد جعلت إسماعيل هدفاً لقتل الدائنين الأجانب ، فأضربوا برهمنيه بمقابلهم الشديدة . والنزوب الأوروبية من دولتهم تشد أزرهم ، وتهدد الخديو ،

محض عاقبة مدعه تركيا في ندد الظروف العصية ، فاعتزم بحربه عليها

وكانت حروبه الخكومه في ساحة سيرة ، طلتني محسن شوري الواب ، وعرض عليه

ريد صربية جديدة تدعى صربية الحرب ، مدتها عشرة في المائة من مجموع للصرب .

لقد عقدت الحمية ، فوافق المجلس عليها ، وأعد المخطوحيث مؤمناً من نحو ثني عشر ألف

مقاتل بقيادة الأمير حسن باشا ثالث أمهده ، وبعد أن تمت مصادات الحمية أفلقت بهم السهم

المصرية إلى الأستانة ومنها إلى (واره) أمد لعود البحر الأسود

وقد أمد المخطو لمصريون في هذه الحرب بلاه حصناً وبشركوا في القتال إلى أن وضعت

الحرب أوزارها في مارس سنة ١٨٧٨ ، ثم عادوا إلى مصر .

٤ و ه - محروب السودان والحبيشة

كانت الحملات التي جردها الخديو إسماعيل لإتعام فتح السودان عبر حروب مصر في

عهد ، وأكثرها نفقاً وبركة . وهي بعد تكة لحروب مصر في عهد محمد علي ، وقد وب

الكلام منها في الفصل الخامس ، كما بسطنا الكلام فيه عن حرب الحبيشة

• • •

الفصل السابع

التعليم والهيئة العلمية والأدبية

ب التعليم والهيئة العلمية عصباً عظيم من جهود إسماعيل ، بعد تولي الحكم ومعلم

للمدارس التي أنشأها محمد علي مقفلة ، ولم يكن نادياً منها سوى مدرسة الطب والصيدلة

ومدرسة الولادة (القلات) ، ومدرسة حربية ، ومدرسة ثوبية ، ونجوى ابتدائية .

ومدرسة البحرية بالإسكندرية ، بحيث الهيئة العلمية من مرقدها ، وضع فيها روح الحياة

والشباط ، وأعاد تأليف ديوان المدارس (وزارة المعارف) ، وعهد بترتيب برامجهم أدهم

باشا الذي تولاهما في عهد محمد علي ، ووجه منه إلى إنشاء المدارس على اختلاف مراتبها

ومعها^(١)

المدارس الحربية

فأسس المدارس الحربية التي تكلفتها عنها في الفصل السادس .

المدارس العالية

وأسس عدة مدارس عالية ، اردان بها تاريخه ، وكان لما الفصل الكبير على صحة

العلمية والأدبية والفكرية التي ظهرت في عصره ، وفي العصور التي تلت ، وإليك بيان هذه

المدارس

(١) لم تراجع على الفصل من مشاهد التعليم الواقع في مصرية المخطوطات هوية على باشا مبارك . التعليم في مصر
لأهم سكر باشا التعليم العام في مصر ليعقوب أرنؤ باشا . التعليم العام في مصر للسيد تميمك

مدرسة المهندسخانة

هي مدرسة (الرى والعمارة) وسميت المهندسخانة . أنشئت بالمعاشرة سنة ١٨٦٦ بمصر الزعفران ، ثم نقلت سنة ١٨٦٨ إلى سراى دوق الجواميز (ثم إلى الخيزه) . وكان أول ناظر لها . سماعيل بك (باشا) مصطن القديكى ثم محمود بك (باشا) القديكى ثم عاد بها إسماعيل بك صديكى .

مدرسة الحقوق

هي أعظم المعاهد العلمية التي أسسها إسماعيل ، أنشئت سنة ١٨٦٨ . وكان اسمها مدرسة الإدارة والألسن ، وقد حلت محل مدرسة الألسن التي أنشئت في عهد عباس ، وسميت «مدرسة الحقوق» منذ سنة ١٨٨٦ ، كان أول ناظر لها السيوفيدال Vidal (باشا) أحد علماء فرنسا . المشرعين ، ويقع بقول نظارتها أربعاً وعشرين سنة إلى عام ١٨٩١ . وفي هذه المدرسة تخرج معظم رجال القانون الذين نبغوا في عصر إسماعيل وما يليه من المصور ، وما الفصل الكبير على نهضة القانون والتشريع والقضاء ، وعلى النهضة الأدبية والسياسية في البلاد .

مدرسة دار العلوم

أسست سنة ١٨٧٢ ، والغرض منها تخرج أساتذة اللغة العربية للمدارس الابتدائية والثانوية ، انتخب طلبتها من تلاميذ تلاميذ الأزهر ، وتولى نظارتها على التعاقب في عهد إسماعيل : حامد أفندي تيارى ، ثم محمود أفندي حورى ، ثم على بك ههسي رابعه ، ثم حامد أفندي بارى ، وقد أدب المعهد حتى أنشئت من أبنائها ، وكان من عصب كبير على نهضة اللغة والأدب العربية في مصر ، وسنعود إليها في ترجمة مؤسسها على مبارك باشا

مدرسة الطب والولادة

وأنشئت مدرسة الطب في عهد إسماعيل ، واتسع نطاقها ، وخرجت جماعة من أعلام الطب في مصر ، وتولى نظارتها على التعاقب : بروجير بك Burguere Bey ، ثم حافظ أفندي محمد ، ثم محمد على بك (باشا) البقل ، ثم محمد الشافعى بك ، ثم محمد على باشا البقى ، ثم جلياردو بك .

مدارس البنات

بدأ إنشاء مدارس البنات في مصر على عهد إسماعيل ، وهي ميزة تشهد له بالفصل في نهضة الأمة ، فقد كان التعليم النسوى يعتبر من قبل أن يحكم التعليم ، إذ لم تكن في البلاد مدرسة للبنات سوى مدرسة الولادة ، ولم يكن يتعلم فيها في الغالب سوى البنات المحشيات ، أما القتيات من سائر الطبقات فلم يكن هن مدارس لتعليمهن ، وكان الجهل يهبط عليهن ، اللهم إلا من كن يتعلمن في بيوت آبائهن وأهلهن ، وقليل أولئك .

في سنة ١٨٧٣ أسست مدرسة السويمة للبنات ، أنشأها السيدة جشم آفندى هدم ثالث زوجات الخديو إسماعيل ، وكان بها حين افتتاحها نحو مائتى تلميذة^(١) ، وبلغ عددهن سنة ١٨٧٤ أربعمائة تلميذة ، يتعلمن معاً ، فضلاً عن الإنفاق على مأكلهن وملبسهن ويتعلمن القراءة ، والكتابة ، وحفظ القرآن الكريم ، والحساب ، والجغرافية ، والتاريخ ، والتفكير والنسج ، وغير ذلك من الصناعات^(٢) وتولى نظارتها حسن أفندي صالحي ، ثم مدام روزة . وأسست مدرسة أخرى للبنات في القرية بالقاهرة سنة ١٨٧٤ ، وأنشئت سنة ١٨٧٨ .

(١) مخطوط الترويض ج ٢ ص ٤٦ - وجاء في الوقائع المصرية العدد ٥١٩ (٥ أغسطس سنة ١٨٧٣) أن عددهن حين افتتاح المدرسة ١٨٠ تلميذة

(٢) الوقائع المصرية العدد ٥٢٦ - ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٧٤

المدارس الصناعية

وأسس إسماعيل من المدارس الصناعية :

مدرسة الفنون والصنائع ، وكانت تعرف بمدرسة (العمليات) أسست سنة ١٨٦٨ لتخرج الصناع القيمين ، ومنهم مهندسو الواووات البرية والبحرية ، سواهمها ولوطفون للمبنيون مصلحة السكك الحديدية ، وتخرج منها مهندسون لصنع عربات السكك الحديدية والبواخر والآلات البخارية وتولى نظارتها السيد جيجون بك Gigion bey . ثم عيسى شاهين أفندي ، ثم عاد لنظارتها جيجون بك . ومن كبار أساتذتها إسماعيل يوشاق بك كبير مهندسي المناير بالسكك الحديدية

ويشتمل برنامجها على العلوم الصناعية والفنية ثم الفنون العلمية .

وفي السنة الأولى : يلوس الحساب ، والجبر ، والهندسة الوصفية ، والرسم ، وفي العارة ، واللغات العربية والفرنسية والإنجليزية .

وفي السنة الثانية : تدرس أنواع الرسم ، واللغات ، والطبيعة وتطبيقها على الصناعات والميكانيكا ، والجغرافية ، والمحاسبة .

وفي السنة الثالثة : تدرس المواد المذكورة مع التفرغ وتطبيق الكيمياء على الصناعات ، ورسم الآلات البخارية وتركيبها .

وكان الطلبة يمارسون بعد الظهر الفنون العملية في خمسة معامل .

أولها : معمل تركيب الآلات وتصلبها .

والثاني : معمل الحدادة

والثالث : المسك الذي كان يعرف بالدوكمجانة

والرابع : معمل الخراطيم والنجارين والعتات التي يجلب عنها

والخامس : معمل قنود القنارات الحديد والتحاس ، وفي المدرسة قسم لتعليم التلويح

بالأدب المختلفة^(١)

(١) من الرابع ص ٢٤١ (١٩ يناير سنة ١٨٧٠)

١ - مدرسة الطغرف أسست سنة ١٨٦٨ ، وألغيت سنة ١٨٦٩ ، ثم ألحقت بمدرسة

مبور وصنائع

٢ - فرقة النقاشين أسست سنة ١٨٦٩ ، وألغيت سنة ١٨٧١

٣ - فرقة عمليات مرور أسست سنة ١٨٧٠ وألغيت سنة ١٨٧٢ ، وفرقة أخرى أسست

سنة ١٨٦٨ وألغيت سنة ١٨٧٢

المدارس الخصوصية

وأنشأ من المدارس الخصوصية :

١ - مدرسة المساحة والمحاسبة ، أسست سنة ١٨٦٨ ، وتولى نظارتها نظار مدرسة

المهندسات

٢ - مدرسة اللسان المصري القديم (اللغة المبروعلية) أسست سنة ١٨٦٩ وتولى نظارتها

السيد بروكش (باشا) Bruges العالم الألماني في الآثار المصرية وألغيت سنة ١٨٧٦ .

وتشهر من تخرج من يرحى هذه المدرسة العالم الأثري الكبير أحمد كمال باشا .

٣ - فرقة الرسم بالمدارس الملكية أسست سنة ١٨٦٩ وألغيت سنة ١٨٧٩ .

٤ - مدرسة الزراعة أسست سنة ١٨٦٧ وألغيت سنة ١٨٧٥ .

٥ - مدرسة العميان والخرس ، للبنين والبنات ، أسست سنة ١٨٧٥ ، وتولى نظارتها

محمد أنسى بك لجل عبد الله أبو السعود أفندي .

المدارس الثانوية

وأنشأ من المدارس الثانوية .

١ - المدرسة التجريبية بالعاصمة أسست سنة ١٨٦٣ ، ثم حلت إلى حرب الجامع سنة

١٨٦٨ ، وعرفت بالثانوية

٢ - مدرسة رأس العين بالإسكندرية ، أسست سنة ١٨٦٣ .

المدارس الابتدائية

قلنا إن معظم المدارس الابتدائية التي أنشأها محمد علي قد أقيمت في أواخر عهده ، ولم يحد بلها في عهد عباس وسعيد ، فبدل إسماعيل جهوداً كبيرة في إنشاء المدارس الابتدائية في القاهرة وفي مختلف العواصم .

ويرجع الفضل في إنشاء هذه المدارس إلى شريف باشا ، ثم إلى علي باشا مبارك ، الذي فكر في تحويل التعليم في الكتاتيب إلى التعليم الابتدائي النظامي ، وكان عدد الكتاتيب وقتئذ نحو خمسة آلاف كتاب .

وهناك بيان ما أنشأه إسماعيل من المدارس الابتدائية :

مدرسة للتدريسيين بالعباسية أنشئت سنة ١٨٦٣ ثم نقلت إلى الناصرية ثم إلى الترية
مدرسة وأسس التبريد الابتدائية بالإسكندرية أنشئت سنة ١٨٦٣

مدرسة طنطا (بب)	أنشئت سنة ١٨٦٨
مدرسة أسيوط	أنشئت سنة ١٨٦٨
مدرسة بني سويف	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة المنيا	أنشئت سنة ١٨٧٣
مدرسة الغربية	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة البحيرة	أنشئت سنة ١٨٧٣
مدرسة البحيرة	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة باب الشرية	أنشئت سنة ١٨٧٤
مدرسة عابدين	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة مصر القديمة	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة أبو العلا بولاق (عباس)	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة السيدة زينب (محمد علي)	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة شبراخين	أنشئت سنة ١٨٧٣

مدرسة العباس	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة الجيزة	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة الإمام شاذلي	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة الحامية	أنشئت سنة ١٨٧٢
مدرسة رشيد	أنشئت سنة ١٨٧٩
مدرسة العشي	أنشئت سنة ١٨٧٩

ويضاف إلى هذه المدارس مدرسة (الصلبية) ، وقد كانت مكتباً أنشأه والده عباس باشا الأول ، وصم إلى المدارس الابتدائية سنة ١٨٧٢ ، ومدرسة قلاوون ، والشيخ صالح للشيخ ، ومدرسة محمد بك ميد أحمد ، ومدرسة حافظ باشا بالإسكندرية ، ومدرسة البرصيني ، ومدرسة رائد باشا بالإسكندرية أيضاً .
ومدرسة (خليل آغا) ، أنشأها كبير أغاوات والدة إسماعيل ، قرب المسجد الحسين بالقاهرة ، ثم انتقلت أخيراً إلى شارع الأمير فاروق .
ومدرسة القبة التي أنشأها الأمير محمد توفيق باشا ولي العهد علي . تلقت هذه الخاصة

الحفلات المدرسية

كان الخديو إسماعيل شديد الميل إلى إقامة الحفلات المدرسية التي تختم بها الامتحانات العامة في المدارس على اختلاف درجاتها ، وكان لهذه الحفلات مظهر مهم في ذلك العصر ، إذ كان يحضرها كبار رجال الدولة ، وتوزع فيها الجوائز والمكافآت على المتفهمين من التلاميذ وملتقى فيها الأساتذة وروابع الطلبة الخطيب والقضاة . فكانت هذه الحفلات من عوامل النهضة العلمية ، ويدل ذلك على مبلغ عناية الحكومة بها أن (الوقائع المصرية) وهي الجريدة الرسمية للحكومة كانت تنشر بوصف كل حفلة مدرسية وتشرك كل ما يلزم فيها من الخطب والقصاصات ، تسجيلاً لها . وتعطيها لقائليها ، ويحد في (الوقائع المصرية) بإدات مسيحية عن هذه الحفلات وأسماء من يحضرونها من رجال الدولة وأعلام الأدب والعلم في ذلك العصر ، وأسماء لأساتذة الطلبة الذين يحضرون فيها

الأزهر

ظل الأزهر الجامعة الإسلامية التي تدرس فيها علوم الدين والفقه واللغة ، وكان التحنن فيه يسج الأساليب القديمة التي درج عليها من سالف العصور .

وقد بدأت روح الإصلاح والتقدم تتمشى فيه من عهد ولاية الشيخ محمد العباسي المهدي مشيخته سنة ١٨٧١ .

وبأكورة الإصلاح فيه إنشاء نظام الامتحانات لتخرج العلماء وللدروس سنة ١٨٧٢ فقد كان للتدريس في الأزهر خلوا من القيود ، فوضع الشيخ العباسي نظاماً لامتحان العلماء ، وألف لهذا الغرض لجنة برأسته مؤلفة من ستة من كبار العلماء اثنان من الشافعية وهما الشيخ خليفة الصفدي ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفي ، واثنان من المالكية وهما الشيخ أحمد الرفاعي والشيخ أحمد الجيزاوي ، واثنان من الحنفية ، وهما الشيخ عبد الرحمن البحراوي ، والشيخ عبد القادر الرفاعي .

ومهمة هذه اللجنة امتحان المرشحين للمعالية في مختلف العلوم وإعطاء الناجحين منهم إجازة المعالية ، وكان تأليف هذه اللجنة أساس النظام الجديد في الأزهر .

وجاء السيد جمال الدين الأمانى إلى مصر سنة ١٨٧١ ، فتبع في الأزهر روح النهضة ، وحرص بنور التقدم الفكري والعلمي ، وقد بدت تلمح ظهور المدرسة الحديثة التي حمل نواها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في الأزهر وخارج الأزهر .

البعثات

أعاد إسماعيل عهد البعثات التي ازداد بها عصر محمد علي من قبل ، وأخذ يوفد الطلبة إلى مدارس أوروبا منذ سنة ١٨٦٣ ، وبلغ عددهم مدة حكمه ١٧٢ طالب ، وهو كما ترى أقل من عدد البعثات في عصر محمد علي .

وأشأ مدرسة لأعضاء الملة في باريس بدل للخدمة التي أنشأها محمد علي لهذا الغرض

وأقبلت في أواخر عهده كما بيناه ، عصر محمد علي (٥٢) ، لكن المدرسة التي أنشأها إسماعيل أقفلت بعد شوب الحرب السبعينية

مدارس الأقباط الأرثوذكس

ومشط الأقباط إلى إنشاء المدارس لتعلم أبنائهم ، ويرجع معظم الفصل في هذه البهصة إلى جهود الأنبا كيرلس الرابع بطريرك الأقباط الأرثوذكس .

فصار لهم في عهد إسماعيل نحو ١٢ مدرسة بالقاهرة ، أهمها المدرسة البطريركية الكبرى ، ومدرسة مصر القديمة ، وأخرى بالحيرة ، ومدرستان بالإسكندرية ومدرسة كاتريكة لتعليم اللاهوت واللغات القبطية والطقوس الدينية ، وتشاطوا في تعليم البنات فأنشأوا لذلك مدرستين ، واحدة عبارة السقاين ، وأخرى بالأزبكية .

وقد منح إسماعيل مدارس الأقباط مساعدات جمة أهمها أنه وهبها ١٥٠٠ فدان من نجد أطيان القطر ، ليخصص ريعها على التعلم فيها ، فكان هذا الريع يفي بمعظم ما يتفق على هذه المدارس .

المدارس الأوروبية

كثر عدد المدارس الأوروبية التي فتحتها البعثات الدينية للبنين والبنات ، وبلغ عددها في عهد إسماعيل ٧١ مدرسة^(٥٦) ، ولم تنتشر في أي عهد بثل ما كثرت في عهده .

وقد خرجت عدداً كبيراً من رجال الأعيان والمهين وموظفي الحكومة ، وخاصة موظفي البريد والمسكك الحديدية والمحال التجارية والبنوك وترجمة القنصليات والمحاكم المختلطة ، وقال كثير منهم الحمايات الأجنبية بواسطة القنصل ، فصاروا في حكم الأجانب في انبائهم للعلوم الأجنبية ، وميولهم إليها ، وعدم خصوصهم للنظم الأهلية القضائية والإدارية .

وزارة المعارف

قد رشح محمد علي باشا (وزارة المعارف) بعد أن ألقى في عهد سعيد
وما تقدمت به من تعليم حصص لدراسة المعارف سراي الأمير فاضل مدويه الجهمير
وهي سراي محمد وسيف الدين باشا ومن بعض المعاهد العلمية ، كمدارس الهندسة
ومدرسة الحقوق ، ومدرسة المساحة والمخارطة ، والمدرسة التجهيريّة ، ودار الكتب . ومن
الطبعة والكيمياء ، ومدرج المصنوعات (الاختراعات) ، فصاروا عملة الجامعة المصرية ،
وكان اختيار هذه السراي إجابة لاقتراح العلامة علي باشا مبارك حينما ولي وزارة المعارف
وتعاقب على وزارة المعارف في عهد إسماعيل الوزراء الآتية أسماؤهم

إبراهيم أحمد باشا (يناير - يوليو سنة ١٨٦٣) . شريف باشا (يوليو سنة ١٨٦٣ - أبريل
سنة ١٨٦٨) . علي مبارك باشا (أبريل سنة ١٨٦٨ - سبتمبر ١٨٧٠) . مصطفى بهجت باشا
(سبتمبر سنة ١٨٧٠ - مايو سنة ١٨٧١) . علي مبارك باشا (مايو سنة ١٨٧١ - أغسطس
سنة ١٨٧٢) . الأمير حسين كامل باشا (أغسطس سنة ١٨٧٢ - أغسطس سنة ١٨٧٣) .
مصطفى رياض باشا (أغسطس سنة ١٨٧٣ - مايو سنة ١٨٧٤) . محمد ثابت باشا (مايو
سنة ١٨٧٤ - سبتمبر سنة ١٨٧٤) . الأمير طوسون باشا (سبتمبر سنة ١٨٧٤ - أغسطس
سنة ١٨٧٥) . يحيى منصور باشا (سبتمبر سنة ١٨٧٥ - يونيو سنة ١٨٧٦) . مصطفى رياض
باشا (يونيو سنة ١٨٧٦ - أكتوبر سنة ١٨٧٧) . إسماعيل باشا أيوب (أكتوبر سنة ١٨٧٧ -
أغسطس سنة ١٨٧٨) . علي باشا مبارك (أغسطس سنة ١٨٧٨ - أبريل سنة ١٨٧٩) .
محمد ثابت باشا (أبريل سنة ١٨٧٩ - يوليو سنة ١٨٧٩)

ميزانية التعليم

كان إسماعيل يفرق بسجاء على التعليم ، فقد كانت ميزانية المعارف في عهد سعيد لا تتجاوز
سنة آلاف جنيه^(١) ، فزادها إسماعيل إلى أربعين ألفاً ، ثم بلغت كما ذكر علي باشا مبارك^(٢)

(١) الدين في ليرة - مصر الحديث ص ١٦٢

(٢) المخطوطات المرفوعة ج ١ ص ٨٩



علي باشا مبارك

دعم مهنة العلم والتعليم في عصر إسماعيل
(١٨٦٤ - ١٨٩٣)

٧٥ ج١ ، ص ٤٨٠٠٠ من وزارة المالية (الميرانية العامة) و ٢٠٠٠٠ من إيراد
مصر الوادي ، و ٧٠٠٠٠ من ديوان الأوقاف ، وكان التسم في معظم المدارس بخاصة
ثم شقت ميرانية وزارة المعارف في أواخر عهد إسماعيل بسبب الإبتكارات المالية التي
في سبب قروض ، هيئت إلى ٢٠٠٠٠ ج١

على باشا مبارك

وهم جهة العلم والتعليم في عصر إسماعيل

(١٨٢٤ - ١٨٩٣)

إن الحديث عن تقدم التعليم في عهد إسماعيل يستتبع الكلام عن العلامة على باشا
مبارك ، فإن اسمه مقرون بهذه النهضة المباركة .
في تاريخنا القومي شخصيات جيدة ، تعد أركاناً لهذه النهضة القومية ، لما لها من الأثر البالغ في
تطورها ، وتوجيها إلى مثل العليا في شتى مظاهرها ، من الناحية الأخلاقية والوطنية ، أو
العلمية والأدبية ، أو الاقتصادية والاجتماعية .

ومن واجب الوفاء لهذه الشخصيات أن نذكرها دائماً بذكر ، ونخصص لها ما هي بطيرة
به من البحث والدرس ، ولا نغفل الشخصيات الجيدة في تاريخ مصر هي كالكواكب النيرة
في سماء النهضة القومية .

وقد بذلنا ما استطعنا من جهد لدراسة تلك الشخصيات في الأجزاء الثلاثة السابقة من
تاريخ الحركة القومية ، كما عرضت المناسبة للكلام عنها ، وهنا ، لمناسبة التطم والنهضة
العلمية في عصر إسماعيل ، نرى حقاً حيناً أن نؤتي بعض هذا الواجب غير العلامة على باشا
مبارك ، فهو من هذه النهضة ، وقلوبنا النابض ، ورأسها المثير ، وهو من الشخصيات القادة
التي سطعت سطوعاً قوياً في عهد إسماعيل ، وبعد تاريخه قطعة من هذا العصر ، والمصور التي
لته ، إلى عصرنا الحاضر ، وإلى ما شاء الله

نشأته الأولى (٨)

ولد المرحوم في برنال الجديدة ، من أعمال مركز دكرس بمديرية الدقهية سنة ١٨٢٤م
(١٢٣٩ هـ) ، أبوه الشيخ مبارك بن سليمان بن إبراهيم الروسى من أهالي هذه الناحية ،
وجده الأهل من ناحية كوم بني مراس والخليج على بحر طناح . من أعمال مركز المنصورة ،
« وفشل كبير حصل في هذا البلد تشتت عائلته ، فأقام جده الأكبر إبراهيم ابروحي في برنال
الجديدة ، ونال فيها مكانة عالية ، فكان إمامها وخطيبها وقاصيها ، وبقيت هذه المكانة في
سبله ، حتى عرفت عائلتهم بعائلة المشايخ » .

ولاضطهاد وقع بأهل برنال وإرهابهم بالصرالب الشيلة هاجرت عائلة مبارك ، وتفرقت
في البلاد ، فترك والد المرحوم بعزة الحاديين من بلاد الشرقية (مركز فاقوس الآن) ، وكان
ابنه لم يبلغ السادسة من عمره ، ولم تطب لهم الإقامة في هذه البلدة ، إذ لم يلقوا فيها إكراماً ،
فارتحلوا منها إلى عرب الساعة بالشرقية ، فأحسنوا وقادة والد المرحوم ، وأكرموا مثواه ، ولم
يكن في بلدتهم فقهاء ، فحملوه مرجعهم في الأحكام الدينية ، وبنوا مسجداً جعلوه إمامه ،
ولما بدأ ينزع من الشغل التي حاناها قبل أن يهبط هذا البلد ، أخذ يسي يتدبب ابنه
وتعليمه ، وكان المرحوم قبل رحيله من برنال ، قد بدأ يتعلم القراءة والكتابة على يد رجل
ضرب من أهلها ، فلما استقر بأبيه المقام بين عرب الساعة ، أخذ يحمله بنفسه ، ثم أنسله إلى
ضيق اسمه الشيخ أحمد أبو خضر ، أصله من ناحية الكردى (وهي بلدة قريبة من برنال) ،
ثم ارتحل إلى قرية صغيرة على مقربة من مساكن أولئك العرب ، وهناك حفظ للمرحوم على يده
القرآن في ستين

وكان الشيخ يفسر في معاملته ويضربه . كما هي عادة الفقهاء والمعلمين مع تلاميذهم في
ذلك عصر . فسمع عن متاعه إقراؤه عليه ، وأبى أن يذهب إليه ، وحمل يقرأ عند أبيه ،
لكن أبناءه كان لا يستطيع الصرخ لتعليمه ، لكثرة مشغله . فترضى المرحوم في الحفظ
والد من . وكاد يسي ما حفظه ، مهم أمه أن يجبره على الرجوع إلى القفي . لكنه أبى أن

(٨) - عنده و كان معظم « الوقائع » على ما استخلصناه من ترجمة على باشا مبارك نفسه في المخطوط التوقعية ج ٩

يعود إليه ، وحديثه فيه الحرب ، لما كان يحده من سوء المعاملة ، فتدخل نسوة في الأمر ، فأبدي لهم نفوره من الحفظ ، وأعرض عن أن يكون «قريباً» ورغب أن يكون «كاتباً» لما كان يراه على الكتاب من حسن الهيئة والفرق من الحكام .

وكان لأبيه صديق كاتب بناحية (الإخوة) ، فأنطه إليه ليعلم الكتابة على يديه ، فلاتمه في داره بتعلم عنه ، ولكنه رأى منه قوة وعظمة ، وباله منه أدى شديداً ، إذ سألته يوماً عن الواحد فأجابته بالثمن ، فصره بفلاة من الصحراء ، وكان ذلك على ملاء من الناس ، فشكاه إلى أبيه ، فلم يحفل بشكايته ، فهرب ، وانتهى به المطاف إلى العودة وحيداً إلى برنال ، وهناك وافاه أخوه الذي كان يبحث عنه ، فأعادته إلى أبيه ، وقد حارط في معالجته وتعليمه ، وأبدى المترجم نقوراً من الرجوع إلى الكاتب فوالفقيه ، لما رأى منها من الإيداء والصبر

فارتأى أبوه أن يعهد به إلى صديق له من كتبة المساحي ، فرعى بذلك . ولازمه ثلاثة أشهر ، ثم انفصل عنه ، وبقى في بيت أبيه يقرأ عليه ، وبعد سنة جهه ساعداً لكتاب في مأمورية أبي كبير ، بحرب قلعه خمسون فرساً ، ولكن الكتاب لم يقضه أبجد ، إلى أن تسلم يوماً حاصل الجباية من أبي كبير ، فأخذ منه راتبه للتأخر ، ففهم منه الكتاب وأغرى به مأمور أبي كبير ، واتفق وإياه على تجنيده ، فاستدعاه المأمور واحتضنه ، ووصح لغل في حقه وليث في السجن بصحة وعشرون يوماً ، قامى فيها مر الشدايد والآلام ، ولما علم أبيه بسخنه رفع ظلامته إلى محمد علي باشا حزيز مصر ، وكان إذ ذاك في بيتا القمح ، فكتب بأعلاء سبيله ، وإطلاق سراحه ، وعاد أبوه بالأمر ليطالب من المأمور تفديده ، وقبل أن ينصر جاء السجن صديق للسجان ، وأقضى إليه أن مأمور زراعة القطن بتأدية أبي كبير في حاجة إلى كتاب ، فذه السجان على المترجم ووصفه له بالتجاجة ، وحسن الخط ، وبعد قليل جاء أمر الإفرج ، وذهب إلى مأمور الزراعة ، وكان أسود حبشياً يدعى (هنر أفندي) فأعده كاتباً عنده مقابل حراة يومية من الحيز ، وخمسة وسعين قرشاً في الشهر ، فارتضى هذا العمل ، وكانت صحافة أخلاق عبر أفندي وطنه مما رغب إليه البقاء في هذه الوظيفة

ما يؤخذ من نشأته الأولى

ب. هـ — و بناءً لترجم الأول شيء مما بلغت النظر، لكنها تصلح أن تكون صورة

مستشرق و دكتور في الآداب في رتبة

[illegible]

وهذه الشاة تطيان من جهة أخرى صورة لا كانت عليه حالة التعلم قبل أن تألف الناس المدارس الحديثة ، فإن فكرة تعلم الأبناء كانت موحودة عند الآباء الذين دلوا خطأ من العلم ، بذلك هل ذلك ميل والد المترجم إلى تعلم ابنه فقرر ما يستطيع ، لكن طريقة التعلم كانت رديئة . لا تنحرف تنمية الفكر وتهذيب النفس ، نضيقه القرية وكاتب الإحياء ، وأمثالها من الفقهاء والعرفاء ، كانوا من الجهل والقصور بحيث لا تسج التعلم على أندسهم سوى الحياة ، وبث روح الحق والخير في أخلاق الشباب ، لأن القصور والصرب بقتلاد في نفس الطميد روح الشجاعة والأخلاق الفاضلة

وليس في بشارة المترجم الأولى حالة غير عادية تجعل منه رجلاً يختلف عن معاصريه ،
وكن أمراً واحداً يلتفت النظر ، ذلك هو نغز من الذل ، وعجافاته بقوة المعلم ، فبها كان
أو كاتباً ، أفلا تراه يؤثر الهجرة على احتمال القهر والضرر ؟ ثم ألا تراه كأنما يتقدم عصره ويبد
معاصريه ، فيصطحب إلى أسلوب في التعميم يرقى من الأسلوب العتيق الذي كان مألوفاً ل
عصره .^٧

إن هذه مظاهر تدل على أن مصر لم تكن عبثاً ، بل لدل ولا تقم على العجم ، وذلك
بشيء من سمو الجنس ، لأن ، أي ابن يد على مصر عزيرة ، وعزة النفس تجمع حولاً مبطاً
من الأخلاق الكريهة ، ولا مراد في أن تلثب النفس العريضة كانت من أسباب نوع الترجيح .

سواء رضى عنه وافهون ، لاسم في طريقه ، ولم يحاور أن يصير كاتباً صغيراً ، مردوداً مثل غير أئندى . ولكن اضطر إلى ما حدث به معه . وهو شغل هذه الوصفة . بعد ذلك سنوئه كاتب خنثج بن حويج بخرم .

فقد روى عن بعض أنه لا اشتغل كاتب بغير أئندى رأى منه راحة ، وشغفه بغير معاملة . يختلف عما نفيه من كاتب أئندى كبير ، لكنه شعر بأن لو كاد غير أئندى على غرور ذلك الكاتب ، لما وجد من ينقله من قسوته وسوء معاملته ، ومن ثم المجهت نفسه إلى أن يكون بحالة لا ذل فيها ولا غشى جوانبها . كما يقول المترجم

فهذا الشعور ، هو ميمس النفس العزيزة التي تأتى الهوان ، وتصلح إلى اللذل ، وهو شعور كريم ، كان له أثره في حياة علي مبارك

ومن سوء هذا الشعور ليدعوا إلى إصجاب ، أن تتعامل من في أقبية ؟ وكيف اختص به دون أقرانه في القرية ؟ إن هذا هو سر نبوغ العظماء ، لا نجد له تحليلاً دقيقاً ، فإذا علمت بتأثير البيئة أو الوراثة ، اعترضك في هذا أن النابغة قد ينشأ وغيره من الناس في بيئة واحدة ، ومن أب واحد . وأم واحدة ، ومع ذلك يفرق بالنبوغ دون قرائنه وأخوته .

قد يكون السرفى النبوغ هو الاستعداد القطرى للنبوغ ، يولد مع صاحبه ، أو هو الإلهام الذى يودعه الله نفس النابغة ، أو هو التوفيق والعناية الإلهية . لك أن تفسره بمعنى من هذه المعانى ، أو بها كلها مجتمعة ، ولكن عليك أن عصب عصباً لتغير الوسط والوراثة ، فلا شك أن علي مبارك قد اقتبس شيئاً من أخلاق أبيه ، فقد كان جده الأكبر رجلاً عظيماً مكرماً ، تولى بلدة برنال ، ولم يكن من أهلها ، فصار إمامها وخطيبها وقاضيا ، وبعد وفاته بقيت هذه الوظيفة في نسبه ، طبقة بعد طبقة ، فلم يكونوا على أخلاق نسبه ، ونفوس طيبة ، لما احتفظوا بهذه المنزلة ، حتى صارت عائلتهم تعرف بمخالفة المنايا .

وكذلك لما هجر أبو المترجم ناحية برنال ، وورد قرية السباحة ، احتفظ بعزة النفس ، ونال من أهل تلك القرية مكانة ممتازة ، أدركها بطمه وصفه . وإتاك لتلمع عزة نفسه من كونه لم يطق صبراً على اعتقال أبه ، وذهب إلى منيا التمتع ، حيث كان عزيز مصر . محمد علي باشا ، وزعم إليه ظلامته ، وشكا إليه ما حاق بابه من السجن . فالتشكى من الظلم ، واستصراخ ولي الأمر ، من الأمور التي تحتاج (في ذلك العصر) إلى شيء من المرأة والشجاعة ، فكلم من المظالم كانت ترتكب ، ويستسلم لها القاصرون ، وإذا حلتهم أنفسهم

بالتشكى منها ، فقد تمهرهم الشجاعة إلى إبلاغه لأكثر رأس في الحكومة فأعلب الظن أن المترجم اقتبس عن أبيه تلك النفس العزيزة . وهذا يصلح أيضاً سبطه لوالده المترجم . الشيخ مبارك بن مبارك بن سلطان بن إبراهيم الرواحي .

نشأته الثانية في المدارس النظامية

إن طموح مصر على مبارك إلى العمل هو الذى سلك به سبيل المدارس النظامية ، ذلك أنه حينما اشتغل كاتباً عند غير أئندى ، أئندى سأل ورش نامور عن أخبار سيده وأسياس بلوغه هذا المركز المتأخر في الحكومة ، وكان يدهشه أن غير أئندى ، وهو أسود حشى ، يصل إلى هذا المنصب ، حين كان يعتقد أن الحكام لا يكونون إلا من الأتراك على حسب ما جرت به العادة في تلك الأزمان ، فلم من القراش عن سبب ارتفاعه أنه كان يشتري سيده من دوات المكانة والجاه ، فأدخلته مدرسة . فعنى العيب . إحدى المدارس النظامية التي أنشأها محمد علي باشا ، فعمل فيها وتخرج منها ، وصار أهلاً للمركز الذى يشغله ، وعلم أن الحكام يؤخذون من حرمي هذه المدارس .

فما استمع المترجم لهذا الحديث ، مالت نفسه إلى دخول تلك المدارس ، ليصل إلى ما وصل وإلى غير أئندى ، وأخذ من تلقاه نفسه يسأل عن السبيل إلى دخول المدارس النظامية ، وسأل القراش : هل يدخلها أحد من الفلاحين ؟ فقال يدخلها صاحب الوسطة . فتلقت نفسه بالسبيل لدخولها . واحترم ترك العمل الذى كان يشتغل به ، والذهاب إلى مصر ليلتحق بمدرسة قصر العيني .

دخوله مدرسة عيت العرب

وما عالجها هذا العزم حتى أصر على إتقائه ، دون أن يكشف أحداً ، فطلب الإذن من رئيسه بإحاره بعصبيه في زيارة أهله ، فأذن له بخمسة عشر يوماً ، وسافر إلى وجهته ، وفيها هو سير في حريمه مر بمرارة بني عباس . وثمن جماعة من الأطفال . سمع رجلاً حاداً ، وكل منهم يحمل دواة وقلماً ، فاجتمع بهم تحت شجرة ، وتعرف حالهم ، فإذا هم تلاميذ

(٩) مركز معيا الآن : قبل أن يقيم بشرى

مكتب ميت العز ، أحد المكاتب التي أسسها محمد علي باشا ، وكان ذلك قالاً حسناً للترجم ، كما يقول من نفسه ، إذ أنه اجتمع بالأطفال ورأى احتياط خطه أن يحد من حظوظهم . رغب إليه أن يدخل مكتب ميت العز ، وأقنعته أن يجيء المكاتب ينتقلون إلى المدارس دون واسطة ، فابيح المترجم هذه الفكرة ، إذ وجد فيها بغيته التي يتشدها ، ولم يكن أحب إلى نفسه من أن يسلك سبيل الدخول إلى المدارس ، ويحاذ تلك العقبة التي أشد إليه فراش الأمور في حديثه له . وهي « الوسطة لدخول المدارس » ، ورأى أن الاجتهاد في المكتب سيميه عن تلك الوسطة التي قد لا يجدها

دخل المترجم مكتب ميت العز ، وناظره من معارف أبيه ، وكان يعلم أن دخول أبيه المكتب لا يرضيه ، فأراد أن يصرفه عن دخوله ، ولكنه رأى منه إصراراً على حزمه ، فبقى بالمكتب خمسة عشر يوماً ، وأرسل الناظر إلى أبيه ، فجاء يسعى لإرجاعه عن عزمه ، فأبى ، فلجأ إلى حيلة بترعه بها من المدرسة ، فاتفق مع الناظر على أن يشر القرصة في خروج أبيه وإلى الفسحة وقت الظهر ، فاعتطفه وعاد به قسراً إلى بيته ، وجبه في البيت عشرة أيام ، وأخذت أمه تكي وتستطفه ليرجع عن حزمه ، كي يبقى بينهم ولا يفارقهم ، فوجدتها بالبقاء ، ولكنه أسرى نفسه أن يفتح أقرب فرصة لفراق لعله وذويه ، والرجيل في طلب العلم ، وانتظر حتى أطمأنوا إلى دخوله عن فكرته ، ولا كانت إحدى الليالي تريض حتى تلوا جميعاً ، وأعد دولته وأدواته ، وخرج من البيت خائفاً يترقب ، وتوجه للقاء ميت العز ، وكان ذلك - كما يقول المترجم - آخر عهده بسكنائه بين أبيه ، وكانت ليلة مقمرة ، فمشى حتى بلغ ميت العز ضحى القند ، ولم يشر الناظر إلا وهو داخل للمكتب مع زملائه التلاميذ ، وكأني حسني أن يحيى أبيه ويحتال عليه لاعتطاه ثانية ، فقم المكتب ، لا يخرج منه ليلاً ولا نهاراً ، وجاء أبيه غير مرة ليقتنه بالدخول من حزمه ، ويأخذ بالحسنى ، فلم ينتجع في مساعده ، واستمر الفلام ملازماً للمكتب . مكثاً على الدرس والتحصيل

انتقاله إلى مدرسة (قصر العيني)

بقى المترجم في مكتب ميت العز إلى أن جاء ناظر مدرسة الخانكة (عصمت أفندي) لاختيار بحباء التلاميذ من المكتب المذكور ليلتحقوا بمدرسة قصر العيني ، فكان التلميذ علي مبارك ممن وقع عليهم الاختيار ، فجاء أبيه يحاول من جديد صرقه عن الذهاب إلى المدرسة ،

وشكا أمره إلى عصمت أفندي ، فأحاله على أبيه ، وقال إن الخيار له ، فخبروه به لعودة مع أبيه أو الالتحاق بالمدراس ، فاختار المدارس ، صكى والده بكاء كثيراً وأغرى به جماعة من المعلمين يستميلوه ، فلم يصع لهم ، ودخل مدرسة قصر العيني سنة ١٨٣٦ ، وكان لا يتجاوز يومئذ الثانية عشرة من عمره

وهنا تبدو ظاهره جديدة في شخصية المترجم ، إلى جانب ما ذكرناه عن حزمه نفسه ، وطموحه إلى المعالي . وهي ميله المفرى إلى العلم ، وشغفه بالأرتواء من مبه العبدية ، وما عطر عليه من قوة الإرادة ، ومضاء العزيمة .

فانظر إلى مبلغ حبه للعلم ، والتعلم . تجده يسعى جهده للالتحاق بالمدراس ، رغم إرادة والده ، وليس من المؤلفين بين الأطفال والشبان أن يقبلوا على العلم بوارع من أنفسهم ، بل يأوهم هم الذين يدفعونهم إلى دخول المدارس ويرغبونهم بمختلف الوسائل في متابعة الدرس ، وكثيراً ما يتصب الآباء في إيلاف أبنائهم للمدرسة والإقبال عليها .

فالفلام الذي يتعلق بدخول المدارس رغم إرادة أبيه ، ويستهدف لنفسها في هذا السبيل ، لابد أن يكون قد رسخ في نفسه شغف شديد العلم والتعلم .

وتحلى أيضاً قوة عزيمة المترجم ، في إصراره على دخول المدارس ، رغم تلك العقبات التي اعترضته ، من إعصاب والده ، إلى بُعد الشقة ، ووجود الطريق ، إلى قلة ذات يده ، إلى صغرمته ، إلى المفارقة بنفسه في حياة مجدها ولا يعرف مصيرها ، كل ذلك بدل على حظ عظيم من صدق العزيمة وقوة الإرادة .

هجرة النفس ، والطموح إلى المعالي ، وحسب العلم ، وقوة الإرادة ، هذه هي الصفات التي تطلعت بها شخصية علي مبارك وهو بعد في سن الطولة والمراهقة وسرى كيف لازمه هذه الصفات في كل أدوار حياته ، فكان ما ذلك لأثر العظيم في أعماله

التعلم في مدرسة قصر العيني

لم تكن مدرسة الخانكة قد نقلت بعد إلى قصر العيني ، حينما جاء مصر علي مبارك ، بل كانت لم تزال بأبي رحيل . أما المدرسة التي كانت بقصر العيني وقتئذ (سنة ١٨٣٦) فهي مدرسة إعدادية للمدارس الحربية والعالية .

والحساب والبحر . ويزدها كالظلام . وكلام المدرسين فيها كالسحر . ولكن إبراهيم بك
رف أوصح للتلاميذ معاني الهندسة ولقواعد أسلوب تفكير عقولهم . فافتتح محسباً به
ذهن المترجم . وبدأ يحيى ما يسمع من الدروس .
ونمت نجاح التلميذ على يدرك نظر رأتك بك ، فصار يضرب به أمثالاً ؟ ويحفل لجاحه
على يده دليلاً على تأثير أسلوب المدرس في تثقيف أذهان التلاميذ
ول سنة ١٨٣٩ اختار ولاية الأمور بجاء مدرسة في زحيل لإحياء مدرسة الهندسة
ببولاق ، فكان على ما ذكره ضمن هؤلاء

دخوله مدرسة الهندسة

دخل مدرسة الهندسة ، وكان حينئذ يافعاً ، إذ بلغ السادسة عشرة من عمره ، فأخذ
بمضجته العلمية يزدهد ويسمو ، ومكث خمس سنوات يتابع الدرس ، حتى امتكّل جميع
علوم المدرسة ، وظهرت عليه مخايل الذكاء والتقدم منذ دخلها ، فكان دائماً أول رفته ،
وأستاذته فيها طائفة من علماء الرياضيات ، ممن علا ذكرهم في فجر النهضة العلمية . أمثال :
محمود باشا الفلكي ، وطال أفندي ، ومحمود بك أيمن . ودقه أفندي ، وإبراهيم بك
رمضان ، وأحمد بك فايد . وسلامه باشا إبراهيم . وناظر المدرسة المسؤول أمير بك أحد علماء
الترنيس . ولغزاة الأستاذة فضل كبير على المترجم ، إذ تلقى على أيديهم العلوم الهندسية
والرياضية ، ولم تكن ثمة كتب مؤلفة في الفنون التي تولوا تدريسها ، بل كان المعلمون يملون ،
والتلاميذ يكتبون ، يسمونه في كراريس . كل على قدر اجتهاده ، وكان المعلمون كما شهد لهم
بذلك المترجم ، ويدلون غاية جهدهم في العلم ، وفي آخر عهده بمدرسة الهندسة أخذوا
يطبعون الكتب في مطبعة الحجر ، فاستعان بها التلاميذ ، إلى أن تكاثرت طبع الكتب المطولة في
العلوم والفنون الرياضية

انتظامه في صلك البعثات سنة ١٨٤٤

بعدت البعثات العسبة المدرسية في عهد محمد علي باشا ، وقد تكلمنا عنها تفصيلاً في
كتابنا « عصر محمد علي » (ص ٤٥١ طبعة أولى) .
ونخرج من البعثات طائفة من التلاميذ في عصر محمد علي ، واسماعيل . ومن حسن توفيق

سبب مترجم التعليم في تلك المدرسة ، ويؤخذ من وصفه أنه لم يكن على درجة حسنة
من ... لا من جهة مستوى التعليم في ذاته ، ولا من جهة معلمة التلاميذ ، فقد ذكر أنه
... على خلاف ما كان يصير . وأن مدرسيها وزملاءها كانوا لا يحسنون فهم
... ولا يعنون بالتلاميذ ، وكان تعليم العسكري موصغ العناية فيها ، فيتمرن الطلبة
... الحرية في معظم الأوقات . في الصباح ، والظهر ، وبعد الأكل ، وفي أماكن
... الصرب وأنواع الإيداء من الأمور المألوفة في التعليم ، وكذلك قلة العناية بمأكّل
... فكانت مفروشاتهم حصر الخلفاء ، وأسمه الصوف المليظ من صبح
... ولم يكن الأكل الجاري للتلاميذ سائماً ، فاستأضه عنه على مبارك بالجبن
و...

بعد اهتداء في المدرسة مرض ، لما اجتمع عليه من الأفكار والمفاهيم وتغير الطقس ، فقتل
... مستشفى المدرسة ، ولقي في مرضه الشلل والالام ، ولحقه الجوع بالمشقة ، وفيما كان على
... جاء أبوه إلى قصر المعين ، واتصل به بواسطة أحد للمرضى ، ورغب إليه أن
يوجد معه إلى بلده ، فالتفت عنه لإجابته . وهم يترك المدارس ، لما لقيه فيها من التعب
وحسب . ولعدم وجدانه التعليم الذي يشده ، ولكنه حتى حوالت اهرب من المدرسة ،
... كانت الحكومة تتعقب المخرجين من التلاميذ ، وتحتفل فطيم ، وتسيء معاملتهم . فغشى
... بأن أباه من تحت الحكومة ما لا يرضاه له ، فامتنع عن الحرب ، فعاد أبوه الكرة يستميله
... وتوالت عليه الأمر ، فأبى واحترم الصبر على قضاء الله . وما شئ انتقل من المستشفى إلى
... واستأنف الدرس ، ولم يصب بمرض بعد ذلك قتله دواسته

انتقاله إلى مدرسة أبي زحيل

لما نقلت مدرسة الطب إلى قصر المعين سنة ١٨٣٧ تحول تلاميذ القصر إلى أبي زحيل
... لها المترجم كإشراف تلاميذ المدرسة
... بعد شمر بظن مستوى التعليم في مدرسة أبي زحيل . ونسب المترجم هذا التقدم إلى
... ناظر المدرسة ، وهو المرحوم إبراهيم بك وأفت . وحسن عناية بتعليم النشء .
... ذكره في هذا الصدد ، أنه كان في بداية عهده يجد صعوبة كبيرة في فهم فنون الهندسة

المترجم وحسن استعداده أن انتظم في سلك البعثة الخامسة ، وهي أكبر البعثات شأنًا ، وفيها بعض أبنائ محمد علي وأسماءه ، ولذلك سميها علي باشا مبارك (بعثة الأبناء) .

قول القائد سليمان باشا الرساوي اختيار أعضاء هذه البعثة من بواب طلبة المدارس العالية ، فكان التلميذ علي مبارك - حينئذ - لما من مقبلي مدرسة الهندسة ، وبلغ عددهم في حينها ٧٠ تلميذًا ، منهم الأمير عبد الحليم ، والأمير حسين من أبنائ محمد علي ، والأمير أحمد وليد ، والأمير إسماعيل (الخديوي) من أبنائ إبراهيم باشا ، وصعدت طائفة ممن شذبوا المراكز الكبيرة في الحكومة بعد عودتهم ، أمثال شريف باشا ، وعلي باشا مبارك ، وسجاد عبد العاطي باشا ، وسيدان نجاشي بك وغيرهم (١٠١) .

وقد بدأ من المترجم التحاقه بهذه البعثة ، ما غطر عليه من الليل لشديده إلى العلم ، فإن المير لأمير بك ناظر مدرسة الهندسة رغب إليه البقاء ليجعله مدرسًا بها ، وأفهمه أن يقامه بجعل بترتيب وعظيمة له ، على حين أن التحاقه بالبعثة يحبطه باليًا في سلك التلاميذ ، وفوت عليه تلك الخربة ، لكنه أثر الالتحاق بالبعثة ، ليردها اكتسابًا للعلوم ، ولأن سفره مع الأبناء يريده شرفًا ووضعة .

سافرت البعثة إلى فرنسا سنة ١٨٤٤ ، ووجهتها تعلم فنون الحرية ، وأنام أعضاءها ستنين بباريس ، ولأحظهم أنشئت بها المدرسة المصرية لتعلم الطلبة اللغة الفرنسية ، وإعدادهم لدخول المدارس العليا بفرنسا ، وخصص لهم بها المعلمون والضباط الفرنسيون ، وكان تلاميذ البعثة يتعلمون التعليمات العسكرية كل يوم ، ولحق المترجم في دراسة اللغة الفرنسية مصاحب جمعة ، ظلها بقوة العزيمة ، فقد كان إلى عهد انتظامه في البعثة غير عارف بتلك اللغة ، شأنه في ذلك كشأن العلامة رفاعة بك رافع الطهطاوي حينما انتظم في البعثة الأولى ، وانقضى نظام التعليم في البعثة أن يعمل من المتعلمين في الرياضيات (وسهم المترجم) والعلمين باللغة الفرنسية فرقة واحدة ، وكلف المعلمون أن ينفروا الدروس بالفرنسية للجميع ، لا فرق بين من معهم تلك اللغة ومن لا يفهمها ، فعملوا ، وأحالوا غير العارفين بها على الطرقي ليتعلموا معهم بعد انتهاء الدروس ، ولكن العارفين بالفرنسية كانوا يحطون على مثل علي مبارك بالتعليم ، ليبردوا بالتمدن .

لمكث المترجم مدة لا يفهم الدروس التي يسمونها ، وشغلي العاقبة . فعالج هذه

(١٠٠) ذكرنا أسماءهم وترتيب تدرجهم في كتاب : عصر محمد علي ، ص ٢٦٥ وما بعدها

الصعوبة . بالصبر والمثابرة ، وفوة العزيمة ، ذلك أنه أخذ يدرس العربية بنفسه ، ورسى لهذا الغرض الكتب الأولية في المجامع واللغة ، وأكسب على مطالعته ونمسه وحفظه . وبدء في هذا السبيل جهداً لا يقطع ثلاثة أشهر متوالية ، مع متابعة الدروس حتى تلقى بالفرنسية ، فأتمر الحفظ واجهد ثمرة كبيرة ، وصار أول البعثة كلها ، وكان يتبادر إلى ذهنه مع اسمه علي إبراهيم وسجاد عبد العاطي

ولما جاء إبراهيم باشا قائد الجيوش المصرية المظفرة إلى باريس ، سمع به احتفال حافل ، وحضر امتحان أعضاء البعثة ، فسمع ثناء مستطاباً على حسن إجادتهم ووزع الجوائز بنفسه على الناجحين منهم . وناول علي مبارك الخاتمة الثانية بيده ، وكاتب نسخة من كتاب في الجغرافية ، المؤلفه للسيد مالطرون ، مع مجموعة خرائطه ، ودعا الطلبة إلى تناول الطعام على مائته ، فكان ذلك تكريماً لهم وتشجيعاً ، وسخاً لهم على متابعة الدرس والتحصيل .

ينجلي في هذه الصفحة من حياة المترجم بباريس ، مبلغ قوة إرادته ، ومثابرته على الدرس والتعلم ، ونقطة ظاهرة أخرى ، تزين هذه الصفحة ، وهي يره بوالديه ، وحذوه عليها ، فقد أجرت عليه الحكومة مرتباً شهرياً قيمته خمسون ومائتا قرش ، فجعل نصيبها لأهله ، يصرف لهم من مصر كل شهر ، ويكون حويلة نصف الآخر ، وكانت هذه مت معهم منذ دخل المدارس .

وهذا البر بالأبوين يدل على ما تجملت به نفس علي مبارك من الوفاء ، ومكارم الأخلاق ، وإنكار الذات ، ولا شك أن هذه المزايا لا يزين شخصية المترجم ويزيدها سطوعاً وبهاء .

التحاقه بمدرسة متر الحرية

ولما انقضى عامان على إقامة البعثة بباريس ألحق الثلاثة الأول من أعضائها ، وهم علي مبارك ، وسجاد عبد العاطي ، وعلي إبراهيم ، بمدرسة المتعة والهداة الحرية - سهره مر Metz ، وندوا رتبة الملازم الثاني في الجيش الفرنسي ، فأقاموا ستنين آخرين يتعلمون الفنون الحربية

وبعد أن أدوا الامتحان الباقى ألتحقوا بالجيش الفرنسي ، فكان علي مبارك في الألباني

من فرق الهندسة الحربية ، وقضى به أقل من سنة ، وينبغي أنه اكتسب بانتظامه في هذه فرق حرة كثيرة ، في الفنون الحربية والهندسية ، فزادت معارفه التي نالها في مدرسة الهندسة بولاق ، ومدرسة باريس ، ومدرسة متر الحربية والهندسية ، فلا غرو أن صار من رابع المهندسين المصريين ، وظهر نبوغه في إدارته مصلحة السكك الحديدية ، وولايته وزارة الأشغال في عصر إسماعيل

وكان إبراهيم باشا يرغب في أن يرداد أعضاء البعثة حرة وعساً وأن يطبقوا مكنبه في الخدمة العسكرية بفرنسا ، حتى يستوخوا تجارباً ، ثم ينتقلوا في الديار الأوروبية الأخرى ليطبقوا العلم على العمل ، ويشاهدوا ما فيها من المنشآت الهندسية والحربية ، ولكن اللبنة حالت دون إبعاد هذا المبرمج ، إذ توفي إبراهيم وتخلقه عباس الأول ، فطلب إلى نواب البعثة العودة فوراً إلى مصر ، فرجعوا إليها سنة ١٨٥٠ ، وانتقل للترجم بذلك من حياة التحصيل والدراسة ، إلى دور العمل والإنتاج

عمل المترجم في عهد عباس

عاد المترجم كامل التصريح ، واسع الإطلاع ، صادق المرم ، مقبلاً على العمل بكل ما فيه من نشاط وحمه ، ولو وجد من ولاء الأمور من يستثمر مواهبه وكفاءته في النروض بأعمال التقدم وال عمران ، لظهرت نتائج هذه المواهب حين هودته إلى مصر ، لكنه لم يجد من يقدر قوته ، ويستثمر كفاءته ، فالتفصى نحو أربعة عشر عاماً ، والبلاد تكاد تحرم من أهله المنتجة ، وخاصة في عهد سعيد الذي كان يسخه حقه ، ولا يعرف قدره . ولم يبدأ عهد إنتاجه الكبير إلا في عصر إسماعيل الذي عرف كيف يوجه هذه القوة إلى إحياء النهضة العلمية في البلاد

تعيينه مدرساً بمدرسة طره الحربية

كان أول مركز شغل على مبارك بعد هودته لمصر أن عين مدرساً بمدرسة طره الحربية ، ولكن التعليم في عهد عباس الأول كان مصحلاً بالجمود والإهمال ، فتناقص عدد التلاميذ في هذه المدرسة ، وخاصة حيناً أنشأ عباس مدرسة القرورة ، واختار لها الطلبة من جميع

المد من بعده ، معصبه ، هم من مدرسة طره إلا عدد قليل من الطلبة المتقدمين في العلم ، وأصبحت مدرسة في ساجر حتى لم يس في معرفة التي يلقى فيها على مدار دروسه سوى نسبه واحد . صدر بمرجه در بلا عذر . وبس هذا مما تميل إليه نفسه ، لأنه اعتاد الحد والنداب على العمل ، وبعد حديثه عنه ، يحلف عن مدرسة في بحلة ليزور أهله بعد عسه الطويلة عيه . فرغب إليه ، صدر مدرسة في بقاء حتى لا يقطع صلب رايه إذ هو عاب عيه

مصاحبته سليمان باشا الفرنساوي

وسعى له الناظر عند اجترال سليمان باشا الفرنساوي القائد العام لجيش المصري ، يصطاحه في مهمة حربية وهي اكتشاف عمرة لميرة وسواس مصر الشمالية ، فم له ما أراد وصحب المترجم سليمان باشا إلى دمياط ، وأدى ما كان مطلوباً منه ، وهو ارتداد بحيرة المترة ، وحفظ رسماً موصلاً لموقعها ، وكنت تقريراً عنها ثم ذهب إلى بلدته برنال ، وكان أهله قد رجعوا إليها منذ مدة واستقروا بها

زيارته لأهله

تدخل البلدة ليلاً على حين غفلة من أهلها ، وذهب من غوره إلى منزل أبيه ، وطرق الباب ، وكان أبوه غائماً بمصر ، ولم يكن بالدور سوى والده وبعض إخوته ، وكان قد فارى أنه منذ أربع عشرة سنة . ولم تكن تتوقع حصره تلك الليلة ، فلما طرق الباب ، قبل من أنت ؟ فقال . ابكم البار ، فقامت مذهوشة ، وقصصت إلى ما وراء الباب ، وحصلت تنظر وتحن النظر ، لتتحقق الخبر ، وكان هو برداله العسكى ، متقدماً سيفه وحاملاً شعار مصر . فم بعد في أنه هو ، حتى أعادت سؤاله وتحققت أنه هو ، ففتحت الباب ، وحال ربه حتى رمت عنه دمه . ووقعت معش عيه من دمه وخرج واستر . ثم ردت وحسب بيكي . وبحثت . وترعد ، فأقبل أمه بيبي . وجاء لأقارب وأخيار برعون . وملازيمه مدر . وعصى بين حتى الصباح . والنس بين رائج وفاد ، يجشون لهته . ومب أنه لأه . بهجاً عوده بها عريز ، ولطوفه هذه العالية . وبعد يومين فصاح

من أهله وعشيرته ، عاد إلى دسباط ، وعرض على القائد سليم باشا الفرنسي نتيجة تجواله في بحيرة المنزلة ، فوقت عنده موقع الاستحسان ، وأثنى عليه التناء المستطاب

التحالف مع جمعية عباس باشا

وفي أثناء صحبته سليمان باشا الفرنسي سعى له في منصب آخر بدلاً من التدريس في مدرسة طره ، فتمجح في إقناعه بجمعية جاليس بك قومندان الاستحكامات ، وكان مقره الإسكندرية

فذهب إليها المترجم ليتسلم منصبه الجديد ، ولكن عباس باشا قرر أن يلحقه بجمعيته هو وحده بك ، وعلى بك إبراهيم . وكلفهم إمتحان مهندسي الأقاليم ومعلمي المدارس ، وأنتم عليهم بركة الصاخر ، فأدى المترجم هذه المهمة ، واستبدل بالمهندسين القدامى مهندسين أكفأه من غربيي مدرسة المهندسخانة ، وأنتم في خلال ذلك نهضت أخرى هندسية ، إذ أُحيل عليه الكشف على شلال أسوان لدرس مشروع تسهيل الملاحة فيه ، فقدم تقريراً وافياً بهذا المشروع

ولما عاد إلى القاهرة عهد إليه عباس بالاشتراك مع المير موجيهل بك Mougel كبير مهندسي القناطر الحربية وضع نظام لمرور السفن من القناطر في كان يتأوها قد قارب إتمام ، فأدى هذه المهمة ، وأحيلت عليه وعلى زميله على إبراهيم وحده عبد العاطي كل الأحوال المختصة التي تعالجها دواوين الحكومة .

مشروع تنظيم المدارس

وشرع عباس في وضع نظام جديد للمدارس ، بعد أن ألقى معظمها ، في أواسط سنة ١٨٥١ عرض عليه المشير لاميير بك ناظر مدرسة المهندسخانة مبرية للمدارس الملكية والرسدخانة تبلغ ٢٠,٠٠٠ كيس (٩٠٠,٠٠٠ جنيه) . فاستكثر عباس هذا المبلغ ، وأحال لمشروع على المترجم ، فوضع للمدارس الملكية مبرية تبلغ خمسة آلاف جنيه ، على أن تكون في مكان واحد ، وبإدارة ناظر واحد ، واستجد الرسدخانة من المشروع ، لعدم وجود من يقوم عليها حتى القيام ولكنها عقابها

مظارته لمدرسة المهندسخانة

ولما عرض المشروع على عباس حاز إعجابه ، وأحال على مجلس مؤلف من رؤساء اندواوين ، بحثوه وأقرره . وأنتم على المترجم لهذه المناسبة برتبة أميرالاي . وعهد إليه بتعديده ، وجعله ناظراً لمدرسة المهندسخانة وما ينشأ بها من المدارس الملكية ، وكلفه اختيار مدرسي مدرسة الخروزة ، ووضع نظام للتعليم فيها ، واختيار ما يلزم لها من الكتب ، فاضطلع بهذه المهمة ، وعظمت منزلة عند عباس باشا

وبذل جهداً عظيماً في تربية شأن المدارس التي تولى إدارتها ، فكان يرشد المعلمين إلى خير الطرق للتدريس ، ويضقد فصول الدراسة وأحوالها ، ويقوم بتأليف الكتب المدرسية بنفسه ، يعاونه بعض المعلمين ، وأنشأ مطبعة حروف ومطبعة حجر طبع فيها للمدارس الحرية وألأيات الجيش نحو ستمين ألف نسخة ، من كتب متنوعة ، غير ما طبع في كل من مطبعة الحجر للمهندسخانة ، من الكتب ذات الأطلس والرسوم ، وكان فوق ذلك يلقى بعض الدروس ، كالعليية والعارة ، ويحفي شديد العناية بتوفير حاجات الطلبة في مأكلهم ، ومشربهم ، وملبسهم ، ويسهر على حسن معاملتهم ، فارتقت حالتهم الفكرية والمعنوية ، وكاد يمتنع الغرب والسجن من المدارس .

في عهد سعيد باشا اشتراكه في حرب القرم

يؤخذ مما كتبه المترجم عن نفسه أنه لم يكن مريضاً عنه من سعيد باشا ، فقد ذكر عنه أنه لما تولى الحكم وشق له بعض الكاشحين بمدرسة المهندسخانة ووصفوها بما ليس له نصيب من الصحة ، واحتقروا عليها معائب كثيرة ، حتى أوعروا صدر سعيد على المترجم فأمره بالاشتراك في حرب القرم سنة ١٨٥٤ ، صحة الحملة المصرية التي كان يقودها أحمد باشا المنكل وليس من صبر على الحكومة إذا عهدت إلى مثل حل بك مبارك أن يشترك في حرب القرم . فقد نال حظاً كبيراً من التعليم الحربي ، ونجرح في أرقى للمدارس الحربية الفرنسية ، ولكن ملاعبات هذا العمل تقل على أن الغرض منه لم يكن الاستفادة من خبرة المترجم ،

د لم يجهد إليه في حرب القرم بعمل حرى دى شأن ، نحر من أجله مدرسة الهندسة كفاءة تالها القدير ، ومن جهة أخرى فقد اقترن تكليفه مرتبة الحملة بإلغاء مدرسة الهندسة ، فالمرص الحقيقى كان يدى إبعاد المترجم ، وإقتال هذا للمعهد العلمى العجم الذى أخذ على عاتقه تربيته وإحصاه ، فالعمل كما يرى ضرره أكثر من نفعه ، وشبه أكثر من حبه . ولكن أهواء سعيد باشا (وقد كان دائماً كثير التغلب فى الآراء) جعلته يصغى لوشاية الدسائس ، ويوصد أبواب تلك المدرسة ، ثم يحرم البلاد خطرات على بك مبارك العلمية . ذلك أن حل مبارك ، وإن كانت دراسته العليا عسكرية ، لكن نفسه المجهت إلى ناحية أخرى غير الحياة الحربية ، وهى ناحية التعليم وتنظيمه واليهوض بأبعائه ، فكان واجباً على سعيد باشا أن يستخدم مواهب المترجم فى هذا الميثل ، وأن يعمل على الأمل للمحافظة على نهضة العلم والتعليم التى ازدهرت فى عهد أبيه ، ولكن المعروف أن هذه النهضة قد انصهرت وتراجعت فى عهد عباس وسعيد ، ولم يعاودها نشاط والحياة إلا فى عصر إسماعيل . ويستناد مما ذكره المترجم أنه شعر بأن تكليفه مهمة السفر إلى بلاد القرم كان مقصوداً به إبعاده ، والكتابة به ، وهذا مفهوم من قوله : « قلت بهذه السفرة قريباً من مستين ونصف » . وقد لطف الله لى وأحسن إلى .. ورد كيد الحاسدين فى مخروم ، فإن وإن قامت فيها مشاق الأسفار .. وما يلحق المحامدين من الإرجاف والاضطرابات ، والحرمان من المألوفات ، لكنى رأيت بلاداً وعوائل كنت أعجلها ، وعرفت أناساً كنت لا أهرقهم ، وكتبت فيها معرفة اللغة التركية ، فيؤخذ من ذلك أن كمة حاسدين كانوا يكيدون له ، ومن مكائدهم أنهم دبروا أمر إبعاده إلى بلاد القرم ، وإرساله إلى ميادين الحروب المحفوفة بالمكاره والأخطار ، ولكن الله لطف به إذ رد كيدهم ، وعاد من الحرب سالماً وقد نال مرابا حمة والواقع أنه أعاد كثيراً من هذه الحملة ، فإن الاشتراك فى الحروب من شأنه أن يقوى فى النفس روح لشجاعة والإقدام ، ولو اشترك المترجم فى اقتحام اعاطر ، وإبقاء فى خط النار ، فكان أثر هذه الحملة فى نفسه أقوى وأعظم ، ولزاد حظه من الشجاعة والجرأة . ولوقف من الحكومات المتعاقبة التى تولت الحكم فى مصر مواقف أعظم شأناً من خطة الذين والمسلة التى اختطها لنفسه ، ومهما يكن من الأمر فلا نزاع فى أن مداركه قد اتسعت وخبرته قد اكتملت فى تلك الحرب

أقام المترجم عشرة أشهر فى بلاد القرم ، وكان يجهد إليه أمر المناوشتات والمخاطر بين

روى ونحر . وأقام عليه شهر آخرى فى بلاد الأنصارى ، أغلبها فى مدينة (كومشخانه) . وكان سعيد باشا يسهر على الجند من مدينة طرابزون الواقعة على البحر الأسود . إلى مدينة رضى روم دارم . وعن . هذه المهمة ليست من صروب القتال العلمية . فقد لاقى فيها شدة ولاهول . شدة برد . وكثرة الثلج فى تلك الجهاد ووعرة صرورها . وصعوبة حثار ما فيها من العقبات . بين جبال شديدة وأودية شحيقة . وقد مرض كثير من جنده من أصداهم من البرد نقرس ، وأشداهم مترجم مشق بكومشخانه . نظمه نصب حساً . ودل ساء أعاد جسده وكأثرها ورؤس الحش

عودته إلى مصر والوظائف التى تولاها

ولما عاد المترجم اضطره عقبات ومتاعبه حمة ذلك أن سعيد باشا أمر بإغلاء سبيل الجنود وإرجاعهم إلى بلادهم ، وولت كثيراً من ضباط الحملة ، ومهم على بك مبارك ، فسكن فى بيت صغير ، وعانى غصاصة المسر والصدى ، وصارت حالته بعد سبع سنوات من عودته من فرنسا ، كحالته عندما عاد منها ، وفقد ما كان يتاله ويؤمله من المناصب ، وفقد ماله ، وشعر بمرارة اليأس تنقص عليه حياته ، وداناه ألم والكدر ، وحلته نفسه أن يرجع عن خدمة الحكومة والتطلع لمناصبها ، إذ لم يجد من ولاة الأمور إنصافاً ولا تقديراً ، واحترق الرجوع إلى بلده والاشتغال بالزراعة وقال لنفسه : « حوصلة الله خيراً فى نتائج الفكر ونمرات المعارف ، ولن تعرض أتنا ما فارقنا البلد ، ولا عرجا منها » . وببها كان يتأهب للرجوع إلى بلده صدر الأمر للضباط المرفوقين باحضور إلى القلعة . فكان هو ممن أعيذوا لخدمة ، فعمل من عزمه الأول وبعد قليل عين معاوناً لوزارة الحربية ، وأحيل عليه النظم والتنقيبات الخاصة بالمصاع الحربية والمحيطات (محارب البارود) ، ولم يكن هذا العمل مما تألقه نفسه ، لتعاقبه وعرضه ، ولكنه راض نفسه على البصر ، عسى الله أن يأتى بالفرح القريب ، وحدث أثناء قيامه بهذه الوظيفة أن شرع وزير الحربية وقتئذ (إسماعيل باشا المريق) فى وضع رسم حصن دورب الحربية ، فحجز عن عمله ، وحار فى إتمامه . فاستدعى على بك مبارك لما كان يجهده فيه من لكفاءة والخبرة ، فوضع الرسم المطلوب ، فأثنى عليه الفريق ، ووعد به بأن يذكره بالخبر عند سعيد باشا .

وقد ولى إسماعيل باشا ما وعد ، وكان من نتيجة معاه أن أمر سعيد باشا بإلحاق المترجم مستودعي الدخالية . وكان يحاد عليه النظر في بعض القضايا ، ثم عهدت إليه وكالة المحكمة التجارية : فاصطلع بأعبائها بأمانة ونزاهة ، ولكن سقته فيها وشى به لدى سعيد باشا ، فوفت منها ، وعاد لما بدا ، عاطلاً من المنصب ، واحتكف في بيته ثلاثة أشهر ، ثم عين مفتشاً لمصلحة نصف الوجه القبلي ، ثم استدعاه سعيد باشا ، وعهد إليه بوضع مشروع أحكامات المحاكم ، وهو مشروع جليل الشأن ، كان الغرض منه تحصين موقع المحاكم (بروجي رشيد) ، بين فرع رشيد وبحيرة إدكو ، لمنع العدو من مهاجمة القطر المصري من هذه الناحية ، فوضع للمترجم الرسم المطلوب لهذه الأحكامات ، وأدى المهمة على خير ما يراه ، ولكنه عندما أراد أن يعرض الرسم على سعيد باشا لم يستطع تقديمه إليه ، وتقدم عليه آنفاً في طرده ، وآتونة في قصر النيل ، فلم ييسر له مقابلة ، واضطر للملازمة معية في السفر من بلد إلى بلد ، مدة ثلاثة أشهر ، بلا راتب ، ولا عمل ، دون أن يقتر بتقديم الرسم المطلوب ، إلى أن رآه سعيد يوماً في الجزيرة ، فذكر الرسم الذي كلفه به ، وسأله عنه ، فقدمه إليه ، فظهر فيه قليلاً ولم يزد عن قوله : « أبقي حتى نجد وقتاً لإعجاب النظر فيه » ، وكانت هذه الإجابة نتيجة الانتظار مدة ثلاثة أشهر ، ثم لم يلتفت إليه بعد ذلك ، ولكنه أمر بربط مرتب للمترجم ، وفق في معيته رماً طويلاً بلا عمل إلى أن أصدر سعيد أمره باختيار بعض المعلمين لتعليم الصباط الخارجيين من تحت السلاح القراءة والكتابة والحساب . فقدم على بك مفرك للقيام بهذه المهمة ، ليشمل نفسه بعمل ما ، مها كان ضئيلاً ، لأن نفسه كانت تعاف الكسل والبطالة . فصار يدرس لهم حروف الحجاب ، والخط والبادئ الأولية في الرياضيات والقواعد الهندسية . وعلمونه في التدريس اثنتان من المدرسين ، ووضع في ذلك كتاباً مختصراً في الحساب والهندسة وطرق لاكتشافات العسكرية معاه (تقريب الهندسة)

وكان يشغل أوقات فراغه بالمطالعة وتدوين بعض الملاحظات على ما يقرأ ، جمعها بعد ذلك في كتاب سماه (تذكرة المهندسين) . يحتوي على فروع شتى مما يحتاج إليها المشتغلون بالهندسة ، ولا اعترم سعيد باشا السفر إلى أوروبا أمر يفت أطلب من كان يحميه ، فكان المترجم ضمن المرفوضين

وأمر قبل ذلك ببيع مهابت مدرسة المهندسخانة وأبنائها وكتبها ضمن كثير من تعلمات الحكومة التي اعتبرت « رافعة من الحاجة » ، فدعش المترجم ، إدراى هذه التفاسل تباع

بالرؤد بأجس الأنفاق ، وفي جعلها الكتب التي طبعها أثناء مظارته لهذه المدرسة . بحسب الزائد واشترى من هذه الأشياء ما أمكنه ابتاعه .

ولما اشتد الضيق بالمترجم فكر في الاشتغال التجارة ، فاجربها بشراء ، وحاس التجار . وكثر منه البيع والشراء ، فربح واستعان بالربح على الإنفاق وأداء بعض الحقوق ، واستمر تجر مدة شهرين ، ثم فكر في التمرج للتجارة والإعراض من مناصب الحكومة . لما رآه من اضطراب الأحوال وتقلب الأمور ، مما كان يعقده ثمرات العلوم ، وشعر بأنه كلما تقدم به العمر وكثر بونه . فقد ما جمعه من الكد والتعب ، فذر الاحتراف بالتجارة ورجل بحاطره أن يفتد وبعض زملائه للمهندسين المتفاعلين شركة يحس الغرض منها بناء البيوت للبيع والتجارة ليربحون منها ويستشيرون فيها معارفهم المتدب وخبرتهم الفنية ، فلم يجد من يوافقه على مشروعه . ففكر في القيام به بنفسه ، وفيما كان مكر في مخرج من الضيق الذي اشتد به طرق سعيد باشا طارق القون في أوائل سنة ١٨٦٣ . فكان لوفاته أثر كبير في حياة المترجم ، ذلك أن إسماعيل لم يكف يخلط المرش حتى فكر في استخدام مواهب ربه القديم في البعة ، فافتتح باب الأمل والفرق أمام على بك مبارك .

أعماله في عهد إسماعيل

لما تولى إسماعيل الحكم ألحق المترجم معيه ثم جعله ناظراً على القناطر الخيرية ، وكانت إلى ذلك الحين لم تستخدم أبوابها الحديدية المدة لإختال حيونها ، والمانع من إلحاقها ما قرره المهندسون من أن القناطر لا تتحمل ضغط المياه بل تقويتها ، وترتب على ذلك أن معظم المياه انحوت إلى فرع رشيد ، وحرم فرع دمياط مرور المياه فيه ، فلما عرض على المترجم أرأى إقتال قناطر فرع رشيد ، لتغذية فرع دمياط ، فعمل الخديو برأيه وأمر بإقتالها ، فالتجذرت المياه إلى فرع دمياط ، وبالت البلاد التي تروى من مائع الري وغيرها ، وأما الخلل الذي كان متروفاً حصوله في بعض الميون بقناطر فرع رشيد فقد تلافاه المترجم ، إذ أقام حاجزاً من الخشب لحاط بالقناطر ، فثبتت خلفها جزيرة من الرمل حطتها من ضغط المياه . وهكذا تبين صواب الرأي الذي ارتآه على بك مبارك

ولما حفر رياح المتوفية^(١) أنشيل على المترجم إنشاء قناطره ومبانيه ، فأقامها على أحسن

(١) حفر رياح المتوفية (١٦) حفر رياح المتوفية (١٦) حفر رياح المتوفية (١٦)

نظامه . وفي سنة ١٨٦٥ تدهت الحكومة المصرية مصراً عنها في اللبث التي ألقت لتقدير الأرض التي صارت حقاً لشركة القناة طبقاً لحكم الامبراطور نابليون الثالث ، فأدى هذه المهمة خير الأداء .

وكالة وزارة المعارف

وفي سنة ١٨٦٧ جعل وكيلاً لوزارة المعارف الموسوية (ديوان المدارس) ، وكان يتولى هذه الوزارة شريف باشا الوزير المشهور ، ففضل للترجم منصبه الجديد مع بقاء نظارة القناطر الخيرية في عهده ، وبدأ من ذلك الحين عهد جديد للترجم ، إذ صار له بحكم منصبه النفوذ الكبير الذي يسمح له بأنفاذ إصلاحاته في دائرة التعليم العام . كان من مرياً للرحم أنه يتم كل عمل يتولاه ، ويبدل كل ما في وسعه ليقوم به على الوجه الأكمل ، فأنهز ندب الخديو إسماعيل إياه لرحلة مالية إلى باريس مقبب تعيينه وكيلاً لوزارة المعارف ، وأخذ يستكمل معلوماته عن حالة التعليم ونظام المدارس في فرنسا ، ليقتبس ما يراه صالحاً لمصر ، ومع أن رحلته هذه لم تتجاوز خمسة وأربعين يوماً بما فيها الذهاب والياب ، فقد اطلع على مناهج التعليم في المدارس الفرنسية ، والكتب المقررة فيها ، ودرس أيضاً نظام الجارى العامة المبنية تحت الأرض في باريس .

توليته وزارة المعارف والأشغال

وبعد عودته إلى مصر أنعم عليه الخديو إسماعيل سنة ١٨٦٨ برتبة الميرمان ، فصار يعرف من ذلك العهد بعل باشا مبارك . وأُسند إليه إدارة مصلحة السكك الحديدية ، ووزارة معارف والأشغال ، وبعد قليل صممت له مدرة ديوان الأوقاف ، فجمع بين هذه المناصب لرفيعة . مع بقاءه ناظرًا للقناطر الخيرية والتحايف بالمعية .

العصر الذهبي في حياة المترجم

وهنا يبدأ العصر الذهبي في حياة المترجم ، وهو العصر الذي جعل بالأعمال العظيمة ، التي خلقت اسمه في تاريخ مصر الحديث ، وخاصة في نهضتها العلمية . وقد ما بلغت النظر في هذا الدور من حياته ، كصفاته المتناثرة في اصطلاحه بأعماله

جريت المختلفة . فقد كان في وقت واحد وزيراً للمعارف ، والأشغال ، والأوقاف . ومديرًا عامًا للسكك الحديدية ، وناظرًا للقناطر الخيرية . وهي مهام جسام تنوء بالعصبة من الرجال . ولكن على باشا مبارك قام بها جميعاً . وأظهر من الكفاءة وقوة الإرادة والجلد عن العمل ما يدعو حقاً للإعجاب ، وصدقت كلمته المتراصة التي قال في هذا الصدد عن نفسه . « فبدلت جهدي . وشررت عن ساعد جدي . في مباشرة تلك المصالح فحمت بواجبها »

وهنا تتجلى ميزة كبيرة للمترجم ، تطالعا بحاجة من يواشى شخصيته . وهي قدرته على الاصطلاح بالمهام العظام ، فقد يكون لعل باشا مبارك أنداد في العلم والدكاء بين زملائه الذين تولوا مختلف الوزارات والمناصب العالية ، ولكننا نعتقد أنه بذل أفراته في الجمع بين مره متعددة ، وهي الكفاءة والحلقة على العمل ، والإخلاص ، والتمهدة في أداء واجبه ، وإتقان الأعمال الكبيرة التي تعهد إليه ، على ما تقتضيه من جهود ومناصب ، فأرأس الذي يجمع وولات المعارف والأشغال والأوقاف ، مع إدارة مصلحة متشعبة الأعمال كالسكك الحديدية ، والكفافة التي تصطلع بكل هاتيك المصالح ، والمهمة التي تصرف شؤونها المختلفة ، وتكرها المشاريع الحسنة ، كل ذلك لا يصدر إلا عن نبوغ فذ ، وهذا يعطينا فكرة صادقة عن شخصية المترجم

ورع على باشا مبارك أوقاته بين هذه الوزارات المختلفة ، فخصص نصف النهار من الصباح إلى الظهر للمعارف والأشغال والأوقاف ، ومن بعد الظهر إلى الغروب لإدارة السكك الحديدية

في وزارة المعارف

كانت معظم جهوده موجهة إلى رفقة شئون التعليم في بلاده .

نقله المدارس إلى درب الحمايز

وأول أعماله نقل المدارس من المعايبة إلى درب الحمايز ، ذلك أنه رأى ما يتكده التلاميذ وأهلهم والأساتذة من اللثاق والنفقات ، في ذهابهم إلى المعايبة ، وإيابهم منها ، فاستصدر من الخديو إسماعيل إذنا بنقل المدارس إلى درب الحمايز ، وعخص

فد سرائى الأمير مصطفى فاضل ، فأصلحها على باشا مبارك وحصلها على استعداد لإيراد المدارس والمعاهد وتخصيص ملائك السراى لوزارة المعارف ، وجعل كل مدرسة فى ناحية من السراى ، فصارت أشبه ما تكون بالحلقة . وجعل بها أيضا رولوة لأشغال ، وديوان الأوقاف ، فسهل عليه القيام بأعباء الولايات المختصة ومع اصطلاحه بأعباء هذه الولايات ، كان لا يفتك بهى بتعدد أحوال التلاميذ والمعلمين فى المدارس ، ويدخلها كل يوم ليشهد بنفسه سير التعليم فيها ، وليطمئن على حسن نظامها ويقام المدرسين يورجائهم .

لائحة التعليم وإنشاء المدارس الابتدائية

وقد وجه محتاجه مند تولى وكالة الوزارة إلى إصلاح التعليم فى الكتاب وتحويل ما يمكن تحويله من الكتاب إلى مدارس ابتدائية نظامية ، فوضع لذلك لائحة للشهيرة بلائحة ١٠ رجب سنة ١٢٨٤ التى نظمت للمدارس ، ودعا طائفة من المشغطين بالتعليم ليراجعوا المشروع ويبحثوه ، ويبدوا آرائهم فيه ، فدرسوا اللائحة وقروها ، وصدر أمر الخديو بإجراء العمل بمقتضاها فى مايو سنة ١٢٦٨

راشى . فى عهده كثير من المدارس الابتدائية النظامية فى القاهرة وعواصم المقريات . وكان لاجتماع وزارة المعارف ونظارة ديوان الأوقاف فى هذه تتركيز فى نهضة التعليم ، لأنه بما له من سلطة النظر على الأوقاف الخيرية استطاع إحداث كثير من الأمكنة للوقوف لجعلها معاهد للتعليم بعد إصلاحها ، ولو لم تكن له هذه السلطة لبقيت هذه الأماكن معلقة لا ينفع بها ، ولعجزت الحكومة عن التصرف فى مقتضاها إنشاء معاهد جديدة ، وكذلك أمكنه بما له من حق الإشراف على معاهد العلم للوقوف أن ينظمها ويحولها إلى مدارس نظامية . فأما هذه المعاهد بعد ما درست فى أبهى نظار الوقت الحاملى ، وكذلك أحسن إدارة أموال الأوقاف الخيرية . واستخدمه جابيا منها فى الإبقاء على التعليم بعد أن كانت تبعد وتضيع هذه وجعل على أعالى التلاميذ المقتردين مصروفات قليلة تؤخذ برغبهم على حسب اقتدارهم . مع ترك الباقي مجانا ، واستوفى نافي صفات المدارس من إيراد الأوقاف الخيرية لمؤونة على الكتاب وغيرها من وجوه الخيرات ، وتخصيصها الخديو إسماعيل لإيراد أطيان

تحتش الرادى باشرقية . كما منحها بعض الأملاك التى آلت إلى بيت المال من بعض التركات ، فكانت هذه الموارد هى التى يفتق منها على تلك المدارس عدا ما خصص لها فى الإدارة السنوية والمصروفات الصلبة التى يدفعها أهلها لتلاميذ دوى الاقتدار واليسار .

معلمو المدارس

إن وضع نظام صالح للتعليم يقتضى توفير العدد الكاف من الأساتذة الأكففاء ، وقد حل على باشا مبارك هذه المعضلة بما أوفى من عناية ، ونظر صادق ، وهزيمة ماضية ، فأنشأ مدرسا للعلوم ، كما سيجى . بياها ، لتخرج أساتذة اللغة العربية ، واختار لتدريس بقية العلوم . كالتاريخ والجغرافيا واللغات الأجنبية بحذاء التلاميذ المتقدمين من أنمو دروسهم فى المدارس العالية ، ككل الهندسة والطب ومدرسة المحاسبة ، ومدرسة الإدارة (الحقوق) ، بأن يحملوا أولا معيدين للدروس المعلمين زمنا ، ثم يصبحون معلمين استقلالاً ، ولم تكن مدرسة المعلمين العليا قد أشئت بعد

دار العلوم

هى من أميل مشآت على باشا مبارك ، أسسها سنة ١٢٨٢ ، والغرض الأصل منها تخرج أساتذة اللغة العربية والآداب للمدارس الابتدائية ، ثم للمدارس كافة ومرجع الفكرة فى تأسيسها ، أنه لما أشئت المدارس الابتدائية ، وانجده انهم إلى الإكثار منها ، صبت الحاجة إلى طائفة من الأساتذة لتدريس اللغة وآدابها فى المدارس الحديثة . فارتأى المترجم إنشاء مدرسة عالية دعاها دار العلوم ، لتخرج أولئك الأساتذة . وختار تلاميذها من طلبة الأزهر . ممن حفظوا القرآن الشريف وبقوا دروس لغة وفقه ، واحترق هذه المدرسة بالامتحان ، واشتمل برنامج التعليم فيها على العلوم التى لا تدرس فى الأزهر . كاللغاب والفلسفة والطبيعة والجغرافيا والتاريخ والحط ، مع إتقان علوم الأزهر من لغة وحو وتصنيف وحديث وفقه واختار المترجم للتدريس فى دار العلوم جماعة من أكفأه فى العلوم الأزهرية

والعلوم العصرية ، وجعل التعلم فيها مجانياً ، مع دفع مرتب شهري للتلاميذ وقد أنشئت المدرسة ، وتخرج منها أساتذة اللغة والآداب العربية للمدرسة الابتدائية في القاهرة والأقاليم ، ثم للمدارس الثانوية والعالية ؛ وبعد إنشاء دار العلوم أعظم خدمة أسداها ترجم لإحياء اللغة العربية وآدابها في مصر.

دار الكتب أنست سنة ١٨٧٠

أنشئت دار الكتب سنة ١٨٧٠ ، ولتأسيسها مقلحات ترجع إلى عهد محمد علي ، فقد أنشأ مستودعاً لبيع مطبوعات الحكومة في بيت المال القديم ، خلف المسجد الحسيني ، ولما ولي إسماعيل الحكيم أصاب إليها نحو ألى مجلد من المخطوطات العربية والعربية . ابتاعها من تركة حسن باشا المنسترلي ، ثم تطورت الفكرة إلى إنشاء دار عامة للكتب ويستعاد لما ذكره علي باشا مبارك في الجزء التاسع من المخطوط (ص ٥١) أن فكرة تأسيس دار الكتب ترجع إلى الخديوي إسماعيل ، فإنه ذهب في إنشاء مكتبة عامة تجمع الكتب المتفرقة في عازن الحكومة ، ومكتاب الأوقاف وفي المساجد ونحوها ، وأمر المترجم بالنظر في ذلك ، فحقق الفكرة ، وأنشأ دار الكتب في سراي درب الجواميز بجوار المدارس ولكن يؤخذ مما جاء في الجزء الثالث من المخطوط (ص ١٤) أن صاحب الفكرة في هذا المشروع الخليل هو علي باشا مبارك ذاته ، فقد قال في هذا الصدد :
« ثم ظهر لي أن أجعل مكتبة خديوية ، داخل القلعة المصرية ، أضعها بها مكتبة باريس ، فاستأذنت الخديوي إسماعيل باشا في ذلك ، فذن لي ، فشرعت في بناء المكتبة الخديوية هناك أيضا (درب الجواميز) ، وبعد فراغها جمعت فيها ما أنشئت من الكتب التي كانت بمجرات الأوقاف ، زيادة على ما صار مشتراة من الكتب العربية والفارسية وغيرها ، وحملت لها ناظراً ورثت لها خدمة ومعاونين ، وعملت لها قاعاتاً لسطها ، وعدم صياح كتبها ، فجددت بمون الله من أنفع التجديدات التي حدثت في عهد الخديوي إسماعيل باشا ، وحصل بها انفع العام ، للخاص العام . »
وقد ابتاع إسماعيل باشا مجموعة الكتب القيمة التي تركها أخوه الأمير مصطفى فاضل بعد وفاته ، وأهداها إلى دار الكتب

وأنفق على المدارس من ميزانية المدارس ، وفتحت أبوابها لطلاب العلوم والمعارف ، وسهلت لهم لإطلاع على كتب ومؤلفات ومخطوطات ما كان يمكنهم الوصول إليها لولا إنشاء هذه الدار ، فأدت ولا تزال تؤدي خدمات جليلة للهيئة العلمية والأدبية

محلة (روضة المدارس)

ومن حلل مشاهير العلمية إنشاء محلة روضة مدرسه على عفة وزارة المعارف وبإشرافه . وسكنهم عنها فيما يلي

مدرج المحاضرات (الانفتيخ)

ورثت دروساً عامة أو محاضرات دورية بالانفتيخ (المدرج) سراي درب الجواميز سنة ١٨٧١ . فبعد إلى التابئين من أساتذة المدارس إلقاء هذه المحاضرات لتتفهم أدهان الطلبة . وكان يشجع هذه الحركة لمحضرات المحاضرات بنفسه ، وهذا حدود كبار الموظفين في مختلف الوزارات ، وخاصة وزارة المعارف ، وكان يحضرها أيضاً عددا طلبة المدارس العالية . فريق من طلبة الأزهر ، وهم الذين صاروا بواة دار العلوم التي أنشئت سنة ١٨٧٢ ونول إلقاء محاضرات طائفة من العلماء المشاهير بالإن ، فكان الشيخ حسين الرصوف يدرس الآداب العربية ، وإسماعيل بك (باشا) مصطفى الطنكي ناظر للمهندسة يدرس علوم الفلك باللغة العربية ، ومنصور أفندي أحمد أحد أساتذة المهندسة . يلقى محاضرات في الطبيعيات ، وفرائس بك (باشا) كبير مهندسي الأوقاف في اللاني ، وجيجون بك ناظر مدرسة لغون والصنائع في الميكانيكا ، وبروكش باشا ناظر مدرسة السان المصري القديم في التاريخ العام ، والشيخ عبد الرحمن البحري في عفة لإبداء أي حجة ، والشيخ أحمد الرصوف في التفسير والحديث ، والمسيو بكنيت في الطبيعيات . وأحمد بك بد في علم السات وغيرهم إلخ إلخ^(١٢)

(١٢) من كتاب (التعليم العام في مصر) لأحمد مصطفى باشا ص ٢٤

معمل الكيمياء والطبعة

وأنشأ بمصر جامعاً معيلاً للكيمياء والطبعة لتوسيع مدارك التلاميذ في العلوم الطبيعية وإطلاعهم على تجاربها ومشاهداتها والمران على استعمال الآلات الرياضية والطبعة.

أعماله الهندسية

إن شهرة علي باشا مبارك تقوم في الغالب على خدماته الجليلة للتعليم ، على أن له آثار أخرى في أعمال العمران التي تمت في عهد إسماعيل ، منها ما يختص بالرى ، ومنها ما يتعلق بتنظيم القاهرة والمدن الأخرى .

ليس يخفى أنه بولايته وزارة الأشغال سنة ١٨٦٨ ، قد عهد إليه الخديو بمعظم الأعمال الهندسية التي استحدثت في ذلك العهد

فاشترك في تنظيم القاهرة ، وتوسيع شوارعها وحاراتها ، وإنشاء أحيائها الجديدة ، ومعظم الأعمال التي تمت من هذا القبيل مدت في عهده ، مثل شروع محمد علي ، ومبانيه ، وشوارع الأريكة ، ومبانيها ، والشوارع المنشأة بما بين ، وباب القوق وغيرها مما هو يدخل المدينة وخارجها

قال في هذا الصدد : « وجرى العمل على ذلك . فظهرت كل هذه المرافق الحسنة . والشوارع المستقيمة المنسقة المحفوفة بالأشجار المحصرة النصر ، المستوية للقادمين على المدينة انشراح الصدور ، والمرح والسرور ، وأزيل ما كان يجهنم البحيرة من التلال التي كانت تمتد من جهة الفيحة إلى قرب باب الفتوح ، ثم نزع الخديو إسماعيل للراغبين بمواضع كثيرة ، فأنشأوا بها المباني المشيدة ، والبساتين الجديدة ، وناهيك بقصور الإسماعيلية ودورها وبساتينها وشوارعها . التي يكنى الوصف عن محاسن هجتها » .

واشترك في استحداث الإبرة بنار الاستصباح ، وإقامة وابور المياه لتلبية القاهرة بماء الشرب الصالح بواسطة شركتي النور والمياه ، وإقامة (كويرى) قصر النيل الدخ ، وغير ذلك من الأعمال النافعة

وساهم أيضاً في أعمال العمران عمدة الإسكندرية والسويس . وما أنفق في المبانيات من الدواوين . والخسور . والتناظر . والبرق . قال في هذا الصدد : « وهذه الأعمال جميعها أو أكثرها كنت أبشر أموراً من رسومات وشروط مع المفاوضين نحو ذلك . لتعلقها بديون الأشغال ، فكنت في عدة إمالة هذه الدواوين على مشغولاً بالمصالح الأهمية ، وتتجد الأغراض الخديوية . لئلا ونهائراً ، حتى لا أرى وقتاً التفت فيه لأحوالي الخاصة لي . ولا أدخل بيني إلا ليلاً . بل كنت أفكر في الليل في عمل بالبر » .

وكان متولياً ودارة الأشغال عند افتتاح قناة السويس ، عهد إليه الخديو إسماعيل إعداد مخططات حملاته الضخمة .

ومن أعماله في ديوان الأوقاف أنه حكر كثيراً من أراضي القاهرة للراغبين في بنائها ، مقابل حكر صثيل بدعوه كل سنة ، مصرع جهات كانت من قبل حراباً بضعاً ، وأقيمت الماني والمائر في أخطاط عديدة من المدينة .

وبإدارته مصلحة السكك الحديدية اشترك في مد كثير من الخطوط الحديدية وإنشاء محطاتها

انفصاله عن الوزارة ثم عونه

انفصل المترجم عن إدارة السكك الحديدية ، ثم من وزارة المعارف (في سبتمبر سنة ١٨٧٠) ، وعن الأشغال ثم عن الأوقاف ، لخلاف وقع بينه وبين إسماعيل صديق باشا (المفتش) وزير المالية المشهور بحظوته عند الخديو إسماعيل ، ذلك أن المفتش رغب في أن يضم إيراد السكك الحديدية إلى وزارة المالية ، فلم يقبل علي باشا مبارك هذا الصم إلا إذا تمهدت المالية بجميع تغطيات المصلحة ، فوقع الخلاف بين الرجلين ، ووشى إسماعيل صديق بالمترجم عند الخديو ، فأدى ذلك إلى انفصاله عن الوزارات التي كان يقوم بأعمالها ، ولزم بيته ، على أن انفصاله لم يدم طويلاً ، ولعل الخديو شعراً بالمرغ الذي ترتب على انفصاله عن العمل ، ولم يجد من بين وزرائه من يسد هذا الفراغ . فعهد إليه ثانياً بوزارة المعارف (١٣ مايو سنة ١٨٧١) ثم بالنظر على ديوان الأوقاف ، وبعد قليل أعيد إلى ديوان الأشغال ، وفي ١٨٧٢ بتولى وزارة المعارف إلى أغسطس سنة ١٨٧٢

ثم عن الحديوي أن يعي أنه الأمير حسين كامل باشا (السلطان حين كامل) ناظرًا لهذه الدواوين في أغسطس سنة ١٧٨٢ . وبقى المترجم يتولى شؤونهم . وصار منصبه مستشارًا لها . وبعد قليل انفصل ديوان الأشغال برئاسة الأمير حسين كامل وحصل للمترجم وكيلًا له . وفي أغسطس سنة ١٨٧٣ عين المترجم عضوًا بالمجلس الخصوصي الذي كان عترة مجلس الوزراء . وبعد قليل انفصل عنه لما أقيمت في حقه الوثائق كما سمع على باشا صديق وأصراجه وما أوجعوا به من أن كتابه (نحلة الفكر) الذي كتفه الحديوي تأليفه عن الخليل مشتمل على نقد لحكومة الخديوية وتوبيخ سياستها . فلزم بيته قائلًا .

وفي مارس سنة ١٨٧٤ جعل رئيسًا لقسم الهندسة بديوان الأشغال . ولما أُلحق هذا الديوان بوزارة الداخلية التي تولاهها الأمير محمد توفيق ولي عهد الأريكة الخديوية وقتئذ جعل للمترجم مستشارًا له . ثم استقل ديوان الأشغال ، ليحل للمترجم مستشارًا للديوان (ديبر سنة ١٨٧٥)

ولاشك أن تعيين علي باشا مبارك في هذه المناصب الثانوية كان نتيجة الوشاية التي ألقاها إسماعيل صديق في حقه عند الخديوي

في وزارة نوبار باشا

ولما وقعت بمصر الأحداث المالية ، وحدث التفتت الأجنبي وعينت لجنة التحقيق الدولية ، كان من مطالب اللجنة تنازل الحديوي عن سلطته المطلقة لمجلس النظار ، فتألفت وزارة نوبار باشا الأولى في أغسطس سنة ١٨٧٨ ، وهي الوزارة التي دخلها الوزراء الأوربيون كما نراه مفصلاً فيما يلي ، واشترك فيها المترجم إذ تولى وزارة المعارف وديوان الأوقاف ، لاستأنف عمله في إحياء حضرة الصنيع ، فشرع في بناء بعض المدارس الابتدائية وظل قائمًا بعمله في جر الملوحة بالاصطرابات والارتباكات ، إلى أن استبدت وزارة نوبار باشا لسطح الأمة ، وثار عليها القضاة فودعهم الأولى لاستقالت في فبراير سنة ١٨٧٩ ، وعملت في وزارة توفيق باشا القصيرة المدى ، وكان المترجم ضمن أعضائها متوليًا المعارف والأوقاف ، ثم دعى شريف باشا الوزير المشهور إلى تأليف الوزارة الجديدة امتجابة لمطالب الأحرار فألف وزارته المعروفة بالوزارة الوطنية

وكان حينئذ لا يكون مترجم من أعضاء . لأن وزارة نوبار باشا استغنى عن منصبه . من شعب . وكانت مهمته ملاحظة ديوان الأحياء . ووزارة نوبار باشا . بكل مرصد عب من برقي . وفي عهد وزارة شريف باشا شنت الأزمة السياسية . بين حديوي إسماعيل وديوان الأوربي . وسبب خلعهم رولا على يرده الديوان

في عهد الحديوي توفيق

ولما تولى توفيق باشا منة الخديوية وعهد إلى مصطفى رياض باشا نائب وزيره . كان على باشا مبارك عضوًا فيها ، متقلدًا وزارة الأشغال ، ليدل جهلاً بملحوظة في تنظيم هذه الوزارة والقيام بكثير من أعمال الري والعمارة

الثورة العرابية

وفي عهد هذه الوزارة هبت عواصف الثورة العرابية ، ولم يكن على باشا مبارك من أنصار الثورة ، بل كان يميل إلى الاعتدال وتهدئ الأمر بالحكمة والمروءة ، ونصح العرابيين بالمروءة فلم يسموا له بمصداً ، وقد تبين أنه كان أبعد نظرًا منهم ، لأنه لا يخفى أن التطرف والشطط في مسلك الثورة العرابية ، كان من الأسباب التي أدت إلى كارثة الاحتلال .

لم يكن المترجم إذن من أنصار الثورة ، بل كان عضوًا في وزارة رياض باشا التي تحركت الثورة لمناوئتها وإسقاطها ، وقد سقطت لعلا في سبتمبر سنة ١٨٨١ نزولاً على إرادة الثوار ، وألف شريف الوزارة الجديدة

ومع أن شريف باشا كان يقدر كفاءة علي باشا واستقامته وإخلاصه ، إلا أنه لم يشركه في وزارة . لأنه كان عضوًا في وزارة رياض المصوب عليها من الشعب ، وهكذا قدر على مترجم أن يكون عضوًا في لوزاريين بلتش هت عنها عواصف الثورة وسبب رولا عن يراده الثور

فالأول وزارة نوبار ، التي سقطت بتأثير ثورة الصباط في عهد إسماعيل . ونسبة وزارة رياض . التي سقطت رولا على زيادة العرابيين

عليه من اللطائف ، والملاحد ، والزياد ، والأضرحة ، والربط ، والشكاي . والأسنية ، والقصور ، والزكاثل ، والهلانات ، والكنايس ، والأديرة ، والمدارس ، والكتابات مع تراجم علماء مصر وشرفها وأديانها وحكامها وأمرائها ، وكان مرجع الترجمة في هذه الموسوعة الكبرى ، كتب لتاريخ المخطوط ، قديمها وحديثها ، وجميع الأوقاف والأعلام ، ومباحث ومثلهاته ، وما وجدته مسطوراً على الأحكام والحجوزان ، رأيت قبل أن يخلطه على بشا مبارك استعان لي وضع المخطوط بطقفة من المهتدين من تلاميذه ومروسيه في وزارة الأشغال والمدرب ، وذلك لأينص من قصده ، ولا يقلل من عظم العمل بدي مصنف به ، وحسن أن إراده وجهت مساعده إلي معاونة في البحث والتفتيش ، وورعه تمسكي في جميع نوايا الكتاب ومباحثه

وتقع المخطوط التوفيقية في عشرين مجلداً . ظهرت سنة ١٣٠٥ و ١٣٠٦ (١٨٨٧ - ١٨٨٩) أفرد المؤلف الأجزاء الـ ستة الأولى للقاهرة . والمجلد السابع للإسكندرية والأجزاء الأخرى لبقية مدن القطر للمصري وعزاه . وحقق المجلد الثامن عشر لقياس النيل . والتاسع عشر كبرج مصر وباحاتها ومساقط الري فيها . والعشرين لعمودها القديمة والحديثة . وبالمجلة بهذا الكتاب مرة في تاريخ مصر العلمي - ومأثرة خالدة للترجم . وهو مرجع لكل باحث في شؤون مصر العلمية والحضارية والتاريخية . وله أيضاً في عالم التأليف كتاب (علم اللين) وهو قصة صرانية قيمة . وكتاب (سيرة الأفيام في قصدي الأحكام) طبع سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م) و (حجة التفكير في تدبير نيل مصر)

ويقول الدكتور محمد دري باشا في ترجمته لعل باشا مبارك (ص ٦١) أنه وضع كتابا سماه (آثار الإسلام في المدينة والمصران) فكان هذا الكتاب سطر مؤلفاته شرح فيه ما أدخله الإسلام من المصنوعات في الممالك - وما برزت عليه من المدنية والنظام . قائم - والذي يعرفه من أموره أنه ما أكمله تأليفا وتبييضاً أعطاه لأحد أقارب العلماء الأحرار بن سعيد بطريرك فيه ويدرس في مراحته . وهو باق فيما عمن في حوزاته مؤلفه رحمه الله ، وقد استأنف لترجمته جهوده في عهد وزارة رياض باشا بشرعهم وساء تدريس ، ومن أجل أعان في هذا العهد تفرغ عليه كتاب (مرشد السيران إلى معرفة سجون الإنسان) تأليف العلامة (محمد قنبري باشا) .

كان هذا للكتاب المجلد عسوطا ، فزأني للعلامة على باشا مبارك أن يخرجه للناس

ولما استعالت وزارة شريف وأعطتها وزارة محمود سلمي باشا البارودي ، ظل على مبارك معداً عن الوردية ، وفي عهد وزارة البارودي جهاد الأسطول قهرماني إلى ثغر الإسكندرية ، ثم تلاخفت الأحداث إلى أن رقت اللاد بالاحتلال الإنجليزي . ولما قامت الحرب بين الفرنسيين والإنجليز ، وناحر الحليو تومس باشا إلى الاحتلال ، انتقلت جميعه عسوية في القاهرة تهم أنبان البلاد ودوى الملكة فيها . وحصر على باشا مبارك هذه المنطقة ، وكان حسم الورد الذي انتدبه للجمعية للسفر إلى الإسكندرية ، ومعالجة الحليو توفيق باشا ، لإيلاعه فرائض الحسية ، فلما وصل إلى الإسكندرية سعى في طريقه لهدنة الحالة ، فلم يجمع ، فأنحار إلى الحليو

في وزارة شريف باشا الربطة

ولما خلف شريف باشا وزارة فراسة سنة ١٨٨٢ عقب الاحتلال كان الترجمة ضمن أخصائها ، ونقله وزارة الأشغال . فمضى بأعمال الري والمصون ، كما كان شأنه كلما تولى هذه الوزارة .

ووزارة شريف باشا هي التي استغلت احتياجها على إيلاء السودان ، فالتزم له مصيب في الموقف الشريف الذي ولقه شريف باشا بتقديم استقالته الخارجية في يناير سنة ١٨٨٤ .

في وزارة رياض باشا ظهور المخطوط التوفيقية

وبعد إتقالة وزارة يوزر الثاني تولى رياض باشا الوزارة في يومه سه ١٨٨٨ ، فكان على باشا مبارك حسم أنصاتها ، ورياً للمعارف الموسوية . وهي الفترة التي ظهر فيها كتابه المجلد (المخطوط التوفيقية مصر القاهرة ومدنها ولادها المدينة الشهيرة) وهو دائرة معارف مختص مصر وآثارها وجغرافيتها وتاريخها في عصورها القديمة والحديثة ، وبعد كمله وتجهيزاً لمخطوط المقرري ، والكتب لمخطوط مصر الذي وضعه علماء مصلحة الرسة ، وفيه وصف شامل لمن مصر ، وقولها ، وريها ، وزرعها ، وشجرها وسواطها ، ومخطوط كامل لأحياء القاهرة وشوارعها ، وحدودها ، وبساتينها ، وما استحوط

مشور سيم فائده مشور من وريته مرحوم قسرى باشا - وطبعه سنة ١٨٩٠ على نفقة وزارة - وفورث تدريسه في مدرسة الحقوق ، ودار العلوم ، فأسدى بذلك خدمة عظيمة للعلوم الشرعية ، والقانونية ، ونبهة العلمية ، والتشريبية ولما استقالت وزارة رياض باشا سنة ١٨٩١ ، لزم الترجيم بيته ثم سافر إلى بلده لتتخذ أملاكه وإصلاحها ، بعد أن تركها وأهمل شأنها طوال الستين ، لاشتغاله بالمصالح العامة ، وهناك مرض بداء المئانة ، فعاد إلى مصر

وفاته

وأنح عليه المرض ، إلى أن وافته ليلة محصر في منزله بالمخيم الجديدة ، في ١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٣ ، فانطعا للمصباح الذي أضاء البلاد بأنوار العلم والفرقان ، أربعين سنة ونيفاً ، وأغفلت المدارس حداً على أيبا ، وارنجت البلاد حزناً على فقدها وانتقل المترجم إلى عالم الخلود ، تاركاً ذكرى مجيدة ، حافظة بما أسداه لمصر من جلال الأعمال .

الجمعيات العلمية

الجمعيات العلمية هي من الوسائل الفعالة في نشر العلوم والمعارف ، ومن مظاهر تقدم الأفكار والثقافة في المجتمع ، وقد إزدان عصر إسماعيل بظهور الجمعيات العلمية ذات الأغراض السامية والمقاصد الحليمة .

المجمع العلمي

المجمع العلمي هو الهيئة العلمية التي أنشأها تالبيون في مصر سنة ١٧٩٨ وسبق لنا الكلام عنها (تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ١١٨ - طبعة أول -) ، وقد ألقى هذا المجمع عد جلاء الفرنسيين ، ثم أعيد إنشاؤه سنة ١٨٥٩ بالإسكندرية في عهد سعيد باشا ، واستمر قائماً في عهد إسماعيل يؤدي مهمته في نشر للباحث العلمية ، وهو قائم إلى اليوم واسمه (مجلس المعارف المصري) ، ومقره بوزارة الأشغال العمومية ، وله مجلة تشر بحث

جمعية المعارف (أسست سنة ١٨٦٨)

هي أول جمعية علمية ظهرت في مصر لنشر الثقافة براسة التأليف والطباعة والنشر ، أسسها سنة ١٨٦٨ محمد عارف باشا ، أحد أفاضل العلماء في ذلك العصر والمضرب مجلس الأحكام . والعرض من هذه الجمعية نشر العلوم والمعارف بطبع الكتب العلمية ونأيها وتهذيبها وتلخيصها ، وقد جعلت تحت رعاية الأمير محمد توفيق باشا ولي عهد الأريكة الخديوية وقتئذ ، وتولى رئاستها الفعلية محمد عارف باشا ، وتألفت برأس مال موزع على أسهم طرحت للاكتتاب العام ، قيمة السهم ثلاثون قرشاً (١٣) ، واقتت مطبعة لطبع الكتب التي تولت نشرها ، عدا ما كانت تطبعه في دار الطباعة الأميرية ، والمطبعة الموهبة وتولت الجمعية طبع طائفة من أهمات الكتب في التاريخ والفقه والأدب . منها أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير في خمسة مجلدات . وتاج العروس من شرح جواهر القاموس والفتح الوهمي في شرح المعنى في مجلدين ، وتاريخ ابن الوردي . وشرح التور على سقط الزند (ديوان أبي العلاء المبري) ، وديوان ابن خفاجة . والبيان والنتيجه للمحافظ . وديوان ابن المعتز ، وشرح الشيخ خالدة على البردة ، وعنوان المرتصات والمطربات لنور الدين أبي الحسن . والمختصر في أنصار البشر . ومحاضرات الراهب الأصمهانى ، ورسائل يسوع الزمان المهداني . وغير ذلك من الكتب القيمة

ولقبت الجمعية إقبالا عظيماً وتعصداً كبيراً من الطبقات المتتارة والمجتمع . إذ بلغ عدد أعضائها سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ - ١٨٧٠ م) ٦٦٠ ونيف . وردت أسماؤهم في ديل كتاب « الفتح الوهمي » ، نذكر هنا طائفة منهم ، مودجا للطبقات التي اشتركت في الجمعية ، ولكي نبين مبلغ تعصيد المجتمع في ذلك العصر لمشروعات العلمية .

إبراهيم بك حلم من قصاة محكمة الإستئناف . إبراهيم أدهم بك وكيل محافظة الإسكندرية . السيد إبراهيم جميعي من أعيان الإسكندرية . السيد إبراهيم بك الميرلي من أعضاء المجلس الانتدائي . أبو زيد أفندي إبراهيم ناشمهندس القليوبية . أتولى بك أبو العز من

أعضاء مجلس شورى النواب . أحمد طلعت باشا كاتب السور الخديوي . الشيخ أحمد شرف الدين المرصفي من علماء الأزهر . أحمد رشيد باشا من أعضاء مجلس الخصوصي (مجلس الوزراء) . أحمد خيرى بك مهربان الخبير . أحمد بك صدرا من ترجمه الكتب الغربية . الشيخ أحمد البتولى قاضى طحا . الشيخ أحمد الأصبان قاضى طهطا الشيخ أحمد فارس الشدياق صاحب الجوائب ووكيل الجمعية بالاستانة . أحمد بك فتحي ناظر مدرسة الإسكندرية . أمين بك فكرى . جعفر مظهر باشا حاكم دار السودان . جعفر صادق باشا رئيس مجلس استئناف قبل . حسن بك الشريبي . الشيخ حسنة الوائلى . حسين فخرى بك (باشا) . حسين شريف باشا . خليل باشا بك . القزق راشد باشا حسين الدكتور سالم بك سالم . الشيخ عبد الرحمن الأيلى . الشيخ عبد الرحمن الرفعى وعبد اللطيف باشا من أعضاء المجلس الخصوصي . محرم أحمدى عن عمده «سبلاوي» ومن أعضاء مجلس شورى النواب . محمد بك محمد عوف باشا السيد محمد بيومى محرم السيد محمد اللولحي الدكتور محمد شافعى بك مصطفى رياض باشا يوسف صالح عمدة كفر سيدة أحمد وسم الملايلى من أعيان الإسكندرية . الشيخ دراوى عاشور عمدة بيوت . الدكتور حسين بك عوف . الشيخ حسين حمزة من أعضاء مجلس شورى النواب . حماد بك عبد العاطى . على دو الفقار باشا وزير الخارجية . محمد مظهر باشا وكيل مجلس الأحكام إبراهيم أفدى هلال مأمور صطبة بيت مصر . أحمد صادق باشا ناظر الدائرة السنية . أحمد هريد بك ناظر قلم المحاماة السيد أحمد مشرفة . حمد دهمى بك ناظر المحامات . الشيخ أحمد باشا من علماء الإسكندرية . إسماعيل أفدى عبد الحائق وكيل ديوان الروامحة . إسماعيل بك رهدى ناظر مدرسة للصبيان . أمين بك سيد أحمد السيد حسن موسى العقاد السيد حسن المرقى . شعبى بك مصر . إلخ . إلخ .

وقد طلب الجمعية فائدة تؤدي مهمتها إلى أن تقتد النزاع السياسى بين الخديوي إسماعيل والأمير عبد الحليم باشا . فتناشها على عرش الخديوية . وكان عارف باشا من أنصار حليم باشا . فهاجر إلى الأستانة خوفا من بطش إسماعيل . وانجلى للجمعية

الجمعية الجغرافية الخديوية (أسست سنة ١٨٧٥)

هى من أهم المنشآت العلمية في مصر ، أسسها إسماعيل باشا سنة ١٨٧٥ ، والقرص منها العناية بالأبحاث الجغرافية والعلمية وتدريبها ونشرها ، وأول رئيس لها هو العالم الألمانى الدكتور جورج شويرت Schwernfurth . ووكيلاه العلامة محمود باشا القللى ، والجنرال استون باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى ، ولها مجلة دورية تنشر البحوث والاكتشافات . وتؤدي خدمات جليلة للعلم والجغرافية ، وقد رجعت في كثير من المواطن إلى الباحث القيمة والمراعاة الدقيقة للمشورة في عملها

الجمعية الخيرية الإسلامية

أنشئت بالإسكندرية سنة ١٨٧٨ (١٢٩٦ هـ) بمضى السيد عبد الله تديم ومساعدته سعد الله بك حلاية من سرافة الثغر ، والباحث على إنشائها شعور الخاصة بطفيان التموز الأجنبى في البلاد ، وتدخل الأجانب في شؤونها . واستثمرتم بمراقبتها .

قأسست هذه الجمعية فتح المدارس الحرة لطلم البنين والبنات ، وتهذيب الأخلاق وإعانة الفقراء ، وقد أنشأت مدرسة بالإسكندرية لتعليم البنين والبنات ، وعقد فيها حفل للحفظة ، كانت تلقى فيه الخطب والمحاضرات مرة في الأسبوع ، ووضع لها قانون ، وأجرت عليها الحكومة راتبا سنويا على سبيل الإعانة ، فانسع نطاقها ، وذكرت جريدة « التجارة »^(١) لأديب اسحق بيا إنشاء هذه الجمعية بالإسكندرية ، وجمعية أخرى بالقاهرة وأخرى بنسباط

وهي غير الجمعية الخيرية الإسلامية الحالية التى أسس سنة ١٨٩٢

الصحافة

م يظهر في مصر على عهد عباس وسعيد من الصحف المصرية سوى « الوقائع المصرية » ، حتى أنشأها محمد على باشا . وكانت الحكومة تتولى إصدارها . ولم يظهر غيرها من الصحف

في ذلك العصر. أمثال علي مارك باشا - وعبد الله بك حكري (باشا) - وشيخ صبح
نورص - وردة بنت رافع - وابنه علي بك فهمي رافعة - والسيو بروكش باشا باظر مدرسة
نصرت مصري أقدم محمود باشا قنلكي - وشيخين بك مصطفى العسكي (باشا)
ومحمد قنكري بك (باشا) ولنديكز محمد بك بدر - وحمد بك بدا الممد السليمان الشهير -
والشيخ عبد الحادي ع الإيادي - وأحمد بك صابح عسكن - وعبد الله بنو السعد أمدى -
محرر صحيفة وادي النيل - وشيخ عمر ممدوح أحمد سائمه اللغة العربية بالدار
التجارية - والشيخ حبره النوروي والشيخ حمزة فتح الله - فكانت هلة بداية ساري
فيه فطائل الكتاب في ذلك العصر - ولها الباحث الطريقة في العلم والأدب والأخبار
والتاريخ والفلك والرياضيات ، وكانت تصدر مرتين في الشهر ، وقد صدر الممد الأول منها
في ١٥ المحرم سنة ١٢٨٧ (سنة ١٨٧٠) ، واستمرت تصدر ثمان سنوات ، فأقادت التقاه
للأمة كبرى ، قال فيها للسيو دور بك مفتش القسم العام على عهد إسماعيل في كتابه (١١٠) :
ومدته الهلة كانت تزوج عانا على التلايد ، وقد ساهمت على نشر العلوم والمعارف ، لأنها
هرمت الطلبة ملكة الخالدة والبحث ، وضعت صفحاتها للنايين منهم لنشر أبحاثهم القيمة .
فكان ذلك يشجعهم ويحثهم على الباحث والجهود المستقلة عن دروسهم .
وقد أصاب السيو دور في غول ، فإن الهلة كانت تنشر مباحث طريقة لبعض نيهاد
التلاميذ ، وقد رأيت فيها قصاهد وقيمة من نظم المرحوم إسماعيل باشا صبرى ، جعل فيها دلح
النشر الحديث ، وكان وقتئذ الشاب للتجيب إسماعيل أفندي صبرى أحد تلامذة مدرسة

الإدارة ،

فيها قصيدة في مدح المقيم إسماعيل بالمدد ٢٠ من السنة الأولى (١١١) قال في مطلعها :

منرت فلاح لنا حلال سعود ونمى الغرام بغير المصود

وفصدة أخرى بالمدد ٥ من السنة الثانية قال في مطلعها (١١٢) :

عزتك البراء أم طلبة البدر ولما نلتك الميلاء أم عدل السر

وشمرنا م من رضى سديله ونترك أم عقد تنظم من در

(١١٠) النسخ الممد في مصر من ١٢٨٢ للمسلمة دوريت

(١١١) هلة سنة ١٢٨٧

(١١٢) سج ١٧١ سنة ١٢٨٨

لغربية ، وهذا من مظاهر انحدار الذي أصاب النهضة العلمية في وقت العهد
ع شغب حبه العمة وأدبه في عهد سماعين - فكان من بعدهم نائب
همه وأدبه ع سماعين - وقد نشر بالمصنعة في ذلك العصر عائلة من بعده
والأدباء مصريين وطاعة حزن من الأديبه السورينج - ونعمه عامر - وكان له الأثر ع
في جهة الصحافة ، والهيئة العلمية والأدبية عامة ، وهو يمتصيد احدهم إسماعيل هـ ،
ومساعداته الأدبية وإمالة مدافعي عليه .

وإذا ذكرنا هذا الصحف والمجلات التي ظهرت في عصره

١ - ع أولاً أن نذكر الوقائع المصرية ، فقد استمرت تصدر بانتظام في عهد
إسماعيل - وربي أسلوبها لإشراق - وحملت بهمة الصحفية حبه بذكر - فكانت تنشر
من القصص العسية والأدبية ، وكانت تبي بذكر سائر الحكومة وأخبار خارجية ، وتنشر
معاينة مجلس شورى النواب ، وتنته في وصف المجلات العامة ، وخاصة لمجلات
الطبية والتجارية - ثم مقالات ساق مخل ، التي كان لها شأن كبير في ذلك العصر - وتند
لوقائع هـ سحلا معزول لما سمية من حياة مصر السياسية والاجتماعية في عصر إسماعيل - وهي
من أهم المراجع المرجية التي لا يفتنى عنها من يك من تاريخ مصر الحديث
ونشا إلى جانب الوقائع صحف أخرى علمية ثم سياسية

• الصحف العلمية والأدبية والحربية

٢ - أسبقها هلة (اليسوب) ظهرت سنة ١٨٦٥ ، وهي هلة شهيرة طبية ، أنشأها
الذكور محمد علي باشا البثلي وإبراهيم المسوق ، ولم تصدر طويلا

٣ - هلة (روضة المدارس) أنشأها لعلامه على مارك باشا سنة ١٨١ حين كان في
سعارف لصورب - وهي من نوع علمي ، وكانت القرائه تنروق - صدر هـ لإبداعي عديها
والمرص منها إحصاء الأدب لغربية ونشر المعارف العلمية - أسست رسمها في العلامة روعة
بلك رافع الطهطاوي - وتولى تحريرها هـ على بك همي وردة (باشا) - مدرس لأشياء
عمومية الإدارة والألسن (المحقق) وقتئذ ، وكان يحوز فيها طائفة من أعلام الأدب والعلوم

ويأبى باشا سنة ١٨٨٠

١١ - حردة روضة (الأحبار) لصاحبها محمد بك أنسى، نجل عبد الله أبو السعود أمدى، ابتاعه من صاحبه (وادي النيل) التي عطشها الحكومة كما أسلفنا، وكان عبد الله أبو السعود أمدى حرر قسمها السياسي إلى آخر أمدى

وقد ذكرها علي باشا في «مخطط التوفيق» ج ١١ ص ٦٩، وذكرها نصاً أدب استحق في

حردة (التجارة) بالعدد الصادر في ٢٩ مايو سنة ١٨٧٨، لئلاسة اعتزام صاحبها تغيير اسمها باسم (النيل)، وصدرت بهذا الاسم سنة ١٨٧٨

١٢ - حردة (الكوكب الشرق) لصاحبها سيم (باشا) الحموي، صدرت بالإسكندرية سنة ١٨٧٣، ومصر طويلاً وذكرت في الوقائع المصرية، بالعدد ٤٢٩ الصادر في ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٧١ أن سليم حموي أنشأ مكتبة بالإسكندرية وقاعة للخطاطة بها

١٣ - حردة (الأهرام) لسليم (بك) وشارة (باشا) نقلا صدرت سنة ١٨٧٥ بالإسكندرية، (والآن بالقاهرة)، وقد لاقت في مبدأ صدرها عقبات جمة، ثم نالت حظاً كبيراً من الرواج، وكانت في مبدأ ظهورها أسبوعية، ثم صدرت غالبها جريدة (صدى الأهرام) يومية حتى عطلت، ثم اعادت (الأهرام) بالظهور وصارت يومية، واستمرت تصدر إلى اليوم، فهي أقدم الصحف المصرية السياسية

١٤ - حردة (الإسكندرية) حاد ذكرها في حريده (لتجارة) بالعدد ٥ يوبه سنة ١٨٧٨ إذا عالت إن سليم أمدى حموي عزم على إصدار جريدة أسبوعية تسمى (الإسكندرية)، وقد صدرت فعلاً في يولييه سنة ١٨٧٨.

١٥ - حردة (الكوكب المصري) للشيخ محمد وقاد، ذكرتها جريدة التجارة بالعدد ٣ من السنة الثانية (١٩ مايو سنة ١٨٧٩)

١٦ - حردة (شرق)، وهي جريدة سياسية أنشأها سليم حموي، ثم تسمى منها في أبريل سنة ١٨٧٩، ونولاًها إبراهيم أمدى، النقال (بك) بإيماء من السيد جمال الدين الأدهال

١٧ و ١٨ - أنشأ الشيخ يقوب صبور صحفيين سياسيين. وهما (مرآة الأحوال) صدرت في لندن سنة ١٨٧٩، و (أبو صبرة) صدرت سنة ١٨٧٧ بالقاهرة، وهي صحيفة ملوثة لإسماعيل، وكان الشيخ يقوب صبور مصرياً إسرائيلياً، متعلقاً بالصحافة، يعمل

وأنرى بالعدد ٢٣ من السنة الثانية (١٨٨٠) لسنها بقوله

لا والحموي المدري والرجد عدل - عدول فيك لا يندى
إلى مع الصمد وطولد الجفا باق على - بيتان والمهد

ويبين من ذلك أن مدرسة الشعر الحديثة قد بدأت باكورتها بظهور مجلة روضة الغامس (١٩٩).

٤ و ٥ - حردة (أركان حرب الجيش المصري) و (الجريدة العسكرية المصرية) وقد سبق الكلام عنها من (١٨٤)

الصحف السياسية

وتظهر من الصحف السياسية -

٦ - صحيفة (وادي النيل)، أنشأها الشاعر الفاضل عبد الله أبو السعود أمدى سنة ١٨٦٧ وهي أقدم صحيفة سياسية ظهرت في مصر، وكانت تصدر مرتين في الأسبوع في شكل الفلوات، وظلت تصدر إلى أن ألغيت بأمر الحكومة سنة ١٢٨٩ هـ (١٨٧٢ م)

٧ - حردة (ترجمه الأفكار) سنة ١٨٦٩ لشتها إبراهيم بك الترياحي ومحمد بك عثمان جلال، وكانت أسبوعية، ولم يصدر بها إلا عدنان، ثم عطلها إسماعيل مصبحة شامري باشا وزير الحرية، إذ حذره عوفق لجنها وما توفى إليه من البارة «مخاطر»

٨ - أنشأ ميخائيل أمدى عبد السيد سنة ١٨٧٧ حردة (الوطن)، وكانت سياسيتها وطنية، وصحبها حرة، وقد امتنعت تصدر إلى ما بعد الاحتلال، ووقفت جب ثم عادت إلى الظهور سنة ١٩٠٠

٩ و ١٠ - وظهوت سنة ١٨٧٧ حردة (مصر) وهي جريدة أسبوعية، محررها أديب اسحق، ومديرها سليم النقاش، وأنشأ سنة ١٨٧٨ صحيفة يومية بالإسكندرية باسم جريدة (التجارة)، وسلسلة الصحفيين وطنية حامية، تجلت فيها تعاليم جمال الدين الأدهال وروحه، وكانت له في الجريدتين بعض الرسائل، يكتبها هو أو علياً على تلاميذه وقد قلماها

(١٨٨) في طبعة سنة ١٢٨٨
من كتابها، مصر عند علي، ص ٤١٧ (الطبعة الأولى)

وانشئت عدة مطابع أخرى لطبع الصحف والمجلات كان لها الفضل الكبير في إحياء سائر الكتب القيمة في الأدب والعلم ، وتولت طبعا وطبع المؤلفات الحديثة .

من هذه المطابع مطبعة جمعية المعارف للتقدم ذكرها .

والطبعة الأهلية القبطية التي جلبها من أوروبا الأب كزلس الرابع سنة ١٨٦٠ في عهد سعيد باشا ، وهي أول مطبعة أنشئت في مصر بعد مطبعة بولاق .

ومطبعة (وادي النيل) أنشأها عبد الله أبو السعود أفندي ، وكان يطبع فيها صحيفة (وادي النيل) ، ومجلة روضة المدارس ، وجريدة (أركان حرب الجيش المصري)

و (المطبعة الوطنية) بالإسكندرية .

والطبعة الوهية ، أنشئت سنة ١٢٨٠ هـ مؤسسها مصطفى أفندي وهي (بك) ، ومطبعة أركان حرب الجيش المصري التي سبق الكلام عنها .

ومن أمهات الكتب التي طبعت في ذلك العصر وكان لها الفضل الكبير في النهضة العلمية والأدبية : كتاب للثلث السائر ، لأبي القتيح القزويني ، والأغاني لأبي القزويني .

وتاريخ ابن خلدون ومقدمته ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وهذه اللغة الثمالي . ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وفوات الوفيات ، وإسداء العلوم للغزالي ، وقصص القصر الرافعي ،

والبخاري (شرح القسطلاني) ، وسفينة الرافعي ، وحياة الخيران ، ونفع الطيب من غصن الأندلس للطريب ، وقانون ابن سينا في الطب ، وتذكرة داود ، وغير ذلك من هاتس الكتب .

مظاهر النهضة العلمية والأدبية

اقترب عصر إسماعيل بالهضة العلمية والأدبية التي ظهرت في إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ولقد الهضة عوامل شتى ، أولها انتشار التعليم في المدارس والمعاهد ، وظهور

طائفة من العلماء والأدباء ممن تخرجوا في مدارس والبعثات أو في الأهرام في عهد محمد علي وخلفائه ، وقد ظهرت ثمار قرائهم على توالي السنين ، وخاصة في عهد إسماعيل ، إذ كان

يشجع أكثرهم وبعضهم ، ويسند إليهم المراكز الممتازة في الحكومة ويخدمهم بالبلح السجدة ، فكانت هبات إسماعيل أكبر عصب النهضة العلمية والأدبية ، وكان لانتشار التعليم في المدارس

عامة أثر كبير في نموها وتقدمها ، إذ تألفت ربة صالحة من التعليم تزيدها وتناصرها بالإقبال على ما تنسجه قرائح الطماء والأدباء ، ولولا هذا الإقبال لخشعت القرائح ، وكسدت سوق العلم والأدب ، وقمة حامل آخر ، وهو عجمي السيد جمال الدين الأفندي سنة ١٨٧١ إلى مصر وإقامتها بها ، فقد وضع في الحياة العلمية والأدبية ثم السياسية روحاً من البقعة خضت بها خطوات واسعة إلى الأمام .

ومن عوامل هذه النهضة ظهور الجمعيات العلمية ، وتقديم الطاعة ، وظهور الصحافة ، ونشاط حركة التأليف والترجمة والنشر ، ففي عصر إسماعيل ازدهرت الحركة العلمية والأدبية

التي هي أساس النهضة الحاضرة ، ونشط الأدب والشعر ، وظهرت طبقة من الشعراء بدأ على شعرهم أسلوب العصر الحديث ، من حسن الليثية ، وصفاء القرطبي ، وبلاغة العبارة ،

وتهدب أسلوب الكتابة والإشهاد ، وأخذ يتخلص من شوائب التعقيد والزكافة ، والسجع المتكلف ، وهبت عليه نسمة الترميل البليغ والمعاني الطريفة .

وظهرت طائفة من العلماء المؤلفين والمربين توفروا على إخراج الكتب القيمة في الطب والرياضيات والتاريخ والفقه والتشريع وما إلى ذلك .

وارتق مستوى المناصب الحكومية ، إذ تولواها المتخرجون من المدارس والمعاهد والبعثات ، فظهرت ثمار النهضة في فروع الحكومة ، كالعلم والرى والمنظمة والإدارة والقضاء والصحة

والجيش والاسطول .

وكان للنهضة العلمية والأدبية أثرها في تقدم الحياة الاجتماعية ، ثم الحياة الوطنية والسياسية ، مما سنعرض إليه في موضعه .

والآن بمرورنا الحديث إلى الكلام عن أعلام هذه النهضة ، وسنقصر القول على خلاصة وجيزة لأعلام أولئك الأعلام الذين اكملت شخصياتهم في هذا العصر ، فمن هذه الخلاصة

تجتمع لنا صورة عامة للحياة الأدبية والعلمية في عصر إسماعيل .

احتفال الادب



الشيخ
محمّد
المصري



جمال الدين الأفغاني



الشيخ
عبد المادي
البيدوني



عبد الله باشا فكري



علي باشا مبارك



الشيخ علي النسيبي



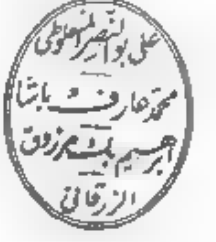
محمد بك عثمان جبال



محمد باشا سراج البارودي



أبراهيم بك الموهبي



علي باشا نصر
محمد عارف باشا
أبراهيم باشا
الزقاني



علي باشا نصر
أمين بك فكري
الشيخ محمد رفيع



أبراهيم بك
أحمد بك فتحي
عثمان مدني

في عصر استماتك



أديب استماتك



الشيخ محمد عبد الله



عبد الله بن عبد الله



عبد الله بن عبد الله



رفاعة بن رافع الطهطاوي



محمّد بن عبد الله



الشيخ محمد قطب العزبي



عائشة عصمت تيموني



الشيخ محمد طه



أحمد بك عيسى



الشيخ محمد صالح مجاري بك



محمد رفيع بن علي

محمود باشا سامي البارودي

(١٨٤٠ - ١٩٠٤)

باصحوة الأعلام في دولة الشعر حديث ، وأول من بهى به وحارى في مقفه مصر الشعراء القدامى ، كانت بشارة الأدب والحرب في عصر إسماعيل ، وسطع لجمه في سماء الأدب على ذلك العهد ، ثم انقز اسمه بمصر الثورة العربية ، وكان له ميا اللدور الكبير ، وشتونجم له في موضعه من كتاب (الثورة العربية والاستقلال الأخير)

عبد الله أبو مسعود أفندي

(١٨٧٠ - ١٨٧٨)

أول صحفى سياسى ظهر في تاريخ مصر الحديث ، ولد في دمشق قرب الجزيرة ، وأصله من بوقه ، تلقى العلم في مدرسة البورشى ، ثم انتقل إلى مدرسة الأسن ، وتخرج منها على يد راعاه بش ، فهو من تلاميذه الأعداد . وكان بمصر دوروس الأزهر ، وأقن اللغات الغربية والفرنسية والإيطالية ، وسع في ميون الأدب والشعر ، وارتقى في المناصب حتى صار في عهد إسماعيل ناظر قلم الترجمة ، مستند وأستاذ لتاريخ مدر العلوم ، ونشأ سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) صحيفه (وادى النيل) كما عدم بياه

وعظم حوادث مصر في كتاب سماه (سعة أهل العصر عنتى تاريخ مصر) ، ووصف كتاب (الفرس العام في التاريخ العام) طبع قسم منه سنة ١٢٨٩ . وعرب كتاب (تاريخ مصر) لعمه ، لمريب باشا . نجح ولد ديون شعر مطيع ، وبه ارموره عظم فيما سبره محمد على وشازاد رماعه بك وتلاميذه في ترجمة الكود (قانون المليون) ، وتولى هو وحسن أفندى مهمى المصري تريب قانون المرافعات

وشمل سنة ١٨٧٦ قاضياً عممكة الاستئناف ، وتوفى في فبراير سنة ١٨٧٨ ، وهو من وابع الأدباء والسياسة في عصر إسماعيل

عصر إسماعيل

أعلام الأدب في عصر إسماعيل

رعاية بك رافع الطهطاوى ، وعلى باشا مبارك

أفرك رعاية بك عصر إسماعيل ، وله القصل الكبير على العلم والأدب كما أسلفنا في ترجمته (عصر محمد على ص ٤٧٠ من « طعة الأول ٣٨٢ من الطبة لثانية) . وعلى باشا مبارك هو صاحب الأيادى البيضاء على الأدب والعلم والتعلم في مصر كما يينا ذلك في ترجمته .

السيد جمال الدين الأفطاني

هو باحث روح الحياة في البصة العلمية والأدبية والسياسية ، فواصب أن نمده في مقدمة أعلام الأدب في عصر إسماعيل ، وشتونجم له في القصل الثاني عشر

الشيخ حسن الروصى

(توفى سنة ١٨٨٩)

شيخ الأدباء في ذلك العصر . وأستاذ الطبة الأولى من دار العلوم ، نشأ في (موصى) ماطليويه ، وهى بلدة نجست طائفة من أعلام الأدب والعمه والده ، كال والده « شيخ أحمد حنن الروصى من « نمة العجم في عصره . ويطغ للتتوس بالأزهر ، ونشأ المرحوم ميالا للعلم والأدب . ذكر عنه اجملة على باشا مبارك في المظف . تروبيه (ح ١٥ ص ٤٠) أنه « من « جملاء لطلبة وأفاضلهم . أنه اند الطولى في كل من « وقل أن يسمع نت « لا وحفظه مع رفة لبراج ، وجمدة « وشده احدى « « وصلى ينتتوس فقر بالأزهر كبر كس . ثم تولى تدريس لغة والآداب في دار العلوم ، وتتم طلبة الفرنسية . وله مؤلفات منه « « الرسالة . الأدب في العلوم العربية طبع عصر سنة ١٢٨٩ هـ في جزئين

٢ . وه كتاب في الأدب والاستماع سماه (الكلام الثمان) في الأنة والوطن والحكومة والمدل والظلم والسياسة والحرية والذرية

على عهد السلام هذه المرتبة أيضاً ، وابقاه يراول التجارة استيقاه هذا البيت التجارى القديم
وظهر ميل المترجم إلى الأدب من مشاركته محمد عارف باشا في -س- جمعته يعرف
التي عنيت بإحياء الكتب العربية ، وقد سبق الكلام فيها ، ثم انضم مع محمد بك عثمان
جلال في إصدار جريدة سياسية اسمها (نزهة الأفكار) ولكن لم يصدر منها إلا عددان وصدر
أمر إسماعيل بإلغائها

وكان المترجم من تلاميذ السيد جبال الدين الأصفهاني ، وقد اتصل من طريقه بالحركة
السياسية التي ظهرت في عصر إسماعيل ، والتي انتهت بوضع اللائحة الوطنية وتأسيس وزارة
شريف باشا الأولى كما سيجيء بيانه في موضعه ، وعين سكرتير لإسماعيل راعب باشا وزير
للالية في الوزارة الوطنية ، وكان المترجم من رجال إسماعيل المخلصين لشخصه . المذكورين
بكومه ، ولازمه في مقام عدة سنوات ، اشتغل خلالها بالصحافة حياً ، ثم ذهب إلى الاساتذة
سنة ١٨٨٥ ، فأكرم السلطان عبد الحميد وفادته ، وعينه عضواً في مجلس المعارف ، وظل
في هذا المنصب نحو تسع سنوات ، ثم عاد إلى مصر ، وكتب في المصحف مقالات جامعة في
الأدب والسياسة والاجتماع ، جمع بعضها في كتاب سماه (ما هنالك) ، ثم أنشأ صحيفة
(مصباح الشرق) وهي صحيفة أسبوعية ظلت في عالم الأدب والكتابة مكانة لم تبلغها
صحيفة أخرى ، وله فيها المقالات الرائعة التي كادت تبلغ عليا مراتب البلاغة والإنشاء لولا
ما شابها من الإندفاع في المسجور ، والتقلب مع الأهواء ، وتوفي في ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦ .

محمد بك عثمان جلال

(١٨٢٨ - ١٨٩٨)

واضح أساس الفصحة الحديثة في الأدب المصري ، ولد في (وفاقفس) بمديرية بني سويف
وتلقى العلم في مدرسة قصر لعيني (وكانت لم تزال مدرسة إعدادية) ، ثم في مدرسته
أبي زعبل ، ثم في مدرسة الألس ، فهد من تلاميذ رفاة بك رافع بطهطاوي ونجح في العلوم
وبدا عليه الميل إلى الشعر والأدب والتعريب ، وكان ميالاً إلى الفن الرومانسي . ندرت فيه
مع تصغير ما يعرفه أحبناً . وله كتاب (المعين اليواظف) وهو تعريب شعري لروايات لافونت
وسواظه . وبعد هذا الكتاب أعظم آثاره الأدبية وأشهرها ، وعرب رواية (يول وفرجين)

الشيخ محمد عبد

(توفي سنة ١٩٠٥)

الاستاذ الإمام ، وفيلسوف الإسلام ، وأكبر العلماء وأعلم الكتاب (١٣٣) ، كانت
شأنه العلمية والأدبية في عصر إسماعيل ، واتصفت إلى لواء السيد جبال الدين الأصفهاني ،
وصار من نخاسة تلاميذه منذ قدم السيد إلى مصر سنة ١٨٧١ ، فكان هذه الفترة من الزمن
الأثر الأكبر في اتجاهه العلمي والروحي ، وكتب بعض الرسائل في صحيفتي (التجارة)
و (مصر) لأديب أسبق ، ثم عظمت شخصيته في عصر الثورة العربية كما سيجيء بيانه في
كتابنا (الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي) .

إبراهيم بك المولوي

(١٨٤٦ - ١٩٠٦)

رسم الكتاب في عصره ، وأستاذ المدرسة الحديثة في الأدب والإنشاء ، من أسرة
المولوي الشهيرة ، وهي أسرة عربية ، أصلها من (قلوب) من تغور الحجاز التي كانت تابعة
لمصر ، وكان جده السيد إبراهيم المولوي من كبار موظفي الحكومة في عهد محمد علي ، يميل
للأدب والأدباء ، فبرزت عنه المترجم هذا الليل ، وكان أبوه من أسرة مصر ، وله بيت تجارى
كبير اشتهر بصناعة الحرير وتجارته

ولد للمترجم في أوائل سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦ م) وترعرع في حجر والده ، في مهاد الر
والعمة ، إلى أن توفي أبوه سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وهو لا يتجاوز العشرين بكثير فتولى
تجارة أبيه مشاركاً أخاه عبد السلام المولوي (باشا) ، ولكنها لم يوفقا في التجارة وآل بيت
المولوي من الناحية المالية إلى الحسبان ، لولا مودة الحديو إسماعيل ، فقد نظر إلى هذا
البيت نظرة عطف وسخاء ، فوهب للمترجم وأعطاه من المال ما في ديوبها ثم انضم إلى إبراهيم
بالرب الثانية ، وجعله قاضياً بمحكمة الاستئناف ، وهو في الثامنة والعشرين من عمره وأنتم

من الفرنسية . ووضع كتاب (النحلة السبية في لغتي العرب والفرنسية) منظومة ، وحرب بعض الروايات القبطية . منها (تنزه) لوليبر . حربا بنصرف وأسماعيل (الشيخ مطوف) بعد أن أسبغ عليها مسحة مصرية ، وقد مثلت هذه الرواية على المسرح في مصر ، وله أرجوزة في رحلة الحديرو سنة ١٨٨٠ .

أدرك مترجم عصر محمد علي وحلده إلى أوائل عهد عباس الثاني ، ونظف مناصب عدة في الحكومة ، وآخر ما تولاه منها منصب القضاء في محاكم اعطلة سنة ١٨٨١ ، وأحيل إلى المعاش سنة ١٨٩٣ ، وتوفي سنة ١٨٩٨ عن سبعين سنة .

عائلة عصمت تيمور

(١٨٤٠ - ١٩٠٢)

« طليعة القفلة النسوية »^(٢١) ، في تاريخ مصر الحديث ، وقول من نبغ من المصريين في الشعر والأدب ، نشأت من بيت كرم ، إذ كان أبوها إسماعيل طاشا تيمور ، أحد كبار الحكام في عصر عباس الأول وسعيد وإسماعيل ، وشقيقها العلامة أحمد باشا تيمور ، بدت عليها ملكة الأدب والشعر وهي بين السابعة والثالثة عشرة ، ورأى أبوها منها هذا الميل ، فحسب بتخفيفها ، وأنحضر لها أستاذين لتأخذ عنهما الأدب والعلوم ، وكانت الشعر وهي في الثالثة عشرة ، فأعجب بها والدها وحبيب إليها إيجاده ، فأكتب على نظم الشعر بلغات ثلاث ، الفارسية والعربية والتركية ، وتزوجت في الرابعة عشرة بمحمد بك تولق بن محمود بك الاسلامبولي ، فمثلها الحياة الزوجية من الأدب حيا . فلما ثبت ابنها (توحيد) عهدت إليها شئون المنزل ، وبعد وفاة والدها سنة ١٨٨٢ وزوجها سنة ١٨٨٥ تفرغت للشعر والأدب . راقحت الشعر والعروض على يد معلمين من أهل العلم في هذا العصر ، مما فاطمت الأهرية ، وسيتت الطلاوية ، وعادت إلى نظم الشعر ، ثم توفيت ابنها توحيد فاشتد حزنها عليها ، وشملت بالدكوى والبكاء سبع سنين عددا ، ثم عادت إلى الكتابة والشعر ، وكانت وفاتها سنة ١٩٠٢ .

(٢١) تيمور الكاتبة الأديبة (الآلة م) في رجسنا لعائلة عصمت تيمور

وكان له أدب حية طرر وهو ديد - شعره ممدود - شكوة وممدود - كى وممدود - وه نتائج الأحوال في الأقوال والأفعال وهو قصة أدبية كتبها بأسلوب ممدود

عبد الله باشا فكري

(١٨٣٤ - ١٨٨٩)

من عظام أدب في عصر إسماعيل ، ولد بمكة المشرفة ، وكان أبوه محمد أفندي بليغ قد تخرج في المدارس الملكية التي أنشأها محمد علي ، ومهر في العلوم الرياضية ، إلى أن صار من المهتمين والتحق بخدمة الحكومة وحضر مواقع حربية ، أمضا في حرب الموده ، فمقد في الموده على والده المترجم ، وعاد بها إلى الحجاز ، فوضعت بمكة خلافا هو صاحب الترجمة ، وحتى باسم حده الشح عبد الله أحمد علمه الأزهر ، ثم عاد بليغ أفندي إلى مصر ، وما زال في خدمة الحكومة ، حتى تقلد منصب باشمهندس الشرقية ، ثم معش هندسة الحيرة والبحيرة ، وتوفي سنة ١٢٦١ هـ . ومترجم لم يتجاوز الخدمة عشرة ، فأخذ يطلب العلم بالأزهر وأحسن اللغة العربية وعلومها ، والحديث والتفسير ولتلق ، وتعلم اللغة التركية أيضا . والتحق بالمناصب مع استمراره حينما على تلق العلوم بالأزهر ، وانتظم في عهد سعيد باشا بالعبية السبية ، وتولى كتابة الإنشاءات الديوانية بالعربية والتركية ، واستمر بالعبية إلى عهد إسماعيل ، ورافقه في رحلته إلى الامتانة ، وظل متصلا به ، مشغولا برعايته وعهد إليه سنة ١٢٨١ ملاحظة تعلم أبنائه الأمراء فاصطلح بهذه المهمة وكان يلاحظ الدروس التي تلقى إليهم وأحيانا يدرس هم بنفسه .

وكان يتولى كتابة رسائل الحديرو إسماعيل في مهام الدولة ، فبعض بأسلوب الكتابة الرسمية ، ومعظم هذه الرسائل منشور في (التوائد المصرية) ، وتدرج في المناصب على عهد إسماعيل وروبو الكاتب الأهلية بوزارة المطابع جعل وكلا لها سنة ١٨٧١ ، وصار وكلا لوزارة المعارف في يولييه ١٨٧٩ . واسمر يعمل هذا منصب إلى ديسمبر سنة ١٨٨١ . بد تألف مجلس لنواب على عهد الثورة العربية ، فعمل كبير كتاب المجلس ، ولما ستقلت وزارة شريف باشا وألف محمود باشا سامي البارودي الوزارة في فبراير سنة ١٨٨٢ ،

السيد عبد الله نديم

(١٨٤٣ - ١٨٩٦)

الكاتب الشهير الأديب . والمحبيب الوطني الموقر . أحد تلاميذ السيد جمال الدين الأفندي ، ومن الذين استمسكوا بتعاليمه ومبادئه طول حياته ، ولد بالإسكندرية ، ونشأ محباً للأدب ، حباً للحضارة والشعر . جريئاً مقدماً ، مولماً بالحرية . بدأت شخصيته الأدبية والسياسية تظهر في أواخر عهد إسماعيل ، وبدأ بشر رسائله في حريدي (مصر) و (التجارة) ، وأسست سنة ١٨٧٩ الجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية ، التي ضمت أعيان الثغر ووجهاءه ، وكانت باكورة أعمالها إنشاء مدرسة أهلية لتعليم البنين والبنات ، وهو أكبر خطباء الثورة ، وله فيها دور كبير سبغته في عروصه من كتاب (الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي) .

أديب اسحق

(١٨٨٥ - ١٨٥٦)

الشاعر النادر ، والصحفي السياسي الحر ، ولد في دمشق ، ومدا منه مند صباه الميل إلى الشعر والأدب ، والتملق بالحرية ، لما أن جاء مصر حتى اتصل بجمال الدين وصار من أخصى تلاميذه ، وأصدر جريدة (مصر) ثم جريدة (التجارة) وامتازت بالأسلوب البليغ والروح الوطنية ، وكان السيد جمال الدين يكتب فيها أحياناً ، وكذلك الشيخ محمد عبده ، ولقيت الصحيفتان إقبالاً عظيماً ، ثم ألغيت بأمر رياض باشا ، وهجر أديب اسحق مصر سنة ١٨٨٠ ، ورحل إلى باريس حيث أصدر فيها جريدته باسم (القاهرة) ، وهناك أصيب ببله الصدر ، وعاد إلى بيروت ، ثم رجع إلى مصر في عهد الثورة العربية . وعاد إصدار جريدته (مصر) ، وعين رئيساً لقلم الترجمة بوزارة المعارف ، ثم كاتباً نائباً لمجلس النواب ، ولما أُنشئت الثورة هاجر من مصر ضمن من هاجروا إلى سوريا ، واشتدت به عنة الصدر ، فجهده مصر للاستشفاء ، فلم تندم صحته ، فعاد إلى بيروت ، ولم يخلص عليه ثلاثون يوماً حتى عاجلته المنية سنة ١٨٨٥ وهو في ريعان الشباب ، وقد جمعت أقواله وأشعاره في كتاب اسمه « لدر » .

اشترك المترجم فيها متولياً وزارة المعارف لعمومية . فكان حضوراً في « وزارة الثورة » التي عارضت الخديوي توفيق باشا واستقالت احتجاجاً على مسلكه في مايو سنة ١٨٨٢ ، ومن هنا سقط الخديوي على المترجم ، فلما أُنشئت الثورة كان من المقبوض عليهم بتهمة الاشتراك في الفتنة ، ثم أطلق سراحه بعد أن أثبت براءته منها . ولكن معاقبته كان موقفاً من يوم اعتقاله ، فأنقذ نفسه من توفيق باشا المصروحه في قصيدة طويلة أناب فيها من إخلاصه وولائه لبلده ، فأمر بإعادة معاقبته ، وفي سنة ١٣٠٦ هـ تدبته الحكومة لرأسة الوفد المصري في المؤتمر الذي انعقد بمدينة استوكهولم عاصمة السويد والنرويج ، وخرج على بعض بلاد أوروبا ، يصحبه بحمل أمين باشا فكري ، ولما عاد اشتد به مرض أصابه أثناء رحلته ، حتى وافاه الأجل يوم ١٠ اغرم سنة ١٣٠٧ ، وكان كاتباً أدبياً وشاعراً بليغاً .

الشيخ عبد الهادي نجما الإيلاري

(١٨٢١ - ١٨٨٨)

من كبار الأدباء والكتاب في ذلك العصر ، وصفه علي باشا مبارك في خطط التوفيقية (ج ٨ ص ٢٩) بالخير العام وقدر العلماء الأعلام ، الإمام الأريب واللوحى الأديب ، الشاعر النادر ، المحافظ الماهر ، العلامة الشيخ عبد الهادي نجما ابن العلامة الشيخ رضوان الإيلاري ، ولد في إيلار غربية ، وتلقى العلم في الأزهر على يد شيوخه ، ونجح في علوم اللغة والفقه والأدب ، فذاعت شهرته ، وعهد إليه الخديوي إسماعيل بتعليم أبنائه وتعليمهم ، ومهم الأمير توفيق باشا ، وكان وهو يتولى هذا المنصب تصدر للتدريس في الأزهر إلى بنته ، وأحد عنه كثيرون من حدة معلمه . كما منح حسن نصري والشيخ محمد نسوي . ولما بولى برص من الأرمكة الحسنة به دعه له وصية به . ونعمة ومنتج . وشعر هذا المنصب حتى وفاته ، وكان كاتباً أدبياً ، واصل أعلام الأدب في سائر الأقاصى كآحمد الأرض الشدياق والشيخ نصيف البارقي والشيخ إبراهيم الأحمد . وله مؤلفات قيمة في الأدب واللغة بلغت أربعين كتاباً .

الشيخ ابي

(توفى سنة ١٨٩٦)

شاعر الخديو إسماعيل - وشيخ الدماء في عصره - كان أديب دكتي الفؤاد - حاصر
البدية ، لطيف العشرة ، طو الحديث - حبيب الروح - محباً للحير ، محباً من معاصريه ،
قربه إليه الخديو ، وجعله مششاً بالمية - . وكان - بتصححه في غدوته وروحائه - ويحترمه
ويأسى لسمه وأحاديثه ، وله ديوان شعر م يضع

علي أبو النصر المتلوطي

(توفى سنة ١٨٨١)

من شعراء ذلك العصر المحدثين ، ولد في متلوط - وتلقى منه صباه بالشعر والإنشاء ،
فقره إسماعيل إليه وحمله مششاً بالمية ، وقال جوائزه وحياته ، ورافقه في سفره إلى الأستانة
على عهد السلطان عبد العزيز ، وله ديوان شعر طبع بيولاق سنة ١٣٠٠ هـ

الشيخ حس الطويل

(توفى سنة ١٨٩٩)

هو أديب من درس المتلق في مصر قبل حضور السيد جمال الدين الأعفاني ، ومن كبار
علماء الأزهر وأساقفة دار العلوم ، وجهابذة المنطق والعلوم الرياضية ، أخذ عنه العلوم
الشرعية والرياضية والفلسفية عبة من علماء مصر وديارها - توفى في ٤ يولييه سنة ١٨٩٩

السيد صالح محدي بك

(١٨٢٧ - ١٨٨١)

كاتب شاعر ، ومعرب ومؤلف ، ولد بقرية في رجبوا القلية سنة ١٢٤٣ هـ وتلقى العلم
في مكتب حلوان من المكاتب النظامية التي أنشأها محمد علي باشا ، ثم في مدرسة الألسن -
فأثنى علوم اللغة العربية ، ودرس الفرنسية ، ومهر في الصريب على يد أستاذه رفاعة بك رافع

الطيطاري ، وبعد أن تخرج في مدرسة الألسن التحق بقلم الترجمة ، وتخصص في تعريب
كتب الرياضيات ، ثم انتقل إلى مدرسة المهندسة ، وتولى بها تدريس العربية والفرنسية
والترجمة - وعرب كثيراً من الكتب الرياضية وكانت كلها تدرس في المدارس ، وله غير
ذلك من الكتب التي نجل عن الحصر ، كما يقول عنه العلامة علي باشا مبارك (انشط ج ٨
ص ٢٢) ، وبعد أن قضى عشر سنوات بتولى التدريس في مدرسة المهندسة انتقل إلى
ألاي الهندسي والكبورية ، وتولى ترجمة وتصحيح ما يعرب من الفنون الحربية ، وانتقل إلى
عهد إسماعيل إلى قسم الترجمة للمستجد ، واشترك في ترجمة (الكود) قانون نابليون ، وتولى هو
تعريب قانون تحقيق الجنابات ، واستمر يرقى في للتصحيح حتى جعل سنة ١٢٨٧ هـ مأموراً
لإدارة المدارس ولما أُنشئت المحاكم المختلطة عين قاضياً بمحكمة مصر المختلطة ، وشغل هذا
للتصحيح حتى توفى سنة ١٨٨١ ، وكان شاعراً أديباً ، له ديوان شعر كبير طبع سنة ١٣١٢ هـ ،
وله مقالات أدبية في مجلة (روضة المدارس) ، ووضع كتاباً لم يطبع في ترجمة حياة رفاعة بك
والجسم (حلية الزمن بمقتاب خدام الوطن) ، وقد أحصى العلامة علي باشا مبارك مؤلفاته
وترجمته بلغت خمسة وستين كتاباً ورسالة ، وكتب يده من لكراريس ما لا يدخل تحت
حصر

إبراهيم بك مروي

(١٨١٧ - ١٨٦٦)

شاعر أديب ، أدرك أوائل عهد إسماعيل ، وهو من تلاميذ رفاعة بك ، ترقى بالخرطوم
سنة ١٨٦٦ ، وله ديوان شعر جمعه محمد بك سيد أمين جعفر مظهر باشا حاكم السودان
وسماه ، الدر البهي المسوق ، بديوان إبراهيم بك مروي ، طبع بيولاق سنة ١٢٩٤ هـ

أبو الوفاء نصر اللوزي

(توفى سنة ١٨٧٤)

من خرجي بمئات محمد علي ، وكان يجيد الفرنسية ، وله كتاب في المطالع النصرية
للمطالع المصرية في الأصول الخطية ، وكتاب في سلية المصاب على فراق الأحباب

بقية أعلام الأدب

وثمة أدباء آخرون مثل الشيخ محمد قطب المعوى أحد كبار الأساتذة و مدرسة الألسن ، وقد أدرك أوائل عصر إسماعيل ، والشيخ أحمد عبد الرحيم الأستاذ بمدرسة الألسن ، والشيخ مصطفى سلامة ، وكلاهما من محرري الوقائع لمصرية ، والشيخ إبراهيم عبد المنعم التستوي كبير مصححي الكتب العلمية واستاد المشرق (بين) والمتوفى سنة (١٨٨٣) ، وإبراهيم بك النفاذ أحد تلاميذ السيد جمال الدين الأفغاني ، وكان يكتب في جريدتي (مصر) و (التجارة) ثم في (مرآة الشرق) وغيرها من الصحف والوقائع الشعر الادب وعبد أهدى عبد الرزاق المتوفى سنة ١٨٧٣ (١٢٩٠ هـ) عرب كتاب (غايه الأرب و حلالة تاريخ العرب) للمير سليم طبع سنة ١٢٨٩ هـ . والشيخ حمزة فتح الله وقد بدأت كتابته اللغوية تظهر في ذلك العهد ، وأمين بك فكرى محل عبد الله باشا فكرى ، وعمل بك مهمى رفاعة محل رفاعة بك ، وأحمد بك ضحى ناظر مدرسة رأس التين . وتادرس أفندى وهى (بك) . وعبد أفندى فنى ، وعبد السلام أفندى سلمى . والشيخ عثمان ملوخ ، وهؤلاء ظهرت باكورة آثارهم الأدبية في مجلة (روضة المدارس) .. إلخ . إلخ .

علماء الهندسة والرياضيات

على باشا مبارك . مصطفى هجيت باشا ، محمد مظهر باشا . أحمد فايد باشا ، حسين باشا مهدي المهار ، أحمد بك السكى . حسن بك نور الدين . وهؤلاء قد ترجمنا لهم في ١ عصر محمد علي ، ص ٥١٥ وما بعدها (من الطبعة الأولى) .
حسن حسنى باشا وقد ترجمنا له في الكتاب الخالى ص ٢٥٣

محمد باشا الفلكي

(١٨١٥ - ١٨٨٥)

هو محمد باشا حمدي الفلكي ، أنجب من أنجبهم مصر الحديثة في الفلك والرياضيات ، ولد سنة ١٢٣٠ هـ - ١٨١٥ م ببلدة الحصنة بمديرية الجفرية ، وصى أخوه بتريته وأدخله مدرسة الإسكندرية التي أنشئت سنة ١٨٢٤ في عهد محمد علي ، فارتقى إلى رتبة بلوك أمين .

محمد صفوت الساعاتي

(توفى سنة ١٨٨٠)

شاعر أديب ، توجه إلى البحار ، فأكرم أمير مكة مثواه ، وأبقى عنده مدة ثم عاد إلى مصر والتحق بالبنية ، وعرف بالساعاتي لبراعته في فن الساعات ، وإن لم يحترفه ، وله ديوان مطبوع سنة ١٩٢٢

محمد عارف باشا

تم من أفاضل علماء ذلك العصر وأدبائه في اللغتين العربية والتركية ، وقد تجلّى ميله إلى العلم والأدب في إنشائه جمعية المعارف التي سبق الكلام عنها .

أحمد بك عبيد

(توفى سنة ١٨٨٠)

من بوايع خريجي مدرسة الألسن ، ورئيس قلم الترجمة بوزارة الحرية ، وله تراجم في العود الخيرية والرياضية ، وترجم عن الفرنسية تاريخ بطرس الأكبر ، وكان وكيلاً للمحكمة التجارية بالقاهرة ، ثم قاضياً بمحكمة الإسكندرية المختلطة سنة ١٨٧٥

خليفة أفندي محمود

من خريجي مدرسة الألسن ، ومن أنجب تلاميذ رفاعة بك ، التحق بقلم الترجمة وصار رئيس القسم الخاص بترجمة التواريخ والأدبيات في هذا القلم ، وله تراجم كثيرة في التواريخ منها (إنحاف الملوك الألبا بتقدم الجمعيات في بلاد أوروبا) وهو مقدمة لتاريخ الأميراطور شارلكان الذي عربيه بعنوان (إنحاف ملوك الزمان بتاريخ الأميراطور شارلكان) لروبرتسون ولهم المذبح الإنجليزي في ثلاثة أجزاء طبعت سنة ١٢٦٦ هـ ولندرك أوائل عصر إسماعيل وتوفى سنة ١٢٨١ هـ (١٨٦٤)

(٢٥) كما جاء في معطى التوفيق ج ٨ ص ٢٣

علماء الهند والرياضيات في عصر ابن الخلد

وكان آخره قد سبقه إلى دخول هذه المدرسة وخرج منها ضابطاً في الأسطول . ثم فرج إلى مدرسة الهندسة عصر ، بعد أقرانه من التلاميذ في العلم والذكاء وحسن الاستعداد ، وخرج من المدرسة سنة ١٢٥٥ هـ وكان من أوائل التاجين . معين "سار" مساهداً للعلوم الرياضية بها ، وقال رتبة ملازم ثان ، وكان من تلاميذه وفند على مريد (باشا) . وبقى يتولى التدريس بالهندسة ، وتعلم اللغة الفرنسية واستطاع أن يعرب بعض الكتب الفرنسية في الرياضيات ، وأعد يقين من ذلك الحين دراسة العلوم الفلكية في المزايدات التي وضعها كبار علماء الفلك برنسا ، ويدرس هذه العلوم لتلاميذ الهندسة ومن تلاميذه فيها إسماعيل (باشا) الفلكي ، وابنكر وضع التقويم السوية ، فوضع تقويماً لسنة ١٢٦٨ هـ تدرى فيه بين التواريخ المجرية والبلادية والقبطية ، وبين مواقع الشمس والقمر لثلاث السنة . وعرف بين الناس من ذلك الحين بلقب (الفلكي) ، الذي لاربه طول حياته .

ولى سنة ١٢٦٦ هـ (منتصف سنة ١٨٥٠) اعترم عباس باشا الأول بإعادة تنظيم رصدخانه بولاق (دار الرصد) المنشأة في عهد محمد علي ، فاختار ثلاثة من نوابغ المهندسين إلى باريس للتخصص في الفلك ، وهم المترجم وكان مقرراً بالهندسة وحسين أفندي إبراهيم ، وإسماعيل مصطفى الفلكي ، وكانوا قد أتموا دراستها بالفرنسية . فسافروا إلى أوروبا سنة ١٨٥١ هـ ومكث المترجم نحو تسع سنوات مكياً على استكمال العلوم حتى نبع في الرياضيات والفلك

وكان يواصل الحصول بدار الرصد في باريس ، وزار دور الرصد في مختلف الواسم بأوروبا ، وظهر نبوغه هناك بإدخاله بعض إصلاحات في الآلة السماء بالتبديد ، ونشر بعض مباحث فلكية في المجلات الأوروبية ، ووضع أثناء دراسته يلويس الرسائل الآتية

١- رسالة عن التقويم الإسلامية والإسرائيلية طبعت سنة ١٨٥٥ ببروكسل .
٢- رسالة عن التقويم العربية قبل الإسلام حقق فيها موكده التي عليه الصلاة والسلام ونشرت في المجلة الآسيوية ثم عرّبها الأستاذ أحمد زكي (باشا) بعنوان (نتائج الأبحاث في تقديم العرب قبل الإسلام)

٣- رسالة عن فعل (كان)

٤- رسالة عن المواد المتطايرة الأرضية قدمها سنة ١٨٥٦ إلى المجمع العلمي بفرنسا وقال : " جمع أعظم الشهادات العلمية " ثم عاد إلى مصر في عهد سعيد باشا سنة



١٨٥٩ . فأقيم عليه بركة أميرالاي ، وعهد إليه وضع خريطة مفصلة للنظر المصري فاصطلح بهذه المهمة وشرع في تخطيط تلك الخريطة بمعاونة بعض المهندسين . ورتب . . . وأبرر من جليل صنعه وجليل وضعه لما اتبعت منه العقول ووقفت على مقدار براعته ، فأخرج خريطة جامعة للوجه البحري لم يسبقه إليها أحد من العلماء والمهندسين ، ووضع خريطة أخرى للوجه القبلي ، وأخرى عن مدينة الإسكندرية .

وفي سنة ١٢٧٦ هـ عهد إليه سعيد باشا بالرحلة إلى دققة لملاحظة كسوف الشمس الكلي ، فأدى هذه المهمة ، وانجز هذه الفرصة فحقق الواقع الفلكي على النيل ، ووضع رسالة مسهبة عن هذا الكسوف قدمها إلى سعيد باشا وإلى أكاديمية العلوم بباريس قالت استحسان العلماء .

وخطط معالم الإسكندرية القديمة ، ونقب في خفاها ، وهو أول عالم مصري كشف عن آثار الإسكندرية وموقع سورها القديم ، وله في ذلك رسالة يدوية باللغة الفرنسية عن الإسكندرية القديمة طبعها سنة ١٨٦٦ ، وهي رسالة تتضمن نتائج مكشفتها وما قام به من النقب والخفر ، وما وصل إليه من كشف معالمها القديمة ، كأنسوارها ، وشوارحها ، وأقبعتها ، ومراسمها ، ومنقحها ، ومكبتها الشهيرة ، وقصورها ، ومبانيها ، وضواحيها ، ولم يسبقه إلى هذه المكشفات المؤسسة على عمليات الخفر عالم مصري من الأفرنج ، لأن مهندسي الحملة الفرنسية لم يكن لديهم الوقت ولا الوسائل الكافية للحر والتفتيش^(٢٦) ، وقد عثا ثنائ منهم في مواقع الإسكندرية ، أولها المسيو سان جنيس Scial gens أحد مهندسي الحملة ، وله في الإسكندرية القديمة بحث مستفيض منشور في الجزء الخامس من كتاب (تخطيط مصر) Description de L'Egypte ولكن المسيو سان جنيس لم ينقب ولم يخفر الأرض كما فعل محمود باشا الفلكي . بل اكتفى بذكر نتائج مشاهداته وآرائه التاريخية ، وكذلك كتب المسيو جريان لويس Griseu Lepere عما في وصف الإسكندرية بشرق الجزء الثامن عشر . فخصر فيه على تدوين مشاهداته وما نقله عن مؤرخي الأفرنج والعرب ، والمسيو جريان Norry والمسيو مارتان Martin وكلاهما من مهندسي الحملة الفرنسية فكان أول أهميه من . . .

(٢٦) عن رحمة حياته بقلم إسماعيل بك (باشا) الفلكي والأميرالاي محمد عتار بك (باشا) في حاضرة أقباطها بالمسيب خيرية ليلة ٨ يناير سنة ١٨٨٦ ونشرت في مجلة الجمعية جريدة ٢ عدد ١٢ (٢٧) من كتابها تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ١٦٦ (طبعة أول)

سان جنيس وجريان لويس ، منشور في الجزء الخامس عشر من كتاب (تخطيط مصر) وكل هذه المباحث لم تكن مقرونة بأعمال الخفر والتفتيش .

لمحمود باشا الفلكي هو أول عالم مصري خطط معالم الإسكندرية القديمة ، على ما كشفت له أعمال الخفر تحت الأرض ، وقد بذل في مكشفتاته جهوداً كبيرة . وكان تحت مرته جماعة من المهندسين المصريين ، ونحو مائتي عامل يشغون في النقب والخفريات ، ومما أفرد عمله وميزه أنه استثار الأرض في عهد الخديو إسماعيل باشا ، أي قبل أن تعطي لملائي الحديثة ، وتضيق معالم الآثار ، فهو أول من سطت صور البطالة القديم لتخطيطاً مباحاً على الاكتشاف والنقص الدقيق .

ورسالة محمود باشا الفلكي مقرونة بخريطة هي أبعد ما رسمه العلماء والمهندسون عن الإسكندرية القديمة ، وإليها يرجع علماء أوروبا في أبحاثهم .

وقد خالف علماء الحملة الفرنسية في بعض آرائهم . فعين لمدينة (كاتوب) مكاناً غير الذي عبوه ، وكشف أطلال مدينة نابوريريس (برصير - غربي الإسكندرية) التي يسمى الفرنسيون برجها برج العرب .

وله رسالة ممتدة في التوضيح عن عمر الأهرام والفرض الأصلي من تشيدها ، وتناسبها مع كوكب الشعرى ، وأخذ بنفسه مقياس الأهرام وموقعها من التناسب الفلكي .

قال الأميرالاي محمد مختار بك (باشا) في هذا البلد : «وكت موجوداً معه عند شروعه في أخذ مقياس الأهرام وموقعها من التناسب الفلكي ، وأعلم علم اليقين أنه وصل إلى معرفة العرص من شيدها ، إذ وجدها محكمة البناء في رسم يقابل كوكب الشعرى عند طلوعه ، فكان الذي بناها قصد أن يجعلها مزولة ليعرف بها يوم شم تسم العلماء ، وكذلك لأجل تزيين جثث المدفونين فيها لموافاة صعود الكوكب المذكور ، فيسبح عليهم من آياته رحمة وعفوانا ، لأن كوكب الشعرى كان من معبودات المصريين القدماء »

وله رسالة في التثنية بارتفاع النيل قبل وقوعه ، وأخرى عن ضرورة إنشاء دار الرصد بمصر ، وأخرى في توحيد موازين العملة في الديار المصرية ، ورسالة في القاييس والمكاييل في مصر ، وترجم كتاب (حساب التعاضل والتكامل)

وعين سنة ١٨٧١ ناظرًا للدرسة للمهندسة ، وتولى نظارة الرصدخانه ، وإدكان وكيلًا للجمعية الجغرافية ، فقد ناب عن الحكومة المصرية في المؤتمر احمراي الذي عقد بباريس سنة

عهد إليه بطاقتها ، وقد عهد إليه دراسة مشروع سكنة جديد سواكن - بربو ماسود ل .
فصله ووضع تقصيصا له ، ولكنه لم يشد ، ونائب عن الحكومة سنة ١٨٧٣ في مؤتمر الإحصاء
الدولي بوسكو ، فأعجب العلماء بكفاءته وسعة اطلاعه ، وتولى نظارة الرصدخانه ونظارة

مدرسة الهندسة

ومن أمثاله أن أصلح مقياس النيل في أسوان سنة ١٨٧٠ ، وله مؤلفات في لذلك

وربما يصيات أهمها

١ - الآلات الناهرة في النجوم الزاهرة ، طبع ديلا لحلة روضة المدارس .

٢ - الدرر لتوفيقه

٣ - تقاويم طليقة كان يشرها كل عام بالعربية والعربية

٤ - وصحة المرضية في اللقايس والنوازين القوية معربة عن الفرنسية شاركة في تحريرها

صاحبه بك شمس .

سلامة باشا

هو سلامة باشا إبراهيم ، مفتش هندسة الوجه البحري ، ثم مفتش هندسة الوجه القبلي ،
ثم مفتش صوم ديوان (وررة) الأشمال ، وهو من كبار المهندسين في ذلك العصر ، وأصله
من الإسكندرية وأبوه السيد إبراهيم شراييه من صالح شراييه من مال القبر (٢٨) ، وله آثار
شاهد له بالكفاءة في الأعمال الهندسية ، منها أنه أنشأ نزع الساحل ، وكان وقتئذ وكيلًا لظهير
باشا مفتش عمر الشرق (مرج دਿਆد) على عهد سعيد باشا . واشترط مع مصطفى بهجت باشا
في إنشاء نزع الإبراهيمية ، وهي من أصل غال العمران التي بنيت في ذلك العصر ، ولما
قامه فطاطر لتقسيم على النزع المذكورة ، وهي من أعظم فطاطر الذي في العالم

محمد ثالث باشا

من أمثال القروية بجمهورية العربية ، ومن مشاهير المهندسين في عصر محمد علي وإسماعيل ،
حضر بعض المواقع الحربية على عهد محمد علي ، وعاون مصطفى بهجت باشا في بناء القناطر
الحربية . وصار مفتش هندسة الوجه القبلي ، توفي سنة ١٨٧٤

٢٧٤ من حجة نزع سلامة باشا في عام الأحد ١٥ ظرم سنة ١٣٠٠ هـ بمكة بمصر الشريف

٢٧٤ والذكر الميراثي الآخر الذي عهد بمدينته الهندية سنة ١٨٨١

١٨٦٥ ، ومن أعظم مدفع حقل . وثلاثة ، وأما على سطح منزله (عبيد الله الكلب) مروقة نهب
ومن أعظم مدفع حقل . وثلاثة ، وأما على سطح منزله (عبيد الله الكلب) مروقة نهب

سعدت البلاد . ورغب من مكاتبها بعد وفاته

وقد تولى وزارة الأشغال سنة ١٨٨٢ في عهد وزارة إسماعيل راعب باشا ، وعين وكيلًا

وزارة المعارف في وزارة شمس ، سنة ١٨٨٢ ١٨٨٤

ثم عهد إليه بوزارة المعارف في عهد وزارة شمس الثانية سنة ١٨٨٤ ، وتولى رئاسة

جمعية خيرية خيرية ، وهي يتولاها مع الوزير إلى أن توفي في ١٩ يولييه سنة ١٨٨٥

وقد تولى الجمعية الخيرية الخيرية في اجتماعها يوم ٨ يناير سنة ١٨٨٦ ، وألقى كل من

إسماعيل بك مصطفى الكلب والأمرالي محمد عسكر بنت محصورة في ترجمة حياته وآثاره .

والنوح الأميرالي محمد عسكر بك افتتح مكتبة الترجمة ، وما فيها من مائات الكتب ،

وما سطره وما دونه من ملاحظاته ومعلوماته ، وبتتبع استأثره العلمية ، وكان الترجمة يتكرر في

إعداد ثلاثة طاعة للسلطنة بإداره يمرض فيها أن يوجب من عجب الإطلاع كل ما وصل إليه من

مائات الكتب والمخطوطات والمطبوعات ، وقد تحققت هذه الفكرة سنة ١٩٢٩ ، إذ وهبت

مكتبته مكتبة القيد إلى الحكومة .

إسماعيل باشا الكلب

(توفي سنة ١٩٠٩)

هو إسماعيل باشا مصطفى الكلب ، من تلاميذ محمود باشا الكلب ، ومن وابع علمه
الزراعيات وملك . ثم درسه في مدرسة الهندسة ببولاق والتحق سنة ١٨٤٥ على عهد
محمد علي بالرصدخانه القديمة التي كانت ببولاق ، ثم أوقفه عباس الأول سنة ١٨٥٠ ضمن
البحر التي تخصصها لدراسة الفلك ، وكانت مؤلفة من محمود حمدي (باشا) الكلب ، ومن
الترجم وحسين ، الذي إبراهيم ، ومكتب إسماعيل أربعة عشر عامًا في فرنسا بدرس علوم
الفلك . وتعلم فيها ، وعلموها في دور الرصد ، فصار يتقن هو ومحمود باشا لقب
(الفلكي) ، ومارس أيضا صناعات الآلات الفلكية ، وأنشأ في باريس ، وعاد إلى مصر في
أوائل عهد إسماعيل ، فقدر كفاءته وأتم عليه بالرة الداية ، ولما أنشأ الرصدخانه بالعباسة

إسماعيل باشا محمد

ناظر قلم الهندسة ورئيس إدارة دروس المدارس الملكية ، ثم مفتش هندسة الوجه القبلي .
واشترك في إتمام ترعة الإبراهيمية وقناطرها ، وهو الذي حارر رئيس مجلس شورى القواحي
سنة ١٨٩٩ .

أحمد بك نجيب

أستاذ الرياضة بمدرسة أركان حرب والطوبجية ، وله كتاب (التحفة البهية في الهندسة
الوصفية) ، طبع سنة ١٢٩٠ هـ .

حسين أفندي علي التلجك

مدرس الحساب بمدرسة المحاسبة ، وله كتاب قيم في مسك الدفاتر اسمه (حدة الحساب
ومعدة الكاتب) طبع سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩) وله كتاب (عمل الدولتين المتواتر في بيان
رموز الدفاتر) طبع سنة ١٢٩١ .

علي أفندي عزت

أستاذ العلوم الرياضية بالاهتمام بالهندسة ، توفي سنة ١٨٧٢ وله كتاب (حسن الصناعة في علم
الطبيعة) طبع سنة ١٢٧٠ هـ ، و (النجاة العزيمية في تهذيب الأصول الهندسية) طبع سنة
١٢٧٤ و (الخلاصة العربية في تهذيب الأصول الحسابية) طبع سنة ١٢٨٥ .

عامر بك سعد

أستاذ الرياضيات بالمدارس الحربية ، وله (النجاة القهرية في الأعمال الحربية) طبع سنة
١٢٦٩ هـ ، و (أحسن الوسائل لتصريف السوائل) طبع سنة ١٢٩١ ، وهو ملخص القواعد
النظرية في تصريف المياه من البحيرات والخدود

السيد حمادة

من تلاميذ رفاعة بك ، وله كتاب (تهذيب العبارات في من أجد المساحات) عربي من
العربية بإرشاد رفاعة بك

علماء الطب والجراحة

محمد علي النفل باشا ، أحمد حسن الرشيد بك ، محمد الشامي بك ، حبيب حوف
باشا . هؤلاء قد ترجمنا لهم في عصر محمد علي ، من ٥٢١ وما بعدها (طبعة أول)

محمد حري باشا

(١٨٤١ - ١٩٠٠)

كبير الجراحين في عصره ، ولد بالقاهرة سنة ١٢٥٧ هـ ، وأبوه السيد عبد الرحمن أحمد
من محلة أبي علي القنطرة (غربية) ، تلقى التعليم الابتدائي والثانوي ، ثم التحق بمدرسة
المهندسخانة في عهد نظارة علي باشا مبارك ، لكنه كان ميالاً إلى الطب ، فما زال يسعى في
الانتقال إلى مدرسة قصر المعيني حتى وفق إلى غرضه سنة ١٢٦٩ هـ ، والتحق بها . وأكب
على الدراسة ، ولجج في الامتحان السنوي ، ولكن سعيد باشا أمر بإلغاء مدرسة الطب وأخرج
متي تلاميذها ، فكان المترجم ضمن من أُلحقوا بإحدى الأورط العسكرية في الجيش ، فلم
يتسرب إليهم إلى نفسه ، وأخذ يسعى بالإطلاع على المعلومات الطبية ما استطاع . ذلك
سيلاً . واشتغل عرضاً في الجيش ، وظل كذلك إلى أن أعاد سعيد باشا فتح مدرسة طب ،
فعاد إليها المترجم ، وأتم دراسته بها ، وظهرت عليه علام الدكاء والبرق . فعني مساعداً
ومعيداً للجراحة بالمدرسة

وفي سنة ١٢٧٩ هـ ، ردد سعيد باشا بعض من لأطباء لإتمام دراستهم في باريس مؤلفة من
الأطباء محمد بك فوزي ، ومحمد بك عامر ، وقاسم بك فتحي ، ومحمد بك الفداوي . وعلى
بك رياضي ، ومحمد بك دهران ، وعقبانوي أفندي ، والمترجم ، وكان أصغرهم سناً . وقد
استدعت الحكومة هؤلاء الأطباء في أوائل عهد إسماعيل ، قبل تمام دراستهم . لاحظ

علماء الطب والجراحة في عصر اسماعيل

حكومه إليهم ، فرجعوا إلى مصر ، عاد المترجم فقد استقر بهم لمصر سنة ، فأكمل معارفه الطبية وأتم دروسه على أشهر جراحى العالم وقتئذ ، وبقى يوالى الدرس واتخصص في باريس بحوسب سوات ، وتبع في الجراحة بوعاً عظيماً ، شهد له به أساتذته ، وفي خلال هذه المدة قابل الحيدري إسماعيل في باريس ، فتمسكه بعطفه وورعائه ، إذ سمع من أساتذته الثناء المستطاب على كفاءته واجتهاده .

وعاد المترجم إلى مصر ، ففعله المناصب الطبية ، وأهم ما تقلده منصب كبير الجراحين بمستشفى قصر العيني ، والأستاذ الأول للجراحة بمدرسة الطب ، وأتم عليه بالرتب إلى أن نال الباشوية سنة ١٣١٥ هـ ، وسطح لجمه في الجراحة ، وقامت شهرته فيها حتى تمت أرجاء البلاد ، وبلغ ذروة الشهرة بما عرف عنه من النجوى في فنه ، والمهارة في إجراء العمليات الجراحية الخطيرة ، والدقة في تشخيص الداء والدواء ، والتمكان في الإحلاس لعمله وفنه ، وحب الإنسانية ، والبر بالفقراء والمعوين ، هذا إلى تعلقه بالعلم والتأليف ، فقد أنشأ مكتبة علمية من أقدس المكاتب ، وألف مجموعة تشريعية من أعظم ما جمعه الأطباء ، وأنشأ لنفسه مطبعة لطبع مؤلفاته ورسائله ، سميت المطبعة القديرة ، كان يطبع فيها المؤلفات الطبية التي ظهرت في عصره ، وقد ظل عظماء قننه وللعلم حتى وافته الملية ليلة ٣٠ يويه سنة ١٩٠٠ ، وأهم مؤلفاته الطبية « بلوغ المرام في جراحة الأجسام » طبع بالمطبعة القديرة في أربعة مجلدات ، وله « الإسعافات الصحية في الأمراض الوبائية » طبع سنة ١٣٠٠ هـ

حسن بك عبد الرحمن

(تولى سنة ١٨٧٥)

تخرج من مدرسة الطب بقصر العيني ثم تولى تدريس التشريح فيها ربح في هذا الفن ، وترجم كتاب (العلل الصحيح في علم التشريح) طبع سنة ١٢٨٣ هـ بإشراف محمد علي باشا البقل إذا كان ناظرًا لمدرسة الطب



أحمد الشافعي بك



محمد علي باشا



حسن بك شامخ



محمد الشافعي بك



محمد الشافعي بك



حسن بك شامخ



عيسى باشا



سالم باشا



جليل تهمان



محمد الشافعي بك



إبراهيم الشافعي بك



أحمد الشافعي بك

محمد بك حافظ

(تولى سنة ١٨٨٧)

تخرج في مدرسة قصر العيني ، وأتم من الرمد بأوروبا ، ثم تولى تدريس بقصر العيني ، وله كتاب (مطبخ الأنظار في تشخيص أمراض العين بالبحث بالنظار) طبع سنة ١٢٩٩ هـ .

سالم باشا سالم

(تولى سنة ١٨٩٣)

من القنايات بمديرية الشرقية ، تعلم في مدرسة الألسن ، ثم في مدرسة الطب ، وأوفدته الحكومة في عهد عباس باشا الأول لإتمام دراسة الطب في مونيخ بألمانيا ، فأكمل دراسته طمأً وعملًا ، وعاد إلى مصر ، وارتقى في المناصب الطبية وجعله المدير توفيق باشا طبيه الخاص ، وله من المؤلفات :

- ١ - وسائل الانتباه إلى الطب الباطن والعلاج طبع سنة ١٢٩٨ هـ في أربعة مجلدات .
- ٢ - دليل المحتاج في الطب والعلاج .
- ٣ - البنايع الشغافية والياه المعدنية

جليلة نمرهان

(وفيت سنة ١٨٩٩)

من خريجات مدرسة القابلات (الولادة) ، ثم تولت التطريش فيها ، رها في فن الولادة كتاب (محكم الدلالة في أعمال القبالة) طبع سنة ١٢٨٦ هـ .

محمد بك بلور

(تولى سنة ١٩٠٢)

من راوية البقل بمديرية المنوفية ، ومن خريجي مدرسة الطب بقصر العيني ، وأحد تلاميذ محمد علي باشا البقل ، أتم دراسته في إنجلترا وعاد منها في عهد سعيد ، فولى مناصب عدة

حتى صار أستاذًا في مدرسة الطب ، وتال منزلة رفيعة لدى إسماعيل - وله من المؤلفات

- ١ - الفرائد الدرية في علم الشفاء والمادة الطبية طبع ١٣٠٧ هـ
- ٢ - الدور الدورية التبشيرة في شرح الأدوية الجديدة طبع سنة ١٣١٠ هـ
- ٣ - الصحة التامة واللمحة العامة طبع سنة ١٢٩٦ هـ

أحمد حمدي باشا

(تولى سنة ١٩٠٣)

هو رجل الدكتور محمد علي باشا البقل ، ومن خريجي مدرسة قصر العيني ، ثم أتم دراسته في باريس وبعد خروجه إلى مصر سنة ١٨٦٩ عين أستاذًا للعمليات الجراحية في حياة أبيه ، وحصل حقه في التأليف .

حسن باشا محمود

(١٨٤٧ - ١٩٠٦)

ولد بقرية الطالية في طريق الأهرام وتلقى علومه بالمدرسة الخيرية ، أوفدته الحكومة سنة ١٨٦٢ ضمن بعثة مرسية إلى ألمانيا لدراسة الطب ، وعاد ١٨٧٠ ، فعين أستاذًا للتشريح في مدرسة قصر العيني ، وتقلد مناصب عدة ، إلى أن صار ناظرًا للمدرسة الطب ، وله مؤلفات قيمة ومباحث طبية كان يشرها في المحلات العلمية كروضة المدارس ثم المقتطف

إبراهيم باشا حسن وعيسى باشا حمدي

تلقى من يدع الأطباء ، وبلاذ من كتب رروضة آس في الطب سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦) ، وتولى الثاني نظاره مدرسة الطب سنة ١٨٨٣ ، وله عدة مؤلفات

فيه

علماء الفقه والقانون



عبد الرحمن بك الهراوى

(1997)

من خريجي مدرسة قصر العيني، أتم دراساته بأوروبا، وعين بعد عودته أستاذًا للتعبير بها وأُمرأى الحيد، ثم صار وكيلًا للمدرسة سنة ١٨٨٠، وله كتاب في التعبير ج١ لم يطبع

علماء الطبيعيات

أحمد بك فزا ، عبد الحماد إسماعيل ، وقد ترجمنا لها في كتابنا (مصر محمد علي) ص ٥٣٤ (الطبعة الأولى)

عليه السلام

(توفی سنہ ۱۸۸۹ء)

تلقى علم الصيدلة بمصر ، وأتم دراسته في أوروبا ، وتولى تدريس الأقباطين والكنسيه في مدرسة الطب ، وعمل كبير عيادة مستشفى القصر العيني ، ولد من الثلثات .

- ٣ - الترفيقات الإبلية و التاريخ الطبي ، طبع سنة ١٢٩٨ هـ .
٢ - الأهرار الزمخشري و الماده الطبية سنة ١٢٩٨ هـ .
١ - الفضة الراحية في الأعمال الأفراسية طبع سنة ١٢٨٩ هـ .

الحمد لله

منار الكبياء - مدرسة الهندسة وتولى ككل (عدة السنين و في الصيلة
المعروف بالأفرادى) طبع سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦)

১৯৭৭

(1A47 - 1A49)

العلم المشرع الكبير ، ولد بعلوى حوالي سنة ١٨٢٦ ، من أب أنطونول وأم مصرية ، وتلقى العلم الأول بحكب ملوى ، ثم التحق بعلمسة الألسن على عهد وقاعة بك رابع الطهطاوى ، فظهر نبوغه وبيله بل العلم والفكر ، وبعد أن تخرج فيها حصل عليها مساعداً ، وأصبح أديباً ذا علوم واسعة في اللغة العربية والآداب الأوربية .

بعض دوايس الحق بالأحرار ، وأقبل على كتب الشرع يدرسها ويشرحها ، وحل شعب ما نصب له حكمة في حكمته بل انزوعه الخديو إسماعيل واختار له مرتب لكون عهده الأمير محمد توفيق ، ثم عد به داهية . وحكمته التجارية بالإنكسار به . ونبذ لهم به حمة زرة . بخرجه ، ومنازلة داهية في تعريب الكود (قانون نابليون) واختصر خوسر ب وارين لخاكم اهلطه تعهد . لوضع قوانين حكائكم الأهله الخديده . وحصل مستشار محكمة الاستئناف المختلط ، وله آثار علمية عديدة . أهمها كتابه الثلاثة : عدائه الى جمع بها أنكسار المشرعه

الإسلامية ، وصاحبها في مودع محكمة الوضع على أسلوب القوانين الأوروبية ، وهذه الكتب هي : (مرشد الحبر إلى معرفة أحوال الإنسان) على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في المعاملات المدنية الشرعية . وكتاب (الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية) ، وكتاب (قانون العدل والإنصاف في القضاء على مشكلات الأوقاف) ، وكتاب (الكلب في مرجع رجال القضاء والقانون في المحاكم الأهلية والشرعية والمختلطة) وحكمة لكل مشغل بالعلوم الفقهية والقانونية

وله أيضا كتاب لم يطبع في (تطبيق ما وجد في القانون المدني موافقا لمذهب أبي حنيفة) . وتولى وزارة الحفابة في وزارة شريف باشا الدستورية سنة ١٨٨٩ على عهد الخديو تومس باشا ، ووضع في هذا العهد مشروع النظام القضائي للمحاكم الأهلية الجديدة ، وفي سنة ١٨٨٣ التفتحت هذه المحاكم وصدرت قوانينها ، وهي القانون المدني وقوانين التجارة والمرافعات والمقبوضات ، وكان المترجم وقتئذ وزيرا للمعارف في عهد وزارة شريف باشا الرابعة . وهي الوزارة التي امتنعت احتجاجيا على إخلاء السودان .

الشيخ محمد العباسي المهدي

(١٨٢٧ - ١٨٩٧)

شيخ الإسلام ، ومفتي الديار المصرية ، وصاحب الفتاوى للمهدية التي تعد مرجع العلماء في الفقه الإسلامي ، وهو ابن الشيخ محمد أمين المهدي مفتي الديار المصرية الأسبق ابن الشيخ محمد المهدي أحد كبار علماء مصر في عهد الحملة الفرنسية وأوائل عهد محمد علي (ترجمنا له في كتابنا الجزء الثاني من تاريخ الحركة القومية ص ٢٩٩ - الطبعة الأولى) .

تلقى العلم بالأزهر ، ونجح في علوم الفقه ، وتولى منصب القضاة وهو بعد في الحادية والعشرين من عمره ، على عهد إبراهيم باشا . وظهرت مزايده التي رغب مكاتبه ، وأظهرها الذكاء ، وسعة العلم ، وقوة الحجج ، وقد وقف من الحكومات المتعاقبة موقف الكرامة والاستمسك بالحق ، حتى استهدف في بعض المواطن لتغيب ولاية الأمر ، فلم يكن يبالي بحسبهم ، ولم يتحس عن الحق ، وتلك كبرى مزايده وقصافته ، وقد راد مقامه علوا في عهد إسماعيل ، إذ جمع بين الإفتاء ومشيخة الأزهر سنة ١٨٧١ ، وقال لإسماعيل الخديو وقتئذ ،

وكان يرجع إلى رأيه في كل ماله مفسر بالشريعة الإسلامية . وبدأ على يده إصلاح نظام التعليم في الأزهر كما تقدم بيانه ص ٢٠٨ . واستمر محفظا مكاتبه في عهد الخديو تومس . ولما قامت ثورة العربية لم يكن من أنصارها . فاستهدف لمصعب العرابيين ، وحرب مشيخة الأزهر ، ولما انتهت الثورة أُميد إلى مشيخة الأزهر واستمر متقلدا الإفتاء والبطش حتى عزل عنها لمعارضته الحكومة على عهد توفيق باشا فجا بمخالفة الشريعة ، ثم عاد إليه . لا يفتي بحرف ولم يفتي إلى أن وافته منيته ليلة ١٦ رجب سنة ١٣١٥ هـ .

• • •

ومن علماء الفقه المدعوين في هذا العصر : الشيخ محمد عيش ، والشيخ إبراهيم الشافعي ، والشيخ عبد الرحمن البحراوي ، والشيخ حسونة النواوي إلخ

علماء القانون الحربية والبحرية

على باشا إبراهيم ، حاد عبد الحافظ باشا ، وقد ترجمنا لها في كتابنا (عصر محمد علي) ص ٥٣٠ (الطبعة الأولى) .

محمود باشا فهمي

(توفي سنة ١٨٩٤)

أحد زعماء الثورة العربية ، ولد سنة ١٢٥٥ هـ في الشنطور بمركز بيا من مديرية بني سويف ، وتخرج في مدرسة المهندسخانة ببولاق ، ومارس الفنون الهندسية والحربية وانتظم في سلك الجيش ، ثم جعل أستاذا لعلم الاستحكامات والقانون العسكرية في المدارس الحربية ، على عهد سعيد وإسماعيل ، وعهد إليه الخديو إسماعيل بمهام تحصين شواطئ مصر الشمالية من أبو قير إلى البرلس ، فاصطلح بهذه المهمة ، وجدد الحصون القديمة ، وأقام حصونا جديدة ، وارتقى في الرتب العسكرية ، واشترك في حرب البلقان سنة ١٨٧٦ - ١٨٧٧ ، وكان من أركان حرب العربة المصرية بها .



محمد مختار باشا
(١٨٣٥ - ١٨٩٧)

من رجال السيف والقلم ، ولد في بولاق سنة ١٨٣٥ ، تلقى العلم الابتدائي ، ثم تلقى الفنون الحربية ، وانتظم في خدمة الجيش وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وارتقى في المناصب العسكرية حتى تولى رتبة لواء في سنة ١٨٨٦ ، واشترك في حملة مصر كما تقدم بيانه ص ١٤٠ ، ثم جعل رئيس أركان حرب الجيش المصري بالسودان ، وعين مأموراً للمحافظة الحديوية في عهد الخديو عباس حدى الثاني ، وبقى يتولى هذا المنصب إلى أن تولى في ٢٠ نوفمبر ١٨٩٧

وقد أسفت عليه حياته العلمية منزلة ممتازة ، وبحسب من المؤلفين والعلماء أكثر مما يعد من رجال الحرب ، وحديث أنه صاحب الكتاب القيم (التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ هجرية بالسني الإبراهيمية وقبطية) من السنة الأولى للهجرة إلى عام ١٥٠٠ هـ طبع سنة ١٣١١ هـ

وهو ذكر إزاء كل شهر أهم خبر دس - ريجية التي وقعت في مصر والعالم - وله كتاب (المجموعة الشعبية في عم الخمرانيا) ورسائل أخرى في الرياضيات والفلك ، ومقالات بمجلة في مجلة الجمعية الجغرافية



محمود باشا الحمدي
(تولى سنة ١٨٩٤)

ولما شبت الثورة العراقية كان من رحائبها كما سيحيى بيته في موضعه من كتاب (الثورة العراقية) ، وتولى وزارة الأشغال في وزارة محمود باشا سليم البارودي سنة ١٨٨٢ ، وأسر قبل واقعة التل الكبير ، فكان أسره من أسباب هزيمة الجيش المصري ، وحكم ضمن زعماء الثورة ، ونفى إلى سيلان ، وهناك وضع كتبه (البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر) ، وتوفي في منفاه سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٤) وبطوولته طبع كتابه سنة ١٣١٢ هـ في أربعة مجلدات

شحاتة عيسى بك

ناظر مدرسة أركان الحرب في عهد الخديو إسماعيل

محمد صادق باشا

(تولى سنة ١٩٠٢)

من تلاميذ مدرسة الخانكة الحربية المنشأة في عهد محمد علي ، وس أعضاء اللجنة الخامسة ، عاد من البعث مهندساً وانتظم ضابطاً في سلاح الجيش ، وهو الذي وافق سعيد باشا في رحلته بالحجاز ، وعين مكشاً بمصلحة المساحة برئاسة استون باشا ، وله بحث قيمة في مجلة الجمعية الجغرافية .

سليمان قردان حلاوة

(تولى سنة ١٨٨٥)

من المتوفية ، ولد سنة ١٢٣٥ هـ وتخرج في مدرسة الطبجية على عهد محمد علي ، وحقق الفنون الحربية والرياضية ، وجعل أستاذاً للهندسة والحساب بالمدرسة البحرية القديمة ، ومهر في الفنون البحرية وقضها ، وصار رباناً للباخرة سمود ، فأظهر براعة في قيادتها ، وطاف بها حول القارة الإفريقية ، وجعل في عهد إسماعيل سنة ١٨٧٠ ملحقاً للفنون الحربية والهندسة ، فأعاد للتلاميذ فوائد جمة ، وألف في الملاحة كتاباً اسمه (الكوكب الزهر في فن البحر الزاخر) وتولى سنة ١٣٠٣ هـ ١٨٨٥ م

الهيئة الفنية

إن الهيئة تسمى تشمل على الطهر المعروفة بالفنون الجميلة . وهي الفنون التي تستلزم في النفس إحساس الجمال ، وتسمى فيها ملكته ، ولا مرأه في أنها من هوامل هيئة الأمة ، لما تنتج من تهذيب القوموس ، ونشاط العقول ، وترقية المواطن . وتوسيع المدارك ، وتفتح

لأذهان إلى دقة الملاحظة . وصواب النظر

والكلام عن الفنون الجميلة يتناول الموسيقى أو الغناء . والتخيل . والرسم ، والتصوير ، والنقش والزخرفة والعمارة

أما الرسم فقد بدأت مدارس الهندسية والصناعية والبيئات تعني به من عهد محمد علي ، فتخرج فيها طائفة من الرسامين تولوا تدريس الرسم في المدارس العالية والثانوية ، والابتدائية ، ولكن نهضة الرسم والتصوير لم تثل سطاً من الازدهار في ذلك العهد . وتخرج في مدرسة الهندسة والبيئات مهرة المهندسين في النقش والبناء ، وتقدم في المهرة بما أقامه أولئك المهندسون من القصور والمساجد والدواوين والعمائر الجميلة التي تشهد لهم بحسن الذوق والخلق في هندسة البناء ، وظهر أيضاً حذقهم فيما شيدوه من القناطر على النيل والرياحات والترع الكبرى ، فإن بعض هذه المنشآت تعد قطعة من لص

التخيل والغناء

كان المجتمع في عصر إسماعيل ميالاً إلى المرح والحجور ، وكان إسماعيل ذاته طويلاً ، عجباً للتمتع بالملهي والمسرات ، وهذه لذيول هي غناء للبهجة القية وخاصة الغناء^(٢٩) (الموسيقى) ، والتخيل .

أما التخيل فقد ساعد إسماعيل الناحية الأوروبية منه ، ثم بدت منه العناية قليلة الجهد إلى التخيل العربي ، فأنشأ أول ما أنشأ بالقاهرة مسرح (الكوميدي) بالأريكية ، وكان الشروع في بنائه في نوفمبر سنة ١٨٦٧ واحصل بافتتاحه في ٤ يناير سنة ١٨٦٨^(٣٠) ثم بى دار الأوبرا سنة ١٨٦٩ مناسبة الاحتفال بافتتاح قناة السويس ، وتم بناؤها في خمسة أشهر ، وبلغت تكاليفها ١٦٠ ألف جنيه . ومثلت فيها مساء ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ أول أوبرا واسمها (برجوليتو) ، وكانت الأميرة أوجيى حفلة نابليون لثالث في مقدمة من شهدوا «تخيل» في تلك الليلة ، وعهد إسماعيل إلى الموسيقى الإيطالي الشهير (فردى) أن يصح أول أوبرا مصرية تمثل بدار الأوبرا ، فقام بهذه المهمة ووضع العلامة الفرنسي مارييت باشا موضوع الرواية ، وهي رواية

(٢٩) الغناء والموسيقى على واحد



عبد الحامول

عبد الفتاح في عصر إسماعيل

ولد عبد الحامول في طنطا حوالي سنة ١٨٤٥ ، أي أنه استقبل النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، عصر التجديد الاجتماعي ، فحين فيه لواء النهضة الفنائية ، وهو ابن تاجرين في طنطا ، وكان له أخ أكبر منه سناً ، وكان أومها يقسو في معاملتها ويسمى إليها بالفقر والاضطهاد ، فلم يطيق صبراً على هذه العظلة ، فر من عنده وسارا هائمين في الأرياف ، صافحها المصادفة إلى رجل يشتمل بالعلم ويعرف على القانون ، سمع صوت عده ، فأطربه وأعجب به إعجاباً كبيراً ، وعاد به إلى طنطا ، وهناك أخذ ينفى معه ، ثم جاء به إلى مصر ، لما أن سمع عبر الطرب حتى اجتذبهم بصوته الجميل ، وظهرت عليه علامة السويح للموسيقى ترك صاحبه وأستاذة القديم ، وانتقل إلى من مشهور اسمه (الشيخ المقدم) فاشتغل على تحته ، وأخذت شهرته تزدج في الأوساط الاجتماعية ، وبدأ يتنكر أساليب جديدة في الغناء نالت إعجاب أهل الفن وعشاق الطرب ، وبلغت شهرته الحقدور إسماعيل للجلبه وألفه بجمته ، وكان ذلك فاعمة مجده ، إذ أنجب فيه الحقدور صوته الجميل ، فاعلمه بديه في حياته وسهراته ، وأغنى عليه الحيات والمطايا ، واصطاحه في رحلاته إلى الاسنانة ، وهناك التقى عده بالموسيقين الترك وسمع أغانهم ، فاقبض منها ما يلائم الروح المصرية ، وابتكر في الغناء ألحاناً جديدة هي مزيج من الموسيقى العربية والتركية ، فصار رهم المجددين في الموسيقى

(عابده) وبشت دفاهه لأول مرة في ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧٦ . نالت نجاحاً عظيماً ، وحظيت الحكومة من ذلك الحين الجوائز الإفرنجية وأخذت عينا الأموال والبلت ، فبلغ ما صرف على فرد إحدى الجوائز في شتاء سنة من سى إسماعيل ١٢٠ ألف جنيه ، ولا عربة في ذلك فإن المثلة الواحدة كانت تأخذ أحياناً ألف ومائة جنيه في الشهر وأشيء في الإسكندرية مسرح (زيزينا) ، ومسرح آخر اسمه Albert شارع سطاتي

وقد ولد على مصر حوالي سنة ١٨٧٦ جماعة من الأدياء والممثلين لسوريين ، منهم يوسف خياط ، فتلوا على مسرح زيزينا بعض الروايات ، ثم انتقل يوسف خياط بجوته إلى القاهرة سنة ١٨٧٨ ، فلق تصديداً من الحقدور إسماعيل ، وأذن له أن يمثل رواياته في دار الأوبرا ، فتل رواية الظلوم ، وحضرها الحقدور ، فلم يرقه أسلوبها ، وغضب مما تحملها من ذكر الظلم والتعريض بالظالمين . إذ ظن أنه المقصود بهذا التعريض ، فأمر بإخراج الخياط وجوته من مصر فسادوا إلى سوريا ، ووقفت البهضة الخيلية في عهد إسماعيل عند هذا الحد .

الموسيقى (الغناء)

مرت روح البهضة والتجديد إلى الموسيقى والغناء ، فقد كان اللحن يتبعون إلى ذلك العهد الأساليب والتوشيح القديمة ، حتى ظهر (عبد الحامول) المسمى الشهير ، فألمحته حيرته الموسيقى بإصلاح هذه الأساليب وإدخال روح العصر والتجديد فيها

لمصرية . واستمر يمارس المهنة وينهض بالعلم ويضطرب الناس طول حياته . ولا عرو هو
يليل الصدايح الذي كان يحرك أوتار القلوب بصوته الطيب . وأحد ، ليديمة ، وأنغامه
الجميلة . وقد ظل ثلاثين سنة ونيفاً مصلو السرور والطرب ، للأفراد ، جمعت ، وكان رفيق
المزاج ، دمث الأخلاق ، كريم الطباع ، عزيز النفس ، غفصاً لفته . سراً به ، وهذا هو
سر نبوغه وعبقريته ، وكانت وفاته سنة ١٩٠٦

واشتهر في عصره بعض السيدات في الفناء ، منهم (أناس) المنية شهيرة ، وقد تزوج
بها عبده ، ومعها من البناء في محاسن الناس ، وكانت له من أجل ذلك حادثة استهتف فيها
لمصعب إسماعيل ، إذ طلب يوماً أن تحضر (أناس) في قصره وتعين به . فرفض عبده أن
تذهب ، فغضب الحنديو ، وأمر بإحضارها قوة واقتداراً ، فاستسلم عبده ، وأصر على
الإبقاء ، ووسط الشيخ حل اللقي شاعر الحنديو في الأمر ، وانتهت الحادثة ببدول الحنديو عن
طلبه

وقد هنا العهد نشأ عهد العقاد ، للموسيقى المشهور ، أظهر من ضرب على القانون ، في
العصر الحديث ، وقد أدرك عصر إسماعيل ، وإن كانت شهرته لم تكتمل إلا من بعد ،
وصاحب عبده الحامولي ، وشاكاه في توقيعه وأنغامه .
وصفوة القول أن عصر إسماعيل كان للنهضة الثانية عصر الإحياء والتجديد ، وظهر فيه
عبارة الفن الذين رفعوا شأنه ، وأطهروه من النفوس مكاناً حلياً

م اسم الأول

ويليه غيره الثاني

(وفيه ختام الكلام عن عصر إسماعيل)

راجع هذا الكتاب للشارح

حلمي السباعي شافين

نائب رئيس قضاة الحكومة

المهرس

صفحة	صفحة	صورة المهرس
٧	٣	مقدمة الطبعة الثانية
٩	٥	مقدمة الطبعة الأولى

الفصل الأول

الرجعية في عهد عباس الأول

٢١	١٥	نشأة عباس
٢٢	١٦	ولاية الحكم
٢٢	١٦	أنحلاله
٢٢	١٧	أعماله
٢٣	١٧	سياسة العامة
٢٤	١٨	إصلاح الطريق بين مصر والسويس
٢٦	٢٠	السكة الحديدية بين الإسكندرية والقاهرة
	٢١	عبط الأمم
		المندرس والمصانع
		البيوتات
		السودان
		الجيش والبحرية
		المشاركة مصر في حرب القرم
		مقتل عباس
		ميرة عباس

الفصل الثاني

النهضة الوطنية في عهد محمد باشا

٣٢	٢٩	مطرة عامة
٣٢	٢٩	نشأة سيد
٣٣	٣٠	أنحلاله
	٣٠	إصلاحاته فردية
٣٤	٣٠	اللائحة السعدية
٣٧	٣٢	لائحة المعاشات للموظفين
		أعمال العمران
		تطوير ترعة المحمودية
		السكك الحديدية والطرقات
		إصلاحاته الحربية وشه
		روح القومية في الجيش
		البحرية

الفصل الثالث عصر إسماعيل

صفحة	موضوع	صفحة
٨٢	لقية (مجنون)	٧٣
٨٢	لهو الملاقات ثم إطفاء بن مصر وركيا	٧٤
	رومان ٢٩ يوليو سنة ١٨٦٩ وماليه من	٧٦
٨٤	التقود	٧٦
٨٥	تخصي الملاقات	٧٦
٨٥	رومان سجن سنة ١٨٧٢	١
٨٥	الرومان يلهج (٨ جوية سنة ١٨٧٣)	٧٨
٨٦	مودة إلهام	٧٨
	٢	٧٩
٨٧	سيرة إسماعيل جوان الدول الأروبية	٧٩
٨٨	فرنسا	٧٩
٩٠	إيطاليا	٧٩
	فرمان ٨ يولية سنة ١٨٦٧ ولفصول على	

الفصل الرابع قناة السويس

٩٣	تيرة إسماعيل في إتمام القناة	٩٣
٩٤	١٨٦٩	٩٣
٩٤	اتهاء قبل افتتاح القناة	٩٥
٩٤	عشار مصر الثاني في القناة	٩٥
١٠٠	سج أنهم مصر في القناة	٩٦
١٠٦	عشار القناة	٩٦
١٠٧	قناة السويس وتاريخها العامة	٩٨

صفحة	موضوع	صفحة
٩٣	١	٣٧
٩٣	استار قناة السويس	٣٩
٩٣	نظرة عامة	٤٠
٩٧	بداية في تاريخ المشروع	٤٠
٩٧	في عهد الخراطة والفتح الإسلامي	٤١
٩٨	في عهد الحملة الفرنسية	٤١
٩٨	في عهد محمد علي	٤٣
٩٩	خلال سنة ١٨٤٦	٤٤
١٠	في عهد سعيد باشا	٤٦
٦٢	سج لتبنيار القناة	٤٨
٦٢	حصص الأنبيس	٤٩
٦٣	ملح دولية لدرسي المشروع	٤٩
٦٣	شروط الامتياز	٤٩
٦٦	مقاومة إنجلترا للمشروع	٥٠
٦٦	مناقشة سعيد للمشروع	٥٠
٦٧	تأليف لشركة	٥٠
٦٧	البداية في حفر القناة	٥١
	٢	٥١
٦٩	بدء القروض الأجنبية	٥٢
٧٠	قروض سنة ١٨٦٢	٥٢
٧٠	البنس لشار	٥٣
٧١	وفاء سعيد باشا	٥٣

٣٧	مستشار الأسمول	٣٧
٣٩	شركة الملاحة الدولية	٣٩
٤٠	شركة الملاحة البحرية	٤٠
٤٠	إصلاح بنه السويس	٤٠
٤١	حروب مصر في عهد سعيد باشا	٤١
٤١	١- حرب القرم	٤١
٤٣	٢- حرب الكابل	٤٣
٤٤	السودان	٤٤
٤٦	رحلة سعيد باشا إلى بلطيمار	٤٦
٤٨	العلم	٤٨
٤٩	نظام الحكم في عهد علي وسيد	٤٩
٤٩	النظام السياسي	٤٩
٤٩	انكس بالمصري	٤٩
٥٠	الوزارات	٥٠
٥٠	النظام القضائي	٥٠
٥٠	جلس الأحكام	٥٠
٥٠	يجلس أو يحاكم الأقاليم	٥٠
٥١	ولاية القضاء	٥١
٥١	إلغاء علي الأحكام ثم إعادته	٥١
٥٢	قضاء الأجانب	٥٢
٥٣	ثبوت التسليم الأجنبي	٥٣

الفصل الخامس السودان في عهد إسماعيل

صفحة	صفحة
١٠٩	توسيع نطاق السودان المصري
١٠٩	كلمة إيجالية
١١٠	فتح فاشرقة
١١١	ضم سواكن ومصبوع
	فتح إقليم خط الاستواء والوصول إلى
١١٢	منابع النيل
١١٢	مهمة السير حصول بيكر
١١٢	رحلته في عهد سعيد
١١٣	مهمته في عهد إسماعيل
١١٦	رفع العلم المصري على غندكرو
١١٨	فتح مملكة أوبورو
١١٩	ولاء ملك أوقندة لمصر
	تعيين الكولونيل غردون مديراً لخط
١٢١	الاستواء
	توسيع نطاق الحكم المصري في مديرية
١٢٢	خط الاستواء
١٢٤	يسقط حامية مصر على مملكة أوقندة
	مذكرة شريف باشا إلى الدول عن
١٢٦	احتلال مصر منطقة البحيرات
١٢٧	موقف غردون
١٢٨	اكتشاف بحيرة إيراخيم
١٣٠	استفتاء غردون من منصبه
١٣٠	مصبوع مديرية خط الاستواء
١٣١	منع تجارة الرقيق
١٣٣	ظهور فريق باشا رحمت
١٣٤	فتح منطقة دارفور
١٣٤	معركة منواشي
١٣٦	ضم زيلج وبربره
١٣٨	فتح حرد
١٤٢	حملة الصومال
١٤٣	اعتراف إنجلترا بسلطة مصر على الصومال
١٤٤	التزام بين مصر والحبشة
١٤٥	الحرب بين الإنجليز وراحت
١٤٦	مصر بمنا
١٤٧	فتح سيوت وصم إقليم البوحيوس
١٤٧	حرب الحبشة
١٤٨	حملة أرنديروب دت
١٤٩	حركة جويليت
١٤٩	حملة مرجع باشا
١٤٩	مقتل منزع باشا
١٥٠	لحملة الكبيرة بقيادة راتب باشا
١٥١	حركة فرغ
١٥١	عقد الصبح مع عشه
١٥٢	تأجيل حرب الحبشة
١٥٣	احتلال السودان في عهد إسماعيل
١٥٣	موسى باشا حلفى

صفحة	صفحة	صفحة
١٥٣	المواصلات السببية ودار الصلحة بالخرطوم	جهر صادق باشا
١٥٤	الملاحة البحرية والقنارات	إخماد ثورة كمالا
١٥٥	مشروع السكة الحديدية	جهر مظهر باشا
١٥٥	المدرس	ممتاز باشا
١٥٦	التجارة	إسماعيل باشا أيوب
١٥٦	البريد	غردون باشا
١٥٩	التطبيقات	التضيق الإداري
١٦٠	مزايا السودي	الجيش المصري في السودان
١٦١	الرحلات والبعثات الجغرافية	أعمال العمران
١٦٢	الحكم المصري في السودان وشهادة	استيلاء الأس
١٦٢	القوات من الأجانب	الزراعة
١٦٣	حدود السودان المصري أمس واليوم	طرق المواصلات

الفصل السادس الجيش

صفحة	صفحة	صفحة
١٨١	كلمة إيجالية	حبة أركان حرب الجيش
١٨١	المنازل الحربية التي أنشأها إسماعيل	الصحة الحربية
١٨٢	مدرسة للشاة	كبدد السلاح والصانع الحربية
١٨٢	مدرسة القرمات	إنشاء ميدان لفرمان
١٨٢	مدرسة المدعية	إدخال النظام الألماني
١٨٣	مدرسة أركان الحرب	إحصاء الجيش
١٨٣	المدرس الأخرى	تعداد الجيش في قائد عظم

صفحة	المجلد
٢٦٧	أبو بوباء مصر الخوري
٢٦٨	محمود شعوت الساعاتي
٢٦٨	محمد عارف باشا
٢٦٨	أحمد بك حيد
٢٦٨	خليلة أفندي محمود
٢٦٩	بقية أعلام الأدب
٢٦٩	علماء امنية والرياضات
	علي باشا مبارك هب باشا مظهر
	باشا - فايد باشا - حسي باشا
	فهي للهار أحمد بك السكي .
	حسن بك نور الدين - حسن باشا
٢٦٩	حسي
٢٦٩	محمود باشا الفلكي
٢٧٤	إسماعيل باشا الفلكي
٢٧٥	سلامة باشا
٢٧٥	محمد تاليف باشا
٢٧٦	إسماعيل باشا محمد
٢٧٦	أحمد بك الجيب
٢٧٦	حسي أفندي حل القيث
٢٧٦	علي أفندي عزت
٢٧٦	عالم بك سعد
٢٧٧	السيد صارة
	علماء الطب والجراحة
	محمد علي باشا البقل . أحمد حسن
	الرشيدي بك . محمد الشامي بك
٢٧٧	حسي عوف باشا
٢٧٧	محمد دري باشا
٢٧٨	حسن بك عبد الرحمن

صفحة	المجلد
٢٨٠	محمد بك حافظ
٢٨٠	سالم باشا سالم
٢٨٠	خليلة ترمهان
٢٨٠	محمد بك بلو
٢٨١	أحمد حمدي باشا
٢٨١	حسن باشا محمود
٢٨١	إبراهيم باشا حسن
٢٨١	حسي باشا حمدي
٢٨٢	عبد الرحمن بك الخراوي
	علماء الطبيعيات
٢٨٢	أحمد بك نفا
٢٨٢	عبد المولى إسماعيل
٢٨٢	علي بك رياضي
٢٨٢	منصور أفندي أحمد
	علماء الفلك والتقانون
٢٨٢	محمد قنري باشا
٢٨٤	الشيخ محمد القباسي لهندي
	علماء الفنون الحرة والبحرية
٢٨٥	علي باشا إبراهيم
٢٨٥	حماد عبد الحافظ
٢٨٥	محمود باشا قهي
٢٨٧	محمد مختار باشا
٢٨٨	نحاته حسي بك
٢٨٨	محمد صادق باشا
٢٨٨	سليمان . دان حلاوة

صفحة	المجلد
٢٩٢	ألكس
٢٩٢	محمد الشقار
٢٩٣	فهرت الجزء الأول
٢٩٤	فهرت الخرافات والصور
	الهندسة المدنية
٢٨٩	التمثيل والبناء
٢٩٠	الموسيقى
٢٩١	عبد الحميد

٢٧١	علماء الفلك في عصر إسماعيل
٢٧٩	علماء الطب والجراحة في عصر إسماعيل
٢٨٠	محمد قنبري باشا
٢٨٦	محمد فهمي باشا
٢٨٧	محمد مختار باشا
٢٩١	عهد الخوص

• • •

فهرست الخرائط والصور

١٩	مياس باشا الأول والى مصر
٤٧	سعيد باشا والى مصر
٦٨	ابتداء العمل في حفر القناة
٧٥	إسماعيل باشا خليف مصر
١٠٠	حفلة افتتاح قناة السويس بيوم سعيد
١٠١	دخول اليونانر الحفلة للطلوك والأمراء قناة السويس
١٠٢	ولمة المشاء فى أقامها الخليف إسماعيل ابتهاجاً بالافتتاح القناة
١٠٣	حفلة الرقص فى أقامها الخليف إسماعيل ابتهاجاً بالافتتاح القناة
١٠٧	خريطة قناة السويس
	نقل أجزاء اليونانر النيلة على ظهور الإبل في صحراء النوبة سنة ١٨٦٩
١١٢	استعداداً لفتح إقليم خط الاستواء
١١٥	الأسطول النيل الذى تحرك من الخرطوم لفتح إقليم خط الاستواء
١١٦	حفلة رفع العلم للمصرى على غندكرو (الإسماعيلية) سنة ١٨٧١
١١٧	المسكر المصرى في غندكرو (الإسماعيلية) سنة ١٨٧٢
١١٨	ريونجا ملك أونيجرو يصافح صديقه بيكر باشا سنة ١٨٧٢
١٢٠	صديقه بيكر باشا مدير خط الاستواء في عهد إسماعيل ولوكان حربه
١٢٥	خريطة مديرية خط الاستواء
١٣٥	السودان للمصرى في عهد إسماعيل
١٣٩	مدينة حرر سنة ١٨٧٦
١٦١	مديريات السودان المصرى في عهد إسماعيل
١٦٦	رأس جردفون (جردفون)
١٧١	الرحلات والبحث الجغرافية في عصر إسماعيل
١٧٧	حدود الدولة المصرية أمس واليوم
٢١١	على باشا مبارك
٢٥٧-٢٥٦	أعلام الأدب في عصر إسماعيل

فصول الجزء الثاني من الكتاب

الفصل العاشر :	أعمال الصبر
الفصل الحادى عشر :	مأساة الديوان
الفصل الثانى عشر :	الحركة الوطنية والحياة النيابية
الفصل الثالث عشر :	ختم النزاع بين الحديدي والحائرين
الفصل الرابع عشر :	نظام الحكم
الفصل الخامس عشر :	الحالة المالية والاقتصادية
الفصل السادس عشر :	الحالة الاجتماعية
الفصل السابع عشر :	شخصية إسماعيل والحكم على مصر

• • •

للمؤلف

حقوق الشعب :

يتضمن شرح المبادئ والنظريات والقواعد الدستورية وحقوق الإنسان . طبع سنة ١٩١٢ .

نقابات التعاون الزراعية :

يتضمن تاريخ التعاون الزراعى ومنشأته فى أوروبا ، ونشأة التعاون فى مصر وتاريخه ونظامه ، وحالاته بالنهضة الاقتصادية والاجتماعية . طبع سنة ١٩١٤ .

الجمعيات الوطنية :

مصحفة من تاريخ النهضة القومية يتضمن تاريخ الانقلابات السياسية والنهضات القومية فى طائفة من البلدان مع شرح أصول المناسبات ، والتنظيم المبررات لها والمقارنات بينها . طبع سنة ١٩٢٢ .

تاريخ الحركة القومية (فى جزئين) :

الجزء الأول : يتضمن ظهور الحركة القومية فى تاريخ مصر الحديث ويأتى الدور الأول من أحوالها وهو مصر للقائمة الأهلية التى امتدت لحوالى مائة سنة فى مصر . وتاريخ مصر القومية فى هذا العهد (الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩)

الجزء الثانى : من إعادة النشوان فى عهد ناهليون إلى عهد ولاية محمد على (الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩) .

مصر محمد على :

يتناول تاريخ مصر القومية فى عهد محمد على (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٠)

مصر إسماعيل (فى جزئين) :

الجزء الأول : يشتمل على عهد عباس وسعيد وأوائل عهد إسماعيل (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢)

الجزء الثانى : وفيه ختام الكلام عن عهد إسماعيل (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٢) .

الثورة العربية والاحتلال الإنجليزي (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٧) .

مصر والسودان فى فترات عهد الاحتلال :

تاريخ مصر القومية من سنة ١٨٨٢ إلى سنة ١٨٩٢ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٢) .

مصطفى كامل : باعث الحركة الوطنية

تاريخ مصر القومية من سنة ١٨٩٢ إلى سنة ١٩٠٨ (الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩)

محمد فريد : رمز الإنعاش والتضحية

تاريخ مصر القومية من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٩ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤١).

ثورة سنة ١٩١٩ في جزئين :

تاريخ مصر القومية من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢١ (في جزئين) الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦.
الجزء الأول : يشتمل على شرح حالة مصر وحوادثها التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) وبيان الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للثورة. وتطور الحوادث من بعد انتهاء الحرب إلى شجب الثورة في مارس سنة ١٩١٩ ثم وقائع الثورة في القاهرة والأقاليم.

الجزء الثاني : وفيه الكلام عن معاهدة الثورة واستمرارها وحاكمات الثورة ولجنة ملوك. والحوادث التي لايتسا ومنعوضات ملوك واستشارة الأمة في مشروع ملوك. والتبليغ البريطاني بأن الحياة علاقة غير مرضية. ونتائج الثورة في حياة مصر القومية.

في أعقاب الثورة المصرية (ثورة سنة ١٩١٩) : في ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : تاريخ مصر القومية من أبريل سنة ١٩٢١ إلى وفاة سعد زغلول في ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧).

الجزء الثاني : تاريخ مصر القومية من وفاة سعد زغلول سنة ١٩٢٧ إلى وفاة تلكم مراد سنة ١٩٣٦ (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٨ - سنة ١٩٤٩).

الجزء الثالث : تاريخ مصر القومية من ولاية فاروق عرش مصر في ٩ مايو سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٥١ (الطبعة الأولى سنة ١٩٥١).

مطامير ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ :

(الطبعة الأولى سنة ١٩٥٧)

الكفاح في القتال سنة ١٩٥١ - حروب القاهرة سنة ١٩٥٢.

وزارات للثوقين - أسباب الثورة - فاروق يهود للثورة.

ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ :

تاريخنا القومي في سبع سنوات ١٩٥٢ - ١٩٥٩ (طبع سنة ١٩٥٩)

تاريخ الحركة القومية في مصر الحديثة :

من عصر التاريخ إلى الفتح العربي (طبع سنة ١٩٦٢)

مذكراتي (١٨٨٩ - ١٩٥١) :

نواظمي وشاهدي في الحياة.

شعراء الوطنية في مصر :

ترجمهم. وشعرهم الوطني. والتسابيح التي نظموا فيها قصائد لهم الطبعة الأولى سنة ١٩٥١

جمعية القرائ وأعمال في البرلمان : (جلسات النواب الأول) طبع ١٩٦٥

أربعة عشر عامًا في البرلمان.

في جلسات النواب سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥

وفي مجلس الشيوخ من سنة ١٩٢٩ إلى سنة ١١٥١ (طبع سنة ١٩٥٥)

كتب مختصرة

مصطفى كامل :

باحث للثقة الوطنية (طبع سنة ١٩٥٢)

بطل الكفاح : الشهيد محمد فريد : (طبع سنة ١١٥١)

الزعيم القادر أحمد عرابي :

(الطبعة الأولى - يناير سنة ١٩٥٢)

جمال الدين الأفطاري : (طبع سنة ١٩٦٦)

بحث وتحليل مطبوعة سنة ١٩٣٦ :

استقلال أم حيازة (طبع سنة ١٩٣٦)

كتب لطلبة المدارس الثانوية :

(طبع سنة ١٩٥٨ - ١٩٥٩)

مصر المجاهدة في العصر الحديث :

في ست حلقات تشتمل على كفاح الشعب في عهد الحملة الفرنسية ثم كفاحه في العهود التالية إلى بداية

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

تاريخ مصر القومي :

من الفتح العربي حتى عصر المقاومة والحملة الفرنسية طبع بعد وفاة المؤلف

(بحث الطبع)

مشاركاتي من دواوين الشعراء في الجاهلية والإسلام.

To

WWW.AL-MOSTAFA.COM